تفسير القرآن

للإمام العلامة شيخ الإسلام حجة أهل السنة والجماعة

أبي المظفر السمعاني

منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي الشافعي السلفي

(٤٢٦ - ٤٨٩)

المجلد السادس

من الملك إلى الناس

تحقيق

أبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم

دار الوطن

الرياض - شارع المعذر - ص.ب: ٣٣١٠

☎ ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس: ٤٧٦٤٦٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

دار الوطن للنشر - الرياض

هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس : ٤٧٦٤٦٥٩ - ص.ب : ٣٣١٠ الرمز البريدي : ١١٤٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبارَكَ الَّذي بِيَدِهِ الْمُلْكُ

تفسير سورة الملك

وهى مكية

روى أبو هريرة - رضى الله عنه - أن النبى - عليه الصلاة والسلام - قال: «إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لصاحبها حتى غفرله، وهى تبارك الذى بيده الملك»[1].

وروى أبو الزبير عن جابر أن النبى ﷺ كان لاينام حتى يقرأ: ﴿الم تنزيل الكتاب﴾[2]، و﴿تبارك الذى بيده الملك﴾[3] قال طاوس: يفضلان سائر السور بسبعين حسنة.

وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس أن رجلا ضرب خباءه على قبر وهو لايحسب أنه قبر، فسمع قارئا: ﴿تبارك الذى بيده الملك﴾ حتى ختم السورة، فأتى النبى ﷺ فذكر له ذلك، فقال: «هى المُنْجِية، هى المانعة، تنجيه من عذاب القبر»[4] ذكر هذه الأخبار أبو عيسى الترمذى فى جامعه بإسناده. وفى غيره أن الزهرى روى عن حميد ابن عبد الرحمن أن النبى ﷺ قال: «سورة الملك تجادل عن صاحبها يوم القيامة».

---

(١) رواه أبو داود (٢/٥٧ رقم ١٤٠٠)، والترمذى (٥/١٥١ - ١٥٢ رقم ٢٨٩١) وحسنه. والنسائى فى الكبرى (٦/١٧٨، ٤٩٦ رقم ١٠٥٤٦، ١١٦١٢)، وابن ماجه (٢/١٢٤٤ رقم ٣٧٨٦)، وأحمد (٢/٢٩٩، ٣٢١)، وعبد بن حميد (٤٢١ - ٤٢٢ رقم ١٤٤٥)، وابن حبان فى صحيحه (٣/٦٧ - ٦٩ رقم ٧٨٧، ٧٨٨)، والحاكم (١/٥٦٥، ٢/٤٩٧ - ٤٩٨) وصححه، والبيهقى فى الشعب (٥/٤٤٥ رقم ٢٢٧٦).

(٢) يعنى سورة السجدة.

(٣) تقدم تخريجه فى تفسير سورة السجدة.

(٤) رواه الترمذى (٥/١٥١ رقم ٢٨٩٠) وقال: حسن غريب، والطبرانى فى الكبير (١٢/١٧٤ - ١٧٥ رقم ١٢٨٠١)، وابن عدى (٧/٢٠٥)، وأبو نعيم فى الحلية (٣/٨١)، والبيهقى فى الدلائل (٧/٤١) وقال: تفرد به يحيى بن عمرو النكرى، وهو ضعيف، إلا أن لمعناه شاهدا عن ابن مسعود، والبيهقى فى الشعب (٥/٤٤٨ - ٤٤٩ رقم ٢٢٨٠). وعده ابن عدى والذهبى فى الميزان (٤/٣٩٩) من مناكير يحيى بن عمرو النكرى.

وروى مرة الهمدانى عن عبد الله بن مسعود: أن رجلا أتى فى قبره من جوانبه، فجعلت سورة من القرآن تجادل عن صاحبها حتى الجنة. قال مرة: فنظرت أنا وخيثمة فإذا هى سورة الملك، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿تبارك الذى بيده﴾ قد بينا أن تبارك تفاعل من البركة، والمعنى: أن جميع البركات منه تعالى. ويقال: تبارك أى: تعظَّم وتقدس وتعالى، ومنه البرك فى الصدر.

وقوله: ﴿الذى بيده الملك﴾ أى: ملك السموات والأرض. ويقال: ملك النبوة، يعز به من اتبعه ،ويذل به من خالفه، حكى ذلك عن محمد بن إسحاق.

وقوله ﴿ وهو على كل شىء قدير﴾ أى: قادر.

وقوله تعالى: ﴿الذى خلق الموت والحياة﴾ أى: الموت فى الدنيا، والحياة فى الآخرة. ويقال: خلق الموت أى: النطفة فى الرحم لأنها ميتة، والحياة هو أنه نفخ فيها الروح من بعد. ويقال: خلق الموت والحياة، أى: الدنيا والآخرة. وحكى أبو صالح عن ابن عباس: «أن الله تعالى خلق الموت على صورة كبش أغبر، لا يمر بشىء، ولا يطأ على شىء ولايجد ريحه شئ إلا مات، وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء لاتمر على شىء، ولاتطأ على شئ ولاتجد [ريحها][(١)] شئ إلا حيى. قال: وهى دون البغلة وفوق الحمار، خطوها مد البصر، وكان جبريل راكبا [عليها][(٢)] يوم غرق فرعون، ومن تحت حافرها أخذ السامرى القبضة. وقال بعضهم: خلق الدنيا للحياة ثم للموت، وخلق الآخرة للجزاء ثم للبقاء.

وقوله: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ أى: ليختبركم فيظهر منكم أعمالكم الحسنة وأعمالكم السيئة ويجازكم عليها.

وقوله: ﴿أحسن عملا﴾ فيه أقوال: أحدها: أتم عقلا وأورع عن محارم الله، وهو

(١) فى « الأصل، وك »: ريحه.

(٢) فى «الأصل، وك»: عليه.

وهو العزيز الغفور ﴿٢﴾ الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ﴿٣﴾ ثم ارجع البصر كرتين

قول مأثور.

والقول الثانى: أحسن عملا أخلص عملا.

والقول الثالث: أحسن عملا أى: أزهد فى الدنيا وأترك لها، وهو مروى عن الحسن وسفيان الثورى.

والقول الرابع: أحسن عملا أى: أشدكم ذكرا للموت وأحسنكم له استعدادا. ويقال: أشدكم لله مخافة. ويقال: أبصركم بعيوب نفسه.

وقوله: ﴿وهو العزيز الغفور﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿الذى خلق سبع سموات طباقا﴾ أى: بعضها فوق بعض، بين كل سماءين أمر من أمره، وخلق من خلقه.

وقوله: ﴿ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت﴾ أى: من خلل وعيب. ويقال: من اضطراب وتباين. وقرئ: «تفوت» واختاره أبو عبيد. قال الفراء: تفوت وتفاوت بمعنى واحد كما يقال: تعهد وتعاهد وغير ذلك. ويقال: تفوت أى: لاتفوت بعضه بعضا.

وقوله: ﴿فارجع البصر﴾ أى: رد البصر.

وقوله: ﴿هل ترى من فطور﴾ أى: صدوع وشقوق وخروق. ويقال: فطر ناب البعير أى: انشق.

وقوله: ﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ أى: مرتين، ومعناه: مرة بعد مرة، وإن زاد على المرتين، كالرجل يقول لغيره: قد قلت لك هذا القول مرة بعد مرة، وقد كان قال له مرات، ذكره القفال. وقال بعضهم: إنما ذكر المرتين؛ لأن الإنسان فى المرة الثانية يكون أحد بصرا وأكثر نظرا. ويقال: الكرة الأولى بالعين. والأخرى بالقلب. قال الفراء: يجوز أن يكون معنى كرتين كرة واحدة، وأنشدوا:

يَنقلبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ

مهمهين قـذفين مرتين   قطعته [بالسمت][1] لا بالسمتين

وأراد مهمها واحدا.

وقوله: ﴿ ينقلب إليك البصر ﴾ أى: يرجع إليك البصر ﴿ خاسئا ﴾ أى: صاغرا ﴿ وهو حسير ﴾ أى: كليل يعنى: ضعيف عن إدراك ما أراده من طلب العيب والخلل. ويقال: دابة حسرى أى: كالة.

قال الشاعر:

به جيف الحسرى فأما عظامها   فبيض وأما جلـدها فصليب

قال الزجاج: معنى الآية: أنه يبالغ فى النظر، فرجع البصر إليه خاسئًا ولم ينل ما أراده، ولم ير عيبا وخللا.

وقوله: ﴿ خاسئًا ﴾ من ذلك قولهم للكلب اخسأ وابعد، قال الفرزدق فى جرير:

اخســأ إليك جـريرا يامعـر   نلنا السماء نجومها وهلالها

قوله تعالى: ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ أى: بسرج، وسمى النجوم مصابيح لإضاءتها.

وقوله: ﴿ وجعلناها رجوما للشياطين ﴾ أى: رجمنا بها الشياطين عن استراق السمع. قال محمد بن كعب القرظى: إن النجم لايطلع لموت أحد ولا[لحياته][2]، ولكنه زينة الدنيا ورجوم الشياطين. وعن قتادة قال: خلق الله النجوم لثلاثة أشياء: جعلها زينة للسماء الدنيا، ورجوما للشياطين، وهاديا للناس فى الطرق، فمن تكلف غير ذلك فقد قال مالا علم له به.

---

(١) فى «الأصل وك»: بالام، والتصويب من لسان العرب (٢ / ٤٦)، والسمت هو الطريق.

(٢) من «ك»،وفى الأصل»: حياته.

وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾

وقوله تعالى: ﴿ وأعتدنا لهم عذاب السعير ﴾ أى: المسعرة. وعن ابن عباس: أن السعير هو الطبق الرابع من جهنم.

وقوله: ﴿ وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم ﴾ إنما سمى جهنم جهنما لبعد قعرها، تقول العرب: ركية جهنام أى: بعيدة القعر.

وقوله: ﴿ وبئس المصير ﴾ أى: المرجع.

قوله: ﴿ إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا ﴾ أى: لجهنم، والشهيق: أول صوت الحمار. وقيل: الشهيق. أول صوته، والزفير. آخر صوته. وقيل: الشهيق فى الصدر، والزفير فى الحلق. وقيل: إن الشهيق من الكفار حين يدخلون جهنم. والقول الأول أظهر فى هذه الآية.

وقوله: ﴿ وهى تفور ﴾ قال ابن مسعود: تغلى غليان القدر بما فيه. وعن مجاهد: تغلى غليان الماء الكثير بالحَبِّ القليل.

وقوله: ﴿ تكاد تميز من الغيظ ﴾ أى: تتقد وتتفرق. يقال: فلان امتلأ غيظا حتى يكاد يتقد. وغيظها حنقا على أعداء الله وانتقامها.

وقوله: ﴿ كلما ألقى فيها فوج ﴾ أى: قوم ﴿ سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ﴾ أى: رسول. وعن مجاهد قال: الرسل من الإنس، والنذر من الجن. وهو قول مهجور.

قوله تعالى: ﴿ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شىء إن أنتم إلا فى ضلال كبير ﴾ أى: عظيم. ويقال: خاطئين.

وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴿١٠﴾ فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير ﴿١١﴾ إن الذين يخشون ربهم بالغيب

قوله تعالى: ﴿وقالوا لوكنا نسمع أو نعقل﴾ أى: نسمع سماع من يميز ويتفكر، ونعقل عقل من يتدبر وينظر ﴿ماكنا فى أصحاب السعير﴾ والمعنى: أنا لم نسمع الحق ولم نعقله أى: لم ننتفع بأسماعنا وعقولنا. وفى بعض الغرائب من الأخبار: أن النبى ﷺ قال: «لكل شيء دعامة، ودعامة الدين العقل»[١]

وروى أيضا أن النبى ﷺ قال: «إن الرجل يكون من أهل الجهاد وأهل الصلاة وأهل الصيام، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وإنما يجازى يوم القيامة على قدر عقله»[٢] وهو حديث حسن الإسناد[٣].

قوله تعالى: ﴿فأعترفوا بذنبهم﴾ أى: بذنوبهم، واحد بمعنى الجمع، وقوله: ﴿فسحقا لأصحاب السعير﴾ أى: بعدا، يقال: مكان سحيق أى: بعيد. وعن مجاهد: السحق اسم واد فى جهنم.

قوله تعالى: ﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ أى: بالوعد والوعيد الذى غاب عنه، ويقال: بالجنة والنار، ويقال: فى الخلوات.

---

(١) عزاه الحافظ ابن حجر فى المطالب (٣/ ١٧ رقم ٢٧٥٤) للحارث بن أبى أسامة فى مسنده عن أبى سعيد به مرفوعا، وأشار إلى وضعه، وأنها من نسخة داود بن المحبر صاحب كتاب العقل، وهى موضوعة كلها.

وقال البوصيرى فى إتحاف المهرة: كل حديث فى هذا الباب ضعيف، بل موضوع لايثبت منها الشيء. وأقر ابن عراق فى تنزيه الشريعة (١/ ٢١٥) كلام الحافظ ابن حجر.

(٢) رواه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده عن أبى الدرداء كما فى المطالب العالية (٣/ ٢١ رقم ٢٧٦٧) ونبه الحافظ على وضعه، كما تقدم. وروى من حديث ابن عمر مرفوعا به، رواه الطحاوى فى المشكل (٢/ ١٢٥)، والعقيلى (٤/ ١٩٢)، وابن حبان فى المجروحين (٣/ ٤٠)، والخطيب فى تاريخه (١٣/ ٧٩ - ٨٠)، وابن الجوزى فى الموضوعات (١/ ١٧٢). وقال ابن معين وأبو حاتم: باطل، كما فى العلل لابن أبى حاتم (٢/ ١٢٩ رقم ١٨٧٩). وانظر تنزيه الشريعة (١/ ٢٠٣).

(٣) كذا قال رحمه الله، وانظر ما تقدم.

لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا

وقوله: ﴿لهم مغفرة وأجر كبير﴾ أى: عظيم.

قوله تعالى: ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به﴾ فى التفسير: أن الكفار كان بعضهم يقول لبعض: أسروا بقولكم حتى لايسمع رب محمد فيخبره قولكم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله: ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ أى: بما فى الصدور. قال الحسن: يعلم من السر مايعلم من العلانية، ويعلم من العلانية مايعلم من السر.

قوله تعالى: ﴿ألا يعلم من خلق﴾ استفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ، والمعنى: ألا يعلم من فى الصدور من خلق الصدور. ويقال: ألا يعلم ماخلق، «من» بمعنى «ما»، وهو مثل قوله تعالى: ﴿والسمآء وما بناها﴾[1] أى: ومن بناها.

وقوله: ﴿وهو اللطيف الخبير﴾ أى: اللطيف فى علمه، يعلم مايظهر ومايسر وكل مادق، يقال: لطيف، ويقال: الخبير هو العالم.

قوله تعالى: ﴿هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا﴾ أى: مذللة، وتذليلها: تسهيل السير فيها والقرار عليها.

وقوله: ﴿فامشوا فى مناكبها﴾ أى: فى جوانبها، ويقال: فى فجاجها، ويقال: فى طرقها، وقيل: فى جبالها. وعن بشير بن كعب الأنصارى أنه كان يقرأ هذه السورة، فبلغ هذه الآية، فقال لجارية له: إن عرفتى معنى قوله: ﴿فى مناكبها﴾ فأنت حرة، فقالت: فى جبالها. فشح الرجل بالجارية وجعل يسأل أبا الدرداء فقال: دع مايريبك إلى مالايريبك خلها. وحكى قتادة عن أبى الجلد قال: الأرض كلها [أربعة][2] وعشرون ألف فرسخ؛ اثنا عشر ألفا للسودان، وثمانية آلاف للروم، وثلاثة آلاف للعجم، وألف للعرب.

---

(١) الشمس: ٥.

(٢) فى الأصل «ك»: أربع.

فامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ

وقوله: ﴿ وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ أى: فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ أأمنتم من فى السماء ﴾ قال ابن عباس أى: الله.

وقوله: ﴿ أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور ﴾ أى: تضطرب وتدور، ويقال: تمور أى: تخسف بكم حتى تجعلكم فى أسفل الأرضين، قال الشاعر:

رمين فأقصدن القلوب ولن ترى ... دمًا مائرًا إلا جرى فى الحيازم

أى: سائلا.

قوله تعالى: ﴿ أم أمنتم من فى السماء ﴾ أى: أأمنتم ربكم ﴿ أن يرسل عليكم حاصبا ﴾ أى: ريحا ذات حصباء ،ويقال: حجارة فيهلككم بها. والحصباء الحجارة.

وقوله: ﴿ فستعلمون كيف نذير ﴾ أى: إنذارى، والمعنى :كنت محقا فى إنذارى إياكم العذاب.

قوله تعالى: ﴿ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير ﴾ أى: إنكارى.

قوله تعالى: ﴿ أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ﴾ يقال: صف الطير جناحه إذا بسطه، وقبضه إذا ضربه، والمراد من القبض: هو ضرب الجناحين بالجنبين، وهذا القبض والبسط فى بعض الطيور لافى جميع الطيور، فإن بعضها يقبض بكل حال، وبعضها يبسط تارة ويقبض أخرى.

وقوله: ﴿ مايمسكهن إلا الرحمن ﴾ يعنى: ما يمسكهن عن الوقوع إلا الرحمن. قالوا: والهواء للطير بمنزلة الماء للسابح، فهو يسبح فى الهواء بجناحيه كما يسبح الإنسان فى الماء بأطرافه.

وقوله: ﴿ إنه بكل شىء بصير ﴾ أى: عليم.

﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم﴾ معناه: أين هذا الذى هو جند لكم يمنعكم من عذاب الله؟ وهو استفهام بمعنى التوبيخ والإنكار.

وقوله تعالى: ﴿إن الكافرون إلا فى غرور﴾ أى: ما الكافرون إلا فى غرور.

قوله تعالى: ﴿أمن هذا الذى يرزقكم﴾ المعنى: أن الله هو الذى يرزقكم إن أمسك رزقه، فمن [ذا] الذى يرزقكم سواه؟.

وقوله: ﴿بل لجوا فى عتو ونفور﴾ العتو هو التمادى فى الكفر، والنفور هو التباعد عن الحق. ويقال المعنى: أن اللجاج حملهم على الكفر والنفور عن الحق، فإن الدلائل أظهر وأبين من أن تخفى على أحد، والعرب تسمى كل سفيه متمرد متماد فى الباطل عاتيا.

قوله تعالى: ﴿أفمن يمشى مكبا على وجهه﴾ فى الضلالة لا يبصر الحق. ويقال: مكبا على وجهه أى: لاينظر من بين يديه ولاعن يمينه ولاعن (يساره)[1] ولامن خلفه. وقيل: إن هذا فى الآخرة، فإن الله تعالى يحشر الكفار على وجوههم على مانطق به القرآن فى غير هذا الموضع، وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: «إن الذى قدر أن يمشيهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم»[2].

وقوله: ﴿أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم﴾ أى: يمشى فى طريق الحق بنور الهدى. ويقال: ينظر من بين يديه وعن يمينه وعن يساره ومن خلفه. وقيل: هو فى الآخرة. وعن عكرمة قال: قوله: ﴿أفمن يمشى مكبا على وجهه﴾ هو أبو جهل، وقوله: ﴿أم من يمشى سويا على صراط مستقيم﴾ هو عمار بن ياسر. وحكى بعضهم عن ابن عباس: أنه حمزة بن عبد المطلب وكنيته أبو عمارة.

(١) فى «ك»: شماله.

(٢) تقدم تخريجه.

قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون﴾ أى: قل شكركم لهذه النعم.

قوله تعالى: ﴿قل هو الذى ذرأكم فى الأرض﴾ أى: خلقكم فى الأرض ﴿وإليه تحشرون﴾ أى: فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ أى: القيامة.

قوله تعالى: ﴿قل إنما العلم عند الله﴾ أى: علم الساعة عند الله.

وقوله: ﴿وإنما أنا نذير مبين﴾ أى: منذر بيِّن النذارة.

قوله: ﴿فلما رأوه زلفة﴾ قال المبرد وثعلب: أى: رأوا العذاب حاضرا. وقيل: قريبا.

وقوله: ﴿سيئت وجوه الذين كفروا﴾ أى: تبين السوء والكآبة فى وجوههم. ويقال: اسودت وجوههم.

قوله تعالى: ﴿وقيل هذا الذى كنتم به تدَّعون﴾ وقرئ فى الشاذ: «تدْعُون» بغير تشديد. وعن بعضهم: أن تدَّعون وتدْعون بمعنى واحد، فقوله: ﴿تدَّعُون﴾ أى: تدعون الله به. وقوله: ﴿تدْعُون﴾ أى: تتداعون به، وهو مثل قوله: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾[1] وقال تعالى فى آية أخرى: ﴿قالوا ربنا عجل لنا قطنا﴾[2] أى: نصيبنا من العذاب. قال ابن قتيبة: تدَّعون افتعال من الدعاء. وعن بعضهم: تدَّعون أى: تكذبون. ويقال: تستعجلون

---

(١) الأنفال: ٣٢.

(٢) ص: ١٦.

قُلْ أرأيتُمْ إنْ أهْلكني اللّهُ ومن مّعي أوْ رحمنا فمن يُجيرُ الْكافرين منْ عذاب أليم ﴿٢٨﴾ قُلْ هُو الرَّحْمنُ آمنّا به وعليْه توكّلْنا فستعْلمُون منْ هُو في ضلال مُّبين ﴿٢٩﴾ قُلْ أرأيْتُمْ إنْ أصْبح ماؤُكُمْ غوْرا فمن يأْتيكُم بماء مّعين ﴿٣٠﴾

وتمترون وتختلفون. وقيل: تدعون تمنون. تقول العرب لغيره: ادع ماشئت أى: تمن، وهذا القول يقرب من القول الأول.

قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا﴾ قال أهل التفسير: كان الكفار يقولون: إن محمدا وأصحابه أكلة رأس، يهلكون عن قريب، وكل يرجون الأباطيل فى حق الرسول وأصحابه، فقال الله تعالى: ﴿قل أرايتم إن أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا﴾ يعنى: إن نجونا أو هلكنا [﴿فمن يجير الكافرين من عذاب أليم﴾ أى](١): فمن يجيركم من عذاب الله تعالى وقد كفرتم به.

قوله تعالى: ﴿قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو فى ضلال مبين﴾ أى: خطأ بين، وتباعد من الحق وضلال عنه.

قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا﴾ أى: غائرا، ومعناه: ذاهبا. قال قتادة: ويقال: لاتناله الدلاء، قاله سعيد بن جبير. وقيل: إن الآية نزلت فى بئر زمزم وبئر ميمون، وهما بمكة.

وقوله: ﴿فمن يأتيكم بماء معين﴾ قال ثعلب: أى ظاهر. وهو منقول عن الحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم. ويقال: بماء عذب، ويقال: بماء جار. يعنى: أن الله هو القادر أن يأتى به، ولا تصلون إليه بأنفسكم.

---

(١) من «ك».



تفسير سورة القلم

وهى مكية فى قول الأكثرين . وعن بعضهم : أن بعضها مكية، وبعضها مدنية .

قوله تعالى : ﴿ ن ﴾ اختلف القول فيه؛ قال مجاهد : هى السمكة التى عليها قرار الأرضين . وفى تفسير النقاش : أن جميع المياه تنصب من شدقها .

والقول الثانى : أنه اسم من أسماء السورة .

والقول الثالث : أنه حرف من حروف التهجى . وعن ابن عباس : أن « الر » و« حم » و« ن » مجموع من اسم الرحمن .

والقول الرابع : أن النون هى الدواة، وهو قول الحسن وقتادة، وفيه خبر مأثور برواية أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « إن الله خلق أول ما خلق القلم، ثم خلق النون وهى الدواة، ثم قال للقلم : اكتب . فقال : وما أكتب؟! فقال : اكتب ما يكون وما كان من عمل وأجل ورزق إلى يوم القيامة . فكتب القلم وختم الله على فىِّ القلم فلم ينطق، ولا ينطق إلى يوم القيامة، ثم خلق العقل و قال له : ما خلقت خلقا أعجب إلىَّ منك، وعزتى لأكَمِّلنك فيمن أحببت، ولأنقصنَّك فيمن أبغضت، ثم قال النبى ﷺ : أكمل الناس عقلا أطوعهم لله وأعملهم بطاعته، وأنقص الناس عقلا أطوعهم للشيطان وأعملهم بطاعته »(١) .

---

(١) رواه ابن عدى فى الكامل (٦ / ٢٦٩) وقال : وهذا بهذا الإسناد باطل منكر . وأيده الذهبى فى الميزان (٤ / ٦١)، وعزاه الحافظ فى اللسان (٧ / ٤١) للدارقطنى فى الغرائب – وانظر كلام الدارقطنى هناك – ومن طريقه رواه ابن عساكر كما فى اللآلئ (٢ / ١٣١) . وعزاه السيوطى فى الدر للحكيم الترمذى مختصراً (٦/ ٢٧٦) .

﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا

قوله: ﴿والقلم﴾ فى التفسير: أنه خلق من نور، وطوله ما بين السماء والأرض. وفى خبر عبادة بن الصامت أن النبى ﷺ قال: «أول ما خلق الله القلم وقال له: اكتب. فقال: وما أكتب؟ قال: ما هو كائن إلى يوم القيامة»(١).

واختلف القول فى هذه الدواة والقلم، الأكثرون أنه الدواة والقلم الذى كتب به الذكر فى السماء.

و القول الثانى: أنه الدواة والقلم الذى يكتب به بنو آدم. ومعنى الآية هو القسم، ولله أن يقسم بما شاء من خلقه. وقال قتادة: لولا القلم ما قام لله دين، ولا كان للخلق عيش.

وقوله: ﴿وما يسطرون﴾ أى: ما يكتبون من أعمال بنى آدم يعنى: الملائكة. وحكى النقاش عن ابن عباس: أن الكفار لا يكتب لهم حسنات ولا سيئات، وإنما يكتب ذلك للمؤمنين وما يفعلون من الحسنات فى الدنيا ويكافئون عليها، وما يفعلون من السيئات، فالشرك أعظم من ذلك كله.

قوله تعالى: ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ هذا موضع القسم، وهو جواب لقولهم على ما حكى الله تعالى عنهم: ﴿وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾(٢).

وقوله: ﴿بنعمة ربك﴾ أى: برحمة ربك. ويقال: بإنعامه عليك، كأنه نفى عنه الجنون بما أنعم الله عليه، كما يقول القائل لغيره: أنت عاقل أو غنى بنعمة الله عليك.

وقوله: ﴿وإن لك لأجرا غير ممنون﴾ أى: غير منقطع. ويقال: غير محسوب. ويقال: غير ممتن به عليك.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الحجر: ٦.

غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾

وقوله: ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ أى: على الخلق الذى أدبك الله به مما نزل به القرآن من الإحسان إلى الناس، والعفو، والتجاوز، وصلة الأرحام، وإعطاء النَّصَفة، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وما أشبه ذلك. وفى حديث سعد بن هشام أنه سأل عائشة – رضى الله عنها – عن خلق النبى ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»[١]. أى: كان موافقا لما نزل به القرآن. وفى رواية أنها قالت: «لم يكن رسول الله فحاشا ولا متفحشا، ولايجزئ السيئة بمثلها، ولكن يعفو ويصفح»[٢]. وقال السدى: وإنك لعلى خلق عظيم أى: على الإسلام. وقال زيد بن أسلم: على دين عظيم، وهو الدين الذى رضيه الله تعالى لهذه الأمة، وهو أحب الأديان إلى الله تعالى.

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى خلق مائة وسبعة عشر خُلُقًا، فمن جاء بواحدة منها دخل الجنة»[٣]. وعنه ﷺ أنه قال: «بعثت لأتمم مصالح

---

(١) رواه مسلم (٦ / ٣٧ – ٤٢ رقم ٧٤٦)، وأبو داود (٢ / ٤٠ – ٤١ رقم ١٣٤٢)، والنسائى (٣ / ١٩٩ – ٢٠١ رقم ١٦٠١)، وأحمد (٦ / ٩١، ١٦٣)، والحاكم (٢ / ٤٩٩) وصححه على شرطهما، والبيهقى فى سننه (٢ / ٤٩٩ – ٥٠٠). وفى الدلائل له أيضًا (١ / ٣٠٨).

(٢) رواه الترمذى (٤ / ٣٢٤، رقم ٢٠١٦) وقال: حسن صحيح، وفى الشمائل (٢٧٤ رقم ٣٣٠)، وأحمد (٦ / ١٧٤، ٢٣٦، ٢٤٦)، والطيالسى (٢١٤ رقم ١٥٢٠)، والبيهقى فى الدلائل (١ / ٣١٥)، وابن عساكر فى تاريخه (٣ / ٣٨٠ – ٣٨٢ رقم ٧٣٦ – ٧٤٠).

(٣) رواه الطيالسى (١٤ رقم ٨٤)، والبزار (٢ / ٩١ رقم ٤٤٦)، وابن أبى الدنيا فى مكارم الأخلاق (٢٤ رقم ٢٧)، وابن الجوزى فى العلل (٢ / ٩٣٣ – ٩٣٤ رقم ١٥٥٧) من حديث عثمان بن عفان به. وقال البزار: لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه، وعبد الواحد بن زيد ليس بالقوى، وعبد الله بن راشد لا نعلم حدث عنه إلا عبد الواحد.

وذكره الدارقطنى فى العلل (٣ / ٣٨ – ٣٩ رقم ٢٧١) وقال: يرويه عبد الواحد بن زيد عن عبد الله بن راشد، عن عثمان، وخالفه الحسن بن ذكوان، رواه عن عبد الله بن راشد عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا. وهما بصريان ضعيفان، والحديث غير ثابت.

وعزاه الهيثمى فى المجمع (١ / ٤١) لأبى يعلى فى المسند الكبير وقال: وفي إسناده عبد الله بن راشد وهو ضعيف.

الأخلاق »[١].

وقيل: على خلق عظيم أى: طبع كريم.

قوله: ﴿ فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون ﴾ وقال أبو عبيدة الباء صلة. ومعناه: أيكم المفتون، وأنشد شعرا:

نضرب بالسيف ونرجوا بالفرج

أى: الفرج.

وأما الفراء والزجاج وسائر النحويين لم يرضوا هذا القول، وذكروا قولين آخرين: أحدهما: أن معنى قوله: ﴿ بأيكم المفتون ﴾ أى: بأيكم الفتنة يقال: ما لفلان معقول ولا مجلود أى: عقل ولا جلد.

والقول الثانى: بأيكم المفتون أى: فى أيكم المفتون (يعنى)[٢]: فى الفرقة التى فيها رسول الله وأصحابه، أو فى الفرقة التى فيها أبو جهل وذووه. وحقيقة المعنى: أنكم تبصرون يوم القيامة، وتعلمون أن المجنون كان فيكم، لا فى رسول الله ﷺ وأصحابه أى: فى الفرقة التى فيها رسول الله وأصحابه. وذكر النحاس [قولين][٣] أيضا قال: معنى قوله: ﴿ بأيكم المفتون ﴾ أى: بأيكم [فتنة][٤] المفتون مثل قوله

---

(١) رواه البخارى فى الأدب (ص٨٤)، وفى التاريخ (٧ / ١٨٨)، وأحمد (٢ / ٣٨١)، ومالك فى الموطأ (٢ / ٩٠٤) بلاغا، وابن سعد فى الطبقات (١ / ١٥١)، وابن أبى الدنيا فى مكارم الأخلاق (٢١ رقم ١٣). والحاكم (٢ / ٦١٣) وصححه على شرط مسلم، والبيهقى فى السنن (١٠ / ١٩١ - ١٩٢)، والقضاعى فى الشهاب (٢ / ١٩٢ - ١٩٣ رقم ١١٦٥)، وابن عساكر فى تاريخه (١٩ / ٢٥٢) عن أبى هريرة مرفوعا.
وقال ابن عبد البر: هو متصل من وجوه صحاح عن أبى هريرة وغيره مرفوعا. المقاصد الحسنة (١٨٠).

(٢) فى « ك »: أى.

(٣) فى « الأصل، وك » : قولان، وهو خلاف الجادة.

(٤) فى « الأصل، وك » : الفتنة.

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ

تعالى: ﴿واسأل القرية﴾(١) أى: أهل القرية(٢).

قوله تعالى: ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿فلا تطع المكذبين﴾ يعنى: المكذبين بآيات الله.

وقوله: ﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾ أى: تضعف فى أمرك فيضعفون، أو تلين لهم فيلينون. والمداهنة معاشرة فى الظاهر، ومحالة من غير موافقة الباطن. وقال القتيبى فى معنى الآية: إن الكفار قالوا للنبى ﷺ نعبد معك إلهك مدة، وتعبد معنا إلهنا مدة، فهو معنى قوله: ﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾ أى: تميل إلى مرادهم فيميلون إلى مرادك.

قوله تعالى: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾ قال ابن عباس: هو الوليد بن المغيرة. وعن مجاهد: هو الأسود بن عبد يغوث. وعن بعضهم: هو الأخنس بن شريق. وقيل: هو على العموم.

وقوله: ﴿كل حلاف﴾ أى: كثير الحلف.

قوله: ﴿مهين﴾ أى: حقير، ومعناه ها هنا: قلة الرأى والتمييز.

وقوله: ﴿هماز﴾ أى: (عتاب)(٣) مغتاب طعّان فى الناس.

وقوله: ﴿مشاء بنميم﴾ أى: بالنميمة، وهو نقل الحديث من قوم إلى قوم. وقد ثبت عن النبى ﷺ برواية حذيفة أنه قال: «لا يدخل الجنة قتات»(٤) أى: نمام. وعنه

---

(١) يوسف: ٨٢.

(٢) لم يذكر القول الثانى، فليتنبه.

(٣) فى «ك»: عياب.

(٤) متفق عليه، رواه البخارى (١٠ / ٤٨٧ رقم ٦٠٥٦)، ومسلم (٢/١٤٨ - ١٥٠ رقم ١٠٥).

بنميم ﴿١١﴾ مناع للخير معتد أثيم ﴿١٢﴾ عتل

عليه الصلاة والسلام أنه قال: «شرار الناس المشاءون بالنميمة الباغون للبراء العنت[(١)]»[(٢)]. وعن يحيى بن أبى كثير قال: يفسد النمام فى يوم ما لا يفسده الساحر فى شهر.

وقوله: ﴿مناع للخير﴾ أى: بخيل: ويقال: مناع من الإسلام. وكان الوليد بن المغيرة قال لبنيه وأهله: من أسلم منكم قطعت منه رفدى ورفقى.

وقوله: ﴿معتد﴾ أى: متجاوز فى الظلم.

وقوله: ﴿أثيم﴾ أى: كثير الإثم.

قوله: ﴿عتل﴾ أى: الفاحش الخلق. وقيل: الجافى الغليظ. وقال ابن عباس: من يعمل السوء ويعرف به. أورده النقاش. وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ألا أنبئكم بأهل النار؟ كل جَعْظَرِىٍّ جوّاظ صخاب بالأسواق، جيفة بالليل حمار بالنهار، وعالم بالدنيا جاهل بالآخرة»[(٣)]. فمعنى الجعظرى: هو الأكول الشروب الظلوم، وهو كالعتل. والجواظ: هو الجمّاع المنّاع، ذكره شداد بن أوس، وقال ثعلب: الجواظ: هو الكثير اللحم المختال فى مشيته. ويقال: فلان جظ، أى: ضخم.

---

(١) أى: الطالبون العيوب القبيحة والفساد والغلط للشرفاء المنزهين عن الفواحش. النهاية (٣/٣٠٦).

(٢) رواه أحمد (٦/٤٥٩)، وعبد بن حميد (٤٥٧ رقم ١٥٨٠)، وابن أبى الدنيا فى الغيبة (رقم ١١٩)، والطبرانى فى الكبير (٢٤/ ١٦٧ - ١٦٨ رقم ٤٢٣ - ٤٢٥)، والخرائطى فى مساوئ الأخلاق (٩٨ رقم ٢٣٢)، وأبو الشيخ فى التوبيخ (٢٣٧ - ٢٣٨ رقم ٢١٧) جميعهم من حديث شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد به. ورواه أحمد (٤/ ٢٢٧) عن شهر عن عبد الرحمن بن غنم به. ورواه أبو الشيخ فى التوبيخ (رقم ٢٣٣) عن شهر عن عبد الرحمن بن غنم عن أبى مالك الأشعرى به.

وقال العراقى فى المغنى (٢/١٦٣) رواه أحمد من حديث أسماء بسند ضعيف. وعزاه الهيثمى فى المجمع (٨/ ٩٦) للطبرانى من حديث عبادة بن الصامت، وفيه يزيد بن ربيعة، وهو متروك.

(٣) رواه ابن حبان فى صحيحه (١/٢٧٣ - ٢٧٤)، وأبو الشيخ فى الأمثال (١٤٦ رقم ٢٣٤)، والبيهقى (١٠/ ١٩٤) من حديث أبى هريرة به.

بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ

وفى بعض الغرائب من الأخبار أن النبى - عليه السلام - قال: «تبكى السماء من عبد أصحَّ الله جسْمَه، وأرحب جوفه، وأعطاه مقضما ثم يكون ظلوما، وتبكى السماء من شيخ زان، وتكاد الأرض لا تُقلّه»(١).

وقوله: ﴿بعد ذلك زنيم﴾ أى: دَعِىّ. وقيل: مُلْصَق بالقوم وليس منهم. ويقال: الذى له زَنَمة فى الشر يعرف بها مثل زنمة الشاة. قال حسان فى الزنيم:

زنيمٌ تداعاه الرجال زيادة ... كما زيد فى عَرْضِ الأديم الأكاريع

قوله تعالى: ﴿أن كان ذا مال وبنين﴾ وقرئ: «أأن كان». فقوله: ﴿أن﴾ أى: لأن كان ذا مال وبنين يفعل كذا ويقول كذا أى: لأجل أنه. وقوله: «أأن كان» أى: ولا تطعه، وإن كان ذا مال وبنين.

وقوله: ﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ قد بينا. والأساطير واحدها أسطورة. وقال الكسائى: ترهات من الكلام لا نظام لها.

وقوله تعالى: ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ قال أبو عبيدة والمبرد وغيرهما: الخرطوم: الأنف. ومعناه: يجعل على أنفه سمة يعرف بها أنه من أهل النار. قال جرير:

لما وضعت على الفــرزدق مِيسمِى ... وعلى البعيث جدعْتُ أنف الأخْطل

ويقال: معنى قوله: ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ أى: سنسود وجهه، (ووصف)(٢) الأنف موضع الوجه لأنه منه. وقيل: يلصق به عارا ومسبة وشينا لايفارقه أبدا.

قوله تعالى: ﴿إنا بلوناهم﴾ أى: أهل مكة، وذلك حين دعا رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٩ / ١٦) من رواية زيد بن أسلم عن النبى ﷺ مرسلا. وعزاه السيوطى فى الدر (٦ / ٢٧٩) لعبد الرزاق، وابن المنذر.

وقال الحافظ ابن كثير (٤ / ٤٠٤) بعد ما أورده من رواية الطبرى: وهكذا رواه ابن أبى حاتم من طريقين مرسلين.

(٢) كذا، ولعله: ووضع، فهو الأنسب للسياق.

كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ﴿١٧﴾ ولا يستثنون ﴿١٨﴾ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ﴿١٩﴾

وقال: «اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف؛ فأصابهم الجوع حتى أكلوا العلهز[١] والعظام المحترقة»[٢].

وقوله: ﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾ في أكثر التفاسير أن هذا رجل شيخ باليمن كان له بنون، وله بستان يتصدق منه على المساكين، وينفق منه على نفسه وأولاده. ويقال: كان يتصدق بالثلث، وينفق على نفسه وأولاده الثلث، ويرد الثلث في عمارة الجنة، فلما مات الشيخ قال بنوه: العيال كثير، والدخل قليل ولايفي بإعطاء المساكين، فتوافقوا على أن يذهبوا إلى البستان حين يصبحون على سدفة من الليل، فيصرموا ويقطعوا قبل أن يعلم المساكين. وكان المساكين قد اعتادوا الحضور عند الجذاذ والصرام؛ فحين اتفقوا على ذلك أرسل الله تعالى نارا من السماء في تلك الليلة فاحترق البستان والأشجار، ويقال: إن هذا الرجل هو رجل من ثقيف.

وقوله: ﴿إذ أقسموا﴾ أي: حلفوا.

وقوله: ﴿ليصرمنها مصبحين﴾ أي: يقطعون في الوقت الذي قلنا.

وقوله: ﴿ولايستثنون﴾ أي: لم يقولوا: إن شاء الله.

وقوله: ﴿فطاف عليها طائف من ربك﴾ أي: طرق طارق من العذاب، وهي النار التي أرسلها الله تعالى. والعرب لاتستعمل الطائف إلا في العذاب. وفي بعض التفاسير: أن الله تعالى أمر ملكا حتى اقتلع تلك الجنة بأشجارها وغروسها فوضعها في موضع الطائف اليوم.

وقوله: ﴿وهم نائمون﴾ ذكرنا.

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية: (٣/٢٧٣) هو شيء يتخذونه في سني المجاعة. يخلطون الدم بأوبار الإبل ثم يشوونه بالنار ويأكلونه، وقيل فيه غير ذلك، راجع النهاية.

(٢) تقدم تخريجه.

فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾

قوله: ﴿ فأصبحت كالصريم ﴾ أى: كالليل المظلم. ويقال: كالنهار الذى لا شىء فيه.

والعرب تسمى العامر من الأرض نهارًا لبياضه، والغامر ليلا لسواده وخضرته. والصريم من الأضداد، هو اسم لليل والنهار جميعا؛ لأن كل واحد منهما يقطع عن صاحبه. و يقال: كالصريم أى: المصروم فاعل بمعنى مفعول يعنى: أنه لم يبق شىء فيها.

وقوله: ﴿ فتنادوا مصبحين ﴾ أى: نادى بعضهم بعضا عند الصباح.

وقوله: ﴿ أن اغدوا على حرثكم ﴾ أى: اقصدوا حرثكم. وفى القصة: أنه كانت لهم حروث وأعناب.

وقوله: ﴿ إن كنتم صارمين ﴾ أى: قاطعين. يقال: فى العنب الصرام، وفى الزرع الحصاد.

قال الشاعر:

غدوت عليه غدوة فوجدته ... قعودا عليه بالصريم عواذله

والصريم ها هنا: هو الجرة السوداء. وقد ذكره ابن فارس فى معنى الصريم الذى ذكرناه من قبل. وعن ابن جريج أنه قال: خرجتْ عنق من النار من جوف واديهم فأحرقت جنتهم.

وقوله: ﴿ إن كنتم صارمين ﴾ قال مجاهد: المراد منه صرام العنب. وكان حرثهم العنب.

قوله: ﴿ فانطلقوا وهم يتخافتون ﴾ أى: يتكلمون سرا وخفية، وكان كلامهم لايدخلنها اليوم عليكم مسكين أى: لا تتركوا المساكين [يدخلون][1] عليكم.

---

(١) فى «الأصل، وك»: يدخلوا، والصواب ما أثبتناه.

وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ

وقوله: ﴿ وغدوا على حرد قادرين ﴾ أشهر الأقاويل أن معناه: على حسد، وهو قول قتادة ومجاهد والحسن وجماعة. وعن الشعبي وسفيان أنهما قالا: على غضب. أي: على المساكين. وقال أبو عبيدة: «على حرد» أي: على منع. يقال: حاردت السنة فليس فيها مطر، وحاردت الناقة إذا لم يكن بها لبن. ومعنى المنع هو ما عقدوه من منع المساكين. وعن الحسن في رواية: على حرص. وقيل: على قصد. قال الشاعر:

أقبل سَيْلٌ جاء من أمر الله يحْرِدُ حَرْدَ الجنة المُغِلَّة

أي: يقصد. وعن السدي: أن الحرد اسم جنتهم.

وقوله: ﴿ قادرين ﴾ أي: قادرين عند أنفسهم على الصرام.

وقيل: «قادرين» أي: على أمر أسسوه بينهم.

قوله تعالى: ﴿ فلما رأوها قالوا إنا لضالون ﴾ يعني: أنهم لما رأوا موضع الجنة وليس فيها شجر ولا نبات قالوا: إنا لضالون أي: أخطأنا طريق جنتنا.

وقوله: ﴿ بل نحن محرومون ﴾ معناه: أنهم تنبهوا على الأمر، وعرفوا أنهم لم يخطئوا الطريق فقالوا: بل نحن محرومون أي: نزل العذاب وحرمنا ثمار جنتنا.

قوله تعالى: ﴿ قال أوسطهم ﴾ أي: خيرهم وأعدلهم. ومثله قوله تعالى: ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾(١) أي: عدلا خيارا. وقال سعيد بن جبير: أعقلهم.

وقوله: ﴿ ألم أقل لكم لولا تسبحون ﴾ أي: هلا قلتم إن شاء الله تعالى. ووضع التسبيح ها هنا موضع المشيئة؛ لأن التسبيح هو تنزيه الله تعالى عن كل سوء. وقوله: إن شاء الله فيه معنى التنزيه، وهو أنه لا يملك أحد فعل شيء إلا بمشيئة، فينزه أن

---

(١) البقرة: ١٤٣.

﴿٢٩﴾ فأقبل بعضهم علىٰ بعض يتلاومون ﴿٣٠﴾ قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين ﴿٣١﴾ عسىٰ ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلىٰ ربنا راغبون ﴿٣٢﴾ كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴿٣٣﴾ إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم ﴿٣٤﴾

يكون شيء في ملكه إلا أن يريده. وعن عكرمة: أنه كان استثناؤهم هو التسبيح يعني: أنهم كانوا يقولون مكان قولنا إن شاء الله: سبحان الله.

وقوله: ﴿قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين﴾ أي: بمنع المساكين.

وقوله: ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون﴾ أي: يلوم بعضهم بعضا، فيقول هذا لذاك: أنت فعلت والذنب لك، ويقول ذلك لصاحبه مثله.

وقوله: ﴿قالوا يا ويلنا﴾ دعوا بالويل على أنفسهم.

وقوله: ﴿إنا كنا طاغين﴾ أي: ظالمين.

وقوله: ﴿عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها﴾ هذا إخبار عن توبتهم وندامتهم، وسؤالهم من الله تعالى أن يبدلهم بجنتهم خيرا منها فيعطوا حق المساكين. وفي بعض التفاسير: أن الله تعالى قبل توبتهم وأعطاهم جنة خيرا منها. والله أعلم.

وقوله: ﴿إنا إلى ربنا راغبون﴾ أي: بسؤالنا.

وقوله: ﴿كذلك العذاب﴾ أي: كذلك عذاب الدنيا.

وقوله: ﴿ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ أي: عذاب الآخرة. ويقال: كما عذبنا هؤلاء وأنزلنا بهم، كذلك نعذب قريشا وننزله بهم. وروى في التفسير: أن الله تعالى أنزل العذاب بهم يوم بدر، فإنهم لما خرجوا إلى بدر قالوا: لنقتلنهم، ولنقتلن محمدا ولنأسرنهم، ونرجع إلى مكة فنطوف بالبيت، ونحلق رءوسنا، ونشرب الخمر، وتعزف على رءوسنا القيان، وحلفوا على ذلك، فأخلف الله ظنهم ونزل بهم ما نزل من القتل والأسر.

قوله تعالى: ﴿إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾ لما ذكر عذاب الكفار وما ينزله بهم ذكر ما وعده للمؤمنين في هذه الآية؛ فروى أن عتبة بن ربيعة قال لما نزلت

أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ

هذه الآية: لئن أعطاكم الله تعالى فى ا لآخرة جنات النعيم فيعطينا مثل ما يعطيكم أو خيرا منها، فأنزل الله تعالى: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾ [أى](1): نسوى بين المسلمين والمشركين فى إعطاء جنات النعيم، وهو مذكور على طريق الإنكار أى: لا يفعل كذلك.

وقوله: ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ أى: كيف تقضون؟ والمراد من الحكم هو حكمهم فى أنفسهم بالجنة.

وقوله: ﴿أم لكم كتاب فيه تدرسون﴾ أى: تدرسون ما تحكمون به. وقيل: ترددون النظر فيه، فتحكمون منه لأنفسكم ما حكمتم.

وقوله: ﴿إن لكم فيه لما تخيرون﴾ أى: تختارون، وهو بيان لذلك الحكم.

وقوله تعالى: ﴿أم لكم أيمان علينا بالغة﴾ أى: مؤكدة، ومعنى البالغة فى كلام العرب فى مثل هذه المواضع: هو بلوغ النهاية، يقال: هذا شىء جيد بالغ، أى: بلغ النهاية فى الجودة.

وقوله: ﴿إلى يوم القيامة﴾ يعنى: اللزوم والثبات، وقيل: ألكم أيمان مؤكدة ألا نعذبكم إلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿إن لكم لما تحكمون﴾ تفسير لما وقع عليه اليمين.

وقوله: ﴿سلهم أيهم بذلك زعيم﴾ أى: كفيل.

وقوله: ﴿أم لهم شركاء﴾ هذا على توسع الكلام. ومعناه: عندهم وفى زعمهم. وقيل: أم بهذا شهد الشركاء بمعنى الشهداء، ذكره النقاش.

---

(1) من «ك».

وقوله: ﴿ فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين ﴾ أى: بشركاء فيهم على زعمهم على القول الأول، وعلى القول الثانى بشهاداتهم إن كانوا صادقين.

قوله تعالى: ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ قال عكرمة عن ابن عباس: عن الأمر الشديد، وفى هذه الرواية عن ابن عباس أنه قال: إذا أشكل عليكم القرآن فالتمسوه فى الشعر، فإنه ديوان العرب، وأنشد:

وقامت الحرب بنا على ساق

وهذا قول معروف، وقال ابن قتيبة: كانت العرب إذا اشتد بهم الأمر عبروا بهذا اللفظ؛ لأن الإنسان إذا وقع له الأمر وأخذه بجد وجهد يقول: شمر عن ساقه، فوضعت الساق موضع الشدة.

قال الشاعر:

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها ... وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال دريد بن الصمة:

كميش الإزار خارج نصف ساقه ... صبور على العوراء (طلاع)[1] أنجد

وفى رواية أخرى عن ابن عباس: يوم يكشف عن ساق أى: عن هول وكربة وشدة، وهو بمعنى الأول. وقال مجاهد: هو أول ساعة من ساعات القيامة، وهى أفظعها وأشدها على الناس. هذا كله قول واحد.

وروى أبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة يكشف ربنا عن ساقه فيسجد كل مؤمن ومؤمنة، ويذهب المنافقون ليسجدوا فلا يستطيعون»[2]. وعن ابن مسعود أنه قال نحواً من هذا. وقال الحسن البصرى: يوم يكشف عن ساق أى: الستر بين الدنيا والآخرة. ويقال: الغطاء بين الدنيا والآخرة، ومعناهما قريب.

---

(١) فى «ك»: قلاع.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٨/٥٣١ رقم ٤٩١٩)، ومسلم (٣/٣٢ - ٤٣ رقم ١٨٣).

ويُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾

وقوله: ﴿ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾ أى: لايستطيع المنافقون السجود. وفى الخبر: فيعقم أصلابهم - أى أصلاب المنافقين - وقوله: يعقم أى: يصير طبقا واحدا. وفى رواية: تصير كسفا قيد الحديد. وفى الخبر برواية أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة مُثل لكل قوم ما كان [يعبدونه][(١)] فى الدنيا فيتبعونه، ويبقى أهل التوحيد فيقال لهم: قد ذهب الناس فماذا تنتظرون؟ فيقولون: إن لنا ربا كنا نعبده. فيقال لهم: هل تعرفونه لو رأيتموه؟ فيقولون: نعم. فيقال [لهم][(٢)]: كيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون: إنه لا شبه له. فيكشف لهم الحجاب فيسجد كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى المنافقون فلا يستطيعون السجود، وتصير ظهورهم كصياص البقر. فيقول الله تعالى للمؤمنين: ارفعوا رءوسكم فقد جعلت بدل كل رجل [منكم رجلا][(٣)] من اليهود والنصارى فى النار»[(٤)].

وقوله: ﴿خاشعة أبصارهم﴾ أى: ذليلة أبصارهم، والمراد منه ذل الندامة والحسرة.

وقوله: ﴿ترهقهم ذلة﴾ أى: يغشاهم الذل والهوان.

وقوله: ﴿وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون﴾ أى: يدعون إلى صلاة الجماعة وهم سالمون أى: معافون، والآن السجود لهم (مهيات)[(٥)].

---

(١) فى «الأصل، وك»: يعبده.

(٢) من «ك».

(٣) من «تفسير القرطبى».

(٤) رواه أبو الليث السمرقندى فى تفسيره، كما فى تفسير القرطبى (١٨/ ٢٤٩ - ٢٥٠)، وابن عساكر عن أبى موسى به، وبنحوه عن أبى موسى أيضا رواه عبد بن حميد، والدارقطنى، وابن مردويه، كما فى الدر (٦/ ٣٢٤).

(٥) كذا، ولعلها مهيهات، ويعنى أن السجود الآن لهم بعيد.

فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾

وظاهر الآية أن معناها السجود فى الصلاة . وعن إبراهيم التيمى أنه قال : هو الصلاة المكتوبة . وقال سعيد بن جبير : يدعون إلى السجود بحى على الفلاح وهم سالمون فلا يجيبون .

قوله تعالى : ﴿ فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث ﴾ أى : خلنى وإياه وكلْه إلى لأجازيه بعمله . وقيل : ذرنى أى : لاتشغل قلبك به ، ودعنى وإياه فإنى مجازيه ومكافئه ، وهو بمعنى الأول . والعرب تقول مثل هذا القول ، وإن لم يكن هناك أحد يمنعه منه ، قال الشاعر :

ذرينى والثعلب أم سعد تقلنى الأرض (أو بيتك)[1] أمالا[2]

وقوله : ﴿ سنستدرجهم من حيث لايعلمون ﴾ الاستدراج فى كلام العرب هو الأخذ قليلا قليلا ، ومنه درج الصبى إذا مشى قليلا قليلا .

وروى عبد الرحمن بن داود الخريبى عن سفيان الثورى أنه قال : الاستدراج هو إسباغ النعم ، ومنع الشكر . وقيل : هو أنه كلما جدد ذنبا جدد الله له نعمة . وعن عقبة بن مسلم قال : إذا كان العبد على معصية الله ثم أعطاه الله ما يحب ، فليعلم أنه فى استدراج . وعن الحسن البصرى قال : كم من مستدرج يحسن الثناء عليه ، ومغرور يستر الله عليه . (وقيل)[3] : سنستدرجهم أى : نمكر بهم من حيث لايعلمون .

وقوله : ﴿ وأملى لهم ﴾ أى : أمهلهم ولا أباغتهم جهرا ، بل آخذهم وأمكر بهم قليلا قليلا . وقد بينا معنى الإمهال والإملاء من قبل .

وقوله : ﴿ إن كيدى متين ﴾ أى : شديد .

---

(١) فى «ك» : تقلن الأرض أوشك .

(٢) كذا .

(٢) فى «ك» : وقوله .

أمْ تسألُهمْ أجرا فهُم منْ مغْرمٍ مُّثقلُون ﴿٤٦﴾ أمْ عندهُمُ الغيبُ فهُم يكْتبُون ﴿٤٧﴾ فاصبر لحُكْم ربّك ولا تكُن كصاحب الْحُوت إذْ نادىٰ وهُو مكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لوْلا أن تداركه نعمةٌ من رَّبّه لنُبذ بالعراء وهُو مذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فاجتباهُ ربُّهُ فجعله من الصّالحين ﴿٥٠﴾ وإن يكادُ الّذين كفرُوا ليُزْلقُونك بأبْصارهمْ

قوله تعالى: ﴿أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون﴾ أى: أجرا على تبليغ الرسالة فهم من الغرم مثقلون.

وقوله: ﴿أم عندهم الغيب فهم يكتبون﴾ أى: عندهم اللوح المحفوظ، وسماه غيبا لأنه كتب فيه ما غاب عن العباد.

وقوله: ﴿فهم يكتبون﴾ أى: يكتبون منه ما يحكمون لأنفسهم ويقع بشهواتهم.

قوله تعالى: ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت﴾ أى: فى الضجر وترك الصبر. ويقال: لا تغاضب كما غاضب صاحب الحوت، وهو ذو النون، واسمه يونس بن متى صلوات الله عليه.

وقوله: ﴿إذ نادى وهو مكظوم﴾ أى: مملوء كربا وغما. ويقال: كظم البعير بجرته إذا حبسها، والمعنى: أنه لم يجد للغم الذى فى قلبه نفاذا ومساغا فكظم عليه أى: حبسه.

وقوله: ﴿لولا أن تداركه نعمة من ربه﴾ أى: رحمة من ربه.

وقوله: ﴿لنبذ بالعراء﴾ العراء هو وجه الأرض. ويقال: المكان الخالى البارز.

وقوله: ﴿وهو مذموم﴾ أى: نبذ غير مذموم، ولولا رحمة ربه لكان مذموما.

قوله تعالى: ﴿فاجتباه ربه﴾ أى: اصطفاه واختاره.

وقوله: ﴿فجعله من الصالحين﴾ أى: من عباده الصالحين. وقد ذكرنا قصته من قبل.

قوله تعالى: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم﴾ قرأ ابن عباس:

﴿لمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

«ليزهقونك بأبصارهم» والزلق هو السقوط، والإزلاق: الإسقاط. وفى الآية قولان معروفان: أحدهما: ليزلقونك بأبصارهم أى: يعتانونك، ومعناه: يصيبونك بأعينهم. ذكره الكلبى ومقاتل وغيرهما، وذكره الفراء أيضا فى كتابه. وروى أن الرجل من العرب كان يجوع نفسه ثلاثة أيام، ثم يخرج فتمر عليه إبل جاره أو غنمه فيقول: ما أحسنها، وما أعظمها، وما أسمنها ومثل هذا؛ فيسقط (منها)[1] العدَّة فتهلك. وفى بعض التفاسير: أن هذا كان فى بنى أسد من العرب وكان الرجل يعتان إبل الواحد منهم أو الغنم، ثم يقول لغلامه: اذهب بمكتل ودرهم لتأخذ لنا من لحمه، وكان يتيقن أنه يسقط فينحر.

والقول الثانى فى الآية - وهو أحسن القولين - أن المراد منها هو أنهم ينظرون إليك نظر البغضاء و العدواة فيكادون من شدة نظرهم أى: يصرعونك ويسقطونك، وهذا على مذهب كلام العرب. تقول العرب: نظر فلان نظرا يكاد يصرعه أو يأكله، أو ينظر إلىَّ فلان نظرا يكاد يصرعنى أو يكاد يأكلنى به أى: لو أمكنه أن يصرعنى به يصرعنى أو يأكلنى به لأكلنى. وهذا اختيار الزجاج وغيره من أهل المعانى. وأنشدوا:

يتلاحظون إذا التقوْا فى موطن ... نظـرًا يزيل (مواطـن)[2] الأقـدام

وقوله: ﴿لما سمعوا الذكر﴾ أى: القرآن وكانت عداوتهم وبغضاؤهم تشتد إذا سمعوه ﷺ يقرأ القرآن.

وقوله: ﴿ويقولون إنه لمجنون﴾ اسم سموه به.

وقوله: ﴿وما هو إلا ذكر للعالمين﴾ أى: شرف للعالمين، وهو كناية عن الرسول. والأظهر أن القرآن ذكر للعالمين. وقيل: الرسول مذكر للعالمين، وقد بينا معنى العالمين من قبل.

---

(١) فى «ك»: فيها.

(٢) فى «ك»: مواطئ.

تفسير سورة الحاقة

وهى مكية

وذكر النقاش فى كتابه بروايته أن عمر - رضى الله عنه - قال: تعرضت لرسول الله ﷺ قبل أن أسلم - فمضيت إلى المسجد فوجدته قد سبقنى إليه، وقام يصلى فقمت خلفه - فقرأ سورة الحاقة، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن، وأقول: هو شاعر كما يقوله قريش حتى بلغ قوله تعالى: ﴿إنه لقول رسول كريم وماهو بقول شاعر﴾[1] إلى آخر السورة، فعلمت أنه ليس بشاعر، ووقع الإسلام فى قلبى.

(١) الحاقة: ٤٠ - ٤١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وما أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ الحاقة ماالحاقة ﴾ وهى اسم للقيامة. وسميت القيامة حاقة؛ لأن فيها حواق الأمور، أى: حقائقها. ويقال: لأنها حققت على كل إنسان عمله من خير وشر، وتظهر جزاءه من الثواب والعقاب.

قال الأزهرى: سميت حاقة؛ لأنها تحق الكفار الذين حاقوا الأنبياء فى الدنيا إنكارا لها. تقول العرب: حاققت فلانا فحققته، أى: خاصمته فخصمته.

وقوله: ﴿ ما الحاقة ﴾ مذكور على وجه التعظيم والتفخيم.

قال امرؤ القيس:

فدع عنك نهبا صيح فى حجراته ولكن حديث ما حديث الرواحل

فما للاستفهام، وهو مذكور فى هذا الموضع لتعظيم أمر الرواحل. كذلك هاهنا.

وقوله: ﴿ وما أدراك ما الحاقة ﴾ قال ابن عباس: كل ما قال: «أدراك» فقد أعلم النبى ﷺ، وما قال: «ومايدريك» فلم يعلمه. وهو مذكور أيضًا على طريق التعظيم والتهويل. ومثله قول أبى النجم شعرًا:

أنا أبو النجم وشعرى شعرى

قوله تعالى: ﴿ كذبت ثمود وعاد بالقارعة ﴾ القارعة اسم للقيامة أيضًا. قال المبرد: سميت القيامة قارعة؛ لأنها تقرع القلوب، وتهجم عليها بالشدة والكرب.

وقوله: ﴿ فأما ثمود فأهلكوا بالطاغيه ﴾ قال مجاهد: بطغيانهم، وهو قول أبى

وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

عبيدة أيضًا. ويقال: بالطاغية أى: بالصيحة. (وقيل)[1]: بالرجفة. وسمى الصيحة طاغية؛ لأنها زادت على المقدار الذى تطيقه الأسماع.

وقوله: ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر﴾ أى: ذات برد شديد. وعلى هذا القول أخذ من الصِّر وهو البرد. وقيل: [هى][2] ذات صيحة. وعلى هذا مأخوذ من الصَّرَّة وهى الصيحة.

وقوله: ﴿عاتية﴾ أى: عتت على خُزَّانها. قال قبيصة بن ذؤيب: لم يرسل الله ريحاً إلا بقدر معلوم غير الريح التى أرسلها على عادٍ، فإنها خرجت بغير قدر معلوم غضبًا بغضب الله تعالى. وقد روى هذا عن ابن عباس. ويقال: سمى هذه الريح عاتية؛ لأنها جاوزت المقدار.

وقوله: ﴿سخرها عليهم﴾ أى: سلطها وأرسلها عليهم ﴿سبع ليال وثمانية أيام حسومًا﴾ أى: متتابعة. وقيل: مشائيم. ويقال: سماها حسومًا؛ لأنها قتلتهم وأفنتهم، من الحسم وهو القطع.

وفى التفسير: أن ابتداءه كان من غداة يوم الأربعاء، ويقال: من غداة يوم الأحد.

وقوله: ﴿فترى القوم فيها صرعى﴾ أى: صرعوا وصاروا ﴿كأنهم أعجاز نخل﴾ أى أصول نخل منقطعة عن أماكنها. ﴿خاوية﴾ قال الأزهرى: سماه خاوية؛ لأنها إذا (انقلعت)[3] خلت أماكنها منها.

وقوله: ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾ أى: من نفس باقية. ويقال: من بقاء.

---

(١) فى «ك»: ويقال.

(٢) من «ك».

(٣) فى «ك»: انقطعت.

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿ وجاء فرعون ومن قَبْلَهُ ﴾ وقرئ: « ومن قِبَلَهُ » أى: الأمم الذين كانوا قبله.

وقوله: ﴿ والمؤتفكات ﴾ هى قريات لوط. فعلى هذا معناه: وأهل المؤتفكات. وقيل المؤتفكات: هم قوم لوط؛ لأنه ائتفك بهم.

وقوله: ﴿ بالخاطئة ﴾ أى: بالخطأ العظيم، أى: بالذنب العظيم.

وقوله: ﴿ فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية ﴾ أى: زائدة على الأخذات. ويقال: زاد العذاب على قدر أعمالهم.

قوله تعالى: ﴿ إنا لما طغى الماء ﴾ قال سعيد بن جبير: غضب بغضب الله فطغى. ويقال: طغى أى: جاوز المقدار. فيقال: إنه زاد كل شىء فى العالم خمسة [أذرع][(١)]. وقد قيل أكثر من ذلك.

وقوله: ﴿ حملناكم فى الجارية ﴾ أى: السفينة، وجمعها الجوارى وهى السفن.

وقوله: ﴿ لنجعلها لكم تذكرة ﴾ أى: عبرة وعظة. قال قتادة: أدرك أوائل هذه الأمة سفينة نوح، وكم من السفن قد هلكت، ولكن الله تعالى أبقى هذه السفينة تذكرة لهذه الأمة وعبرة لها. ويقال: جعلها لكم تذكرة، أى: تذكروا هذه القصة فتكون لكم ولمن سمعها عبرة وعظة.

وقوله تعالى: ﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ أى: أذن عقلت أمر الله وعملت به. وروى مكحول أن هذه الآية لما نزلت قال النبى ﷺ لعلى رضى الله عنه: « سألت الله أن يجعلها أذنك ». قال على: فما سمعت بعد ذلك شيئا فنسيته[(٢)].

---

(١) فى « الأصل، وك »: ذراع، والصواب ما أثبتناه.

(٢) رواه ابن جرير الطبرى (٢٩ / ٣٥)، وابن أبى حاتم- (تفسير ابن كثير ٤ / ٤١٣)- من رواية مكحول به مرسلا. وروياه أيضا من حديث ابن مرة الأسلمى به. ورواه ابن جرير من حديث بريدة به وقال الحافظ ابن كثير: ولا يصح أيضا.

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ

قوله تعالى: ﴿فإذا نفخ فى الصور﴾ قد بينا معنى الصور.

وقوله: ﴿نفخة واحدة﴾ أى: النفخة الأولى.

وقوله: ﴿واحدة﴾ أى: ليست لها مثنوية.

وقوله تعالى: ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾ أى: زلزلتا زلزلة واحدة. ويقال: فتتا فتة واحدة. وقيل: ضرب أحدهما بالآخر فانهدمتا وهلكتا.

وقوله: ﴿فيومئذٍ وقعت الواقعة﴾ أى: قامت القيامة.

وقوله: ﴿وانشقت السماء فهى يؤمئذ واهية﴾ أى: ضعيفة.

قال على بن أبى طالب: تنشق من المجرة. يقال: شقًا واهٍ أى: ضعيف متخرق.

ومن أمثالهم:

خلِّ سبيل من وهى شقاؤه ومن هريق بالفلاة ماؤه

وقيل: فهى يؤمئذ واهية، أى: منشقة منخرقة، لأن ماوهى ينشق ويتخرق.

وقوله: ﴿والملك على أرجائها﴾ أى: على أطرافها. قال الكسائى: على حافتها.

وقيل: على (مواضع)[1] شقوقها يتظرون إلى الدنيا.

وقوله: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذٍ ثمانية يومئذ تعرضون﴾ قيل: ثمانية صفوف من الملائكة. وفى جامع أبى عيسى الترمذى برواية الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب أن النبى ﷺ كان جالسًا فى عصابة من أصحابه، فمرت سحابة فقال: «هل تدرون ما اسم هذه؟ قالوا: نعم، هذا السحاب. قال رسول الله ﷺ: المزن؟ قالوا: والمُزْن. قال رسول الله: والعَنان؟ قالوا: والعنان. قال لهم رسول الله ﷺ:

(١) فى «ك»: موضع.

تدرون كم بُعْدُ ما بين السماء والأرض؟ قالوا: لا، والله ما ندرى. قال: فإن بُعْدُ ما بينهما إما واحدة وإما اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، والسماء التى فوقها كذلك حتى عدهن سبع سموات. قال: فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء إلى السماء، وفوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن ما بين سماء إلى السماء، ثم فوق ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه ما بين السماء إلى السماء، والله فوق ذلك.قال رضى الله عنه: أخبرنا بذلك والدى أبو منصور محمد بن عبد الجبار السمعانى، أخبرنا أبو العباس بن محبوب أخبرنا أبو عيسى الترمذى أخبرنا [عبد بن حميد][(١)] أخبرنا عبد الرحمن بن سعد، عن عمرو بن أبى قيس، عن سماك بن حرب، عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف ابن قيس، عن العباس بن عبد المطلب ...الخبر[(٢)].

وفى بعض الأخبار: أن من جملة حملة العرش ملكا على صورة ديك، رجلاه فى تخوم الأرضين ورأسه تحت العرش، وجناح له بالمشرق وجناح بالمغرب، إذا سبح الله تعالى سبح له كل شىء. وروى الزهرى عن أنس أن النبى ﷺ قال لجبريل: «إنى أريد أن أراك فى صورتك. فقال: إنك لاتطيق ذلك، فقال: أنا أحب أن تفعل، قال: فخرج رسوله الله ﷺ إلى البطحاء، وأراه جبريل نفسه فى صورته التى خلقه الله تعالى عليها، وجناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب، ورأسه فى السماء، فغشى على النبى ﷺ ثم أفاق ورأسه فى حجر جبريل، وقد وضع إحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه، ثم قال: لو رأيت إسرافيل وله اثنا عشر جناحًا، والعرش على كاهله، وإنه ليتضاءل أحيانًا من خشية الله حتى يصير مثل الوضع، فلا يحمل العرش

---

(١) فى «الأصل، وك»: أبو عبد بن حميد، وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه كما عند الترمذى ٥/٣٩٥ رقم ٣٣٢٠.

(٢) رواه أبو داود (٤/٢٣١ -٢٣٢ رقم ٤٧٢٣ - ٤٧٢٥)، والترمذى (٥/٣٩٥ - ٣٩٦ رقم ٣٣٢٠) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (١/١٦٩ رقم ١٩٣)، وأحمد (١/٢٠٦ - ٢٠٧)، وابن خزيمة فى التوحيد (١٠١ - ١٠٢)، وابن أبى عاصم فى السنة (١/٢٥٣ رقم ٥٧٧)، والعقيلى (٢/٢٨٤)، والحاكم (٢/٥٠١)، وأبو الشيخ فى العظمة (رقم ٢٠٦، ٢٠٧)، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٥٢٦)، وابن عبد البر فى التمهيد (٧/١٤٠ - ١٤١)، والبغوى فى تفسيره (٤/٣٨٧ - ٣٨٨).

﴿تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾

إلا عظمة الله»(١).

وقوله تعالى: ﴿يومئذٍ تعرضون لاتخفى منكم خافية﴾ أى: فعلة خافية، والمعنى: أنه لايخفى شيء على الله تعالى. وقد روى عن عمر- رضى الله عنه- أنه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتهيئوا للعرض الأكبر. وعن أبى موسى الأشعرى قال: فى القيامة ثلاث عرضات: عرضتان جدال ومعاذير، والعرضة الثالثة فيها تطاير الكتب. وقد روى هذا مرفوعًا(٢). وفى بعض الأخبار عن عائشة قالت: «يارسول الله، هل تذكرون أهاليكم يوم القيامة؟ قال: أما فى ثلاثة مواطن فلا، وذكر عند تطاير الكتب، وعند الميزان، وعلى الصراط»(١).

قوله تعالى: ﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه﴾ أى: تعالوا اقرءوا كتابيه. وقيل: خذوا. تقول العرب للواحد: هاءَ، وللاثنين هاؤما، وللجماعة هاؤموا. وقد روى «أن رجلا نادى رسول الله وقال: يا محمد. فقال النبى ﷺ: هاؤم»(٣).

وقوله: ﴿إنى ظننت أنى ملاقٍ حسابيه﴾ أى: أيقنت. قال الحسن البصرى: إن

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه ابن ماجه (٢ / ١٤٣٠ رقم ٤٢٧٧)، وأحمد (٤ / ٤١٤) عن أبى موسى مرفوعا.

وروواه ابن جرير (٢٩ / ٣٨) موقوفا. وقال الدارقطنى فى العلل (٧ / رقم ١٣٣١): والموقوف هو الأصح.

وروواه الترمذى (٤ / ٥٣٣ رقم ٢٤٢٥) عن أبى هريرة، وقال: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبى هريرة. وقد رواه بعضهم عن على الرفاعى عن الحسن عن أبى موسى عن النبى ﷺ. ثم قال: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبى موسى.

(٤) رواه الترمذى (٥ / ٥١٠ - ٥١١ رقم ٣٥٣٦) وقال: حديث حسن صحيح، والطيالسى (ص١٦٠ رقم ١١٦٧)، وصححه ابن حبان (٢ / ٣٢٢ رقم ٥٦٢) من حديث صفوان بن عسال به.

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾

المؤمن أحسن الظن بالله فأحسن العمل، وإن المنافق أساء الظن بالله فأساء العمل.

وقوله: ﴿ فهو فى عيشة راضية ﴾ أى: ذات رضا. وقال أبو عبيدة: مرضية. ويقال: عيشة راضية: الجنة.

وقوله: ﴿ فى جنة عالية ﴾ أى: مرتفعة.

وقوله تعالى: ﴿ قطوفها دانية ﴾ قال البراء بن عازب: يتناولها قائمًا وقاعدًا ونائمًا، أى: مضطجعًا. ومعنى دانية: قريبة المتناول، لايمنع منها بُعْدٌ ولاشوك.

وقوله: ﴿ كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم ﴾ أى: قدمتم ﴿ فى الأيام الخالية ﴾ أى: الماضية، وهى فى الدنيا. وعن بعضهم: أن الآية فى الصائمين.

قوله تعالى: ﴿ وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه ﴾ أى: كتابى﴿ ولم أدر ماحسابيه ﴾. أى: لم أتق حسابى؛ لأنه لايرى لحسابه حاصلا، ويرى كل شىء عليه.

وقوله: ﴿ ياليتها كانت القاضية ﴾ أى: ياليت الميتة كانت قاضية أى: لم أحى بعدها، فقضت عَلَىَّ الفناء أبداً. وقيل: ياليتها أى: ياليتنى مت الآن.

وقوله: ﴿ ما أغنى عنى ماليه ﴾ أى: مالى.

وقوله: ﴿ هلك عنى سلطانيه ﴾ أى: بطلت حُجتى، ولم يسمع عذرى، وإنما لايسمع لأنه لاعذر له. وسمى السلطان سلطانا؛ لأنه يقام عنده الحجج، أو لأنه حجة على الخلق ليقيموا أمورهم. قال قتادة: ليس هو أن يلى قرية فيجيبها، ولكنه أراد به سلطانه على نفسه، حيث ضيّع ماجعله الله له، وارتكب المعاصى، وضيّع الأوامر.

خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾

قوله تعالى: ﴿خذوه فغلوه﴾ هو من غل اليد إلى العنق. وقيل: يشد قدمه برقبته، ثم يجر على وجهه.

وقوله: ﴿ثم الجحيم صلوه﴾ أى: اشوه.

وقوله: ﴿ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا﴾ قال نوف البكالى: كل ذراع سبعون باعًا، وكل باع من هاهنا إلى مكة، وكان بالكوفة يومئذٍ.

وروى نحوًا من ذلك عن سعيد بن جبير.

وقوله: ﴿فاسلكوه﴾ فى التفسير: أنها تدخل فى فيه حتى تخرج من دبره، فهو معنى قوله: ﴿فاسلكوه﴾.

وقوله: ﴿إنه كان لايؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين﴾ أى: لايحث. قال الحسن: أدركت أقوامًا يعزمون على أهليهم إذا خرجوا أن لايردوا سائلا، وأدركت أقوامًا كان الواحد منهم يخلف أخاه فى أهله أربعين عامًا.

وقوله: ﴿فليس له اليوم هاهنا حميم﴾ أى: قريب.

وقوله: ﴿ولا طعام إلا من غسلين﴾ الغسلين: صديد أهل النار. وعن الربيع بن أنس قال: هو شجرة تخرج طعامًا هو أخبث أطعمة أهل النار. وفى الخبر أن دلوًا من غسلين لو صب فى الدنيا لأنتن أهل الدنيا.

وقوله: ﴿لايأكله إلا الخاطئون﴾ أى: المشركون. ويقال: أهل المعصية.

وقوله تعالى: ﴿فلا أقسم بما تبصرون﴾ أى: أقسم، و «لا» صلة. وقيل معنى ﴿ومالا تبصرون﴾ أى: الملائكة. وفى التفسير: أن فى الآية ردا على المشركين

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾

حيث قال بعضهم: إن محمداً ساحر، وهو وليد بن المغيرة ومن تبعه، وقال بعضهم: هو شاعر، وهو أبو جهل ومن تبعه، وقال بعضهم: هو كاهن، وهو عقبة بن أبى معيط ومن تبعه.

وقوله: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ أى: رسول كريم على الله. وقيل: إنه جبريل. وقيل: إنه محمد ﷺ. فإن قال قائل: كيف قال: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ وإنما هو قول الله تعالى؟

والجواب من وجهين: أحدهما: أن معناه تلاوة رسول كريم، والثانى: قول الله وإبلاغ رسول كريم، فاتسع فى الكلام واكتفى بالفحوى .

وقوله: ﴿وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون﴾ أى: لاتؤمنون أصلا. يقول الرجل لغيره: قليلا ما تأتينى، أى: لاتأتينى أصلا.

وقوله: ﴿ولابقول كاهن﴾ الكاهن هو الذى يخبر عن الغيب كذبًا. وقيل: بظن وحدس لا عن علم.

وقوله تعالى: ﴿قليلا ماتذكرون﴾ أى: لاتتعظون أصلاً كما بينا.

وقوله: ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ولوتقول علينا بعض الأقاويل﴾ يعنى: أن محمداً لو تَقَوَّل علينا بعض الأقاويل، أى: قال مالم نقله.

وقوله: ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ أى: بالقوة. أى: انتقمنا منه بقوتنا وقدرتنا، قاله مجاهد.

قال الشماخ:

﴿ثم لقطعنا منه الوتين ﴿٤٦﴾ فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴿٤٧﴾ وإنه لتذكرة للمتقين ﴿٤٨﴾ وإنا لنعلم أن منكم مكذبين ﴿٤٩﴾ وإنه لحسرة على الكافرين ﴿٥٠﴾ وإنه لحق اليقين ﴿٥١﴾ فسبح باسم ربك العظيم ﴿٥٢﴾﴾

رأيت عرابة الأوسى يسمو ... إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها [عرابة] باليمين

أى: بالقوة. وقال مؤرج: قوله: ﴿لأخذنا منه باليمين﴾[1] وعن ثعلب: بالحق. وهو مروى عن السدى أيضا. وعن الحسن. لأخذنا منه باليمين، أى: أذهبنا قوته. ويقال: «لأخذنا منه باليمين» هو مثل قول القائل: خذ بيمينه إذا فعل شيئا -أى: بالقوة- يستحق العقوبة.

وقوله: ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ أى: نياط القلب؛ فإذا انقطع لم يحى الإنسان بعده.

قال الشماخ أيضا مخاطبا لناقته:

إذا بلغتنى وحملت رحلى ... عرابة فاشرقى بديم الوتين

وقوله: ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ يعنى. إنكم تنسبونه إلى الكذب على، ولو أخذته لم يقدر أحد منكم على دفعنا عنه.

وقوله: ﴿وإنه لتذكرة للمتقين﴾ أى: القرآن.

وقوله: ﴿وإنا لنعلم أن منكم مكذبين﴾ أى: بالقرآن وبالرسول .

وقوله: ﴿وإنه لحسرة على الكافرين﴾ أى: البعث حسرة على الكافرين.

وقوله: ﴿وإنه لحق اليقين﴾ أى: البعث محض اليقين وعين اليقين.

وقوله: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أى: نزه ربك العظيم، واذكره بأوصافه المحمودة اللائقة. وفيه دليل أن الاسم هو المسمى، ولا فرق بينهما.

---

(١) سقط من «الأصل، ك» قول مؤرج.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝٢ ﴾

تفسير سورة المعارج

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ أى: واقع أى: دعا داع[1].

والآية نزلت فى النضر بن الحارث بن كلدة وأنه قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ بعذاب واقع ﴾ «الباء» صلة. ومعناه: دعا داع، والتمس ملتمس عذابا من الله تعالى.

وقوله: ﴿ واقع ﴾ أى: كائن حاصل فى حق الكافرين، وذلك يوم القيامة يقع بهم ذلك لامحالة. وقيل: هو فى الدنيا، وقد وقع ذلك بالنضر بن الحارث، حيث قتل صبراً يوم بدر. وهذا الذى ذكرنا معنى قول مجاهد وغيره.

والقول الثانى فى الآية: سأل سائل عن عذاب واقع، «فالباء» بمعنى «عن»، قاله الفراء وغيره. والمعنى: سأل سائل بمن يقع العذاب؟ وعلى من ينزل العذاب؟ فقال الله تعالى: ﴿ للكافرين ﴾ يعنى: على الكافرين. وقرئ فى الشاذ: «سال سائل» يقال: سال بمعنى سأل على الهمز. وقيل: سال سائل أى: واد فى جهنم يسيل على الكفار بالعذاب.

وقوله تعالى: ﴿ ليس له دافع ﴾ أى: لا يدفع العذاب عن الكافرين أحد، ولايمنعه منهم.

---

(١) يعنى أن السؤال بمعنى الدعاء، والمعنى: دعا داع بعذاب. القرطبى (١٨/ ٢٧٨).

مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾

وقوله: ﴿من الله ذى المعارج﴾ أى: ذى السموات، وسميت السموات معارج، لأن الملائكة يعرجون إليها. ويقال: ذى المعارج أى: ذى الفواضل. ويقال: ذى الدرجات على معنى إكرامه المؤمنين بالدرجات وإعطائها إياهم.

وقوله: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ قد بينا معنى الروح. وقيل: هم فى خلق السماء يشبهون الآدميين، وليسوا بآدميين.

وقوله: ﴿فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ قال ابن عباس: هو يوم القيامة، وهو أصح القولين. وروى الحسن مرسلا وأبو سعيد الخدرى مسنداً فى بعض الغرائب من الروايات: «أن الله تعالى يخففه على المؤمنين، فيجعله بقدر صلاة مكتوبة خفيفة»(١). وفى بعض الآثار: «بقدر مابين الظهر إلى العصر»(٢). وقال وهب بن منبه: من قرار الأرض إلى فوق العرش خمسين ألف سنة. وقيل معنى قوله: ﴿فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ يعنى: لو عمل عامل أو حاسب محاسب مايعمل الله تعالى فى ساعة أو فى يوم واحد، لم ينقطع إلى خمسين ألف سنة. وعن ابن عباس فى بعض الروايات أن قوله تعالى: ﴿فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ وقوله: ﴿فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾(٣) آيتان لايعلم معناهما إلا الله. ومثله عن قتادة.

---

(١) رواه أحمد (٣/٧٥)، وأبو يعلى (٢/٥٢٧ رقم ١٣٩٠)، وابن جرير (٢٩/٤٥)، وابن أبى الدنيا فى الأهوال (١٣١ رقم ١٠٣)، وابن حبان فى صحيحه (١٦/ ٣٢٩ رقم ٧٣٣٤)، وابن عدى (٣/١١٤). والبغوى فى تفسيره (٤/٣٩٢) جميعهم من طريق دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد. وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٣٤٠): رواه أحمد وأبو يعلى، وإسناده حسن على ضعف في راويه. وقال ابن كثير (٤/٤١٩): إلا أن دراجا وشيخه أبا الهيثم ضعيفان.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) السجدة: ٥.

فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ

وقوله: إن قوله: ﴿ ألف سنة ﴾ هو مسافة ما بين السماء والأرض صاعدا ونازلا.

وقوله: ﴿ خمسين ألف سنة ﴾ مسافة ما بين الأرض إلى العرش صاعدا. والله أعلم.

وقوله: ﴿ فاصبر صبراً جميلا ﴾ أى: صبرا لا جزع فيه ولا شكوى. وعن قيس بن الحجاج فى قوله: ﴿ فاصبر صبراً جميلا ﴾ قال: هو أن يكون صاحب المصيبة فى القوم ولا يُدْرَى من هو، وإنما أمره بالصبر؛ لأن المشركين كانوا يؤذونه، فأمره بالصبر إلى أن ينزل بهم عذابه.

وقوله: ﴿ إنهم يرونه بعيداً ﴾ أى: العذاب.

وقوله: ﴿ ونراه قريبا ﴾ لكونه ووقوعه لا محالة.

قوله تعالى: ﴿ يوم تكون السماء كالمهل ﴾ أى: كدُرْدى الزيت، ويقال: كعكر القطران. وعن ابن مسعود قال: هو المذاب من جواهر الأرض مثل النحاس والرصاص والفضة، فالكل مهل.

وقوله: ﴿ وتكون الجبال كالعهن ﴾ والعهن: الصوف المصبوغ، وشبهه به فى ضعفه ولينه.

وقوله: ﴿ ولا يسأل حميم حميما ﴾ أى: لا يسأل قريب عن حال قريبه لشغله بنفسه. وقرئ: «ولا يُسأل حميم حميما» أى: لا يُسأل أحد أين حميمك؟

وقوله: ﴿ يبصرونهم ﴾ أى: يعرفونهم. ومعناه: يعرف بعضهم بعضا، ولا يسأله عن حاله لشغله بنفسه. وقيل: يعرف بعضهم بعضا بالسمات والعلامات، فإن لأهل الجنة سمات وعلامات، وكذلك لأهل النار.

يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ

وقوله: ﴿ يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذٍ ببنيه وصاحبته ﴾ أى: امرأته.

﴿ وأخيه ﴾ هو الأخ المعروف.

وقوله: ﴿ وفصيلته التى تؤويه ﴾ أى: عشيرته التى يأوى إليهم، وقيل: أقربائه الأدْنون. والفصيلة أحضر وأدنى من الفحل. ويقال: العباس هو من فصيلة الرسول.

وقوله: ﴿ ومن فى الأرض جميعًا ثم ينجيه ﴾ أى: لو يفتدى بمن فى الأرض جميعاً لينجو فلا ينجو.

وقوله: ﴿ كلا ﴾ هو ما بينا من المعنى. وعن عمر بن عبد الله مولى غفرة: أن كل ما جاء فى القرآن «كلا» هو بمعنى كذبت.

وقوله: ﴿ إنها لظى ﴾ اسم من أسماء جهنم. ويقال: «إنها لظى» عذاب لازم لا ينجو منها أبدا.

وقوله: ﴿ نزاعة للشوى ﴾ الأكثرون أن الشوى هو الأطراف مثل اليدين والرجلين وغير ذلك. وذكر الفراء أنها جلدة الرأس. وقيل: قحف الرأس. ويقال: الجلد واللحم حتى يبقى العظم. وقيل: الجلد واللحم والعظم إلى أن يصل إلى القلب، وهو نضيج، ذكره مجاهد.

وقوله: ﴿ تدعو من أدبر وتولى ﴾ أى: تُنادى من أدبر وتولى من الكفار فتقول: يا فلان - وتذكر اسمه - أقبل إلىَّ وتأخذه. وقال المبرد فى قوله: ﴿ تدعو ﴾ أى: تعذب. وروى عن النضر عن الخليل أنه سمع أعرابيا يقول لآخر: دعاك الله، أى: عذبك الله. وأما ثعلب فإنه قال: تناديهم واحداً واحداً بأسمائهم. وهو الأظهر.

وقوله: ﴿ وجمع فأوعى ﴾ أى: جمع المال فأوعاه، أى: جعله فى وعاء وأوكأ

﴿١٨﴾ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِين

عليه، وهو كناية عن البخل ومنع الحق.

قوله تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعا﴾ أى: جزوعًا. قال ثعلب: سألنى محمد ابن عبد الله بن طاهر عن هذه الآية، فقلت: الهلع أسوأ الجزع. وقيل: هلوعًا: ضجرًا. وعن الحسن: ضعيفًا. وقال الضحاك: بخيلاً. وعن غيرهم: حريصًا. ويقال تفسيره هو قوله: ﴿إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا﴾ أى: إذا مسه الشر لم يصبر، وإذا مسه الخير لم يشكر.

وقوله: ﴿إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ هذا الاستثناء منصرف إلى ابتداء الكلام، ومعناه: أن هؤلاء ينجون من العذاب.

وروى سفيان عن منصور عن إبراهيم قال: الآية فى الصلوات المكتوبة. وقيل: إدامتها هو إقامتها فى أوقاتها. ويقال: ليست إدامتها أن يصلى أبداً، ولكن إدامتها أنه إذا صلى لم يلتفت يمينا ولا شمالا. ويقال: إدامة الصلوات: ألا يتركها، وهذا قول حسن. وعن بعض السلف هو ألا يؤخرها عن المواقيت؛ فأما إذا تركها كفر.

وقوله: ﴿والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل﴾ وهو الطواف الذى يسأل (عن)[1] الناس.

وقوله: ﴿والمحروم﴾ هو الذى لا يسأل، ويقال: هو المُحارَف، وقيل: المحدود. وكلاهما بمعنى واحد. يقال: فلان مجدود، وفلان محدود، والمجدود الذى يوافقه الجَدُّ، والمحدود المحروم. قال ابن عمر: المحروم هو الكلب. وعن الشعبى قال: أعيانى أن أعرف معنى المحروم. وقيل: هو الفقير الذى لا شىء له.

وقوله: ﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾ أى: يؤمنون به.

(١) كذا، والأولى حذفها.

يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾

وقوله: ﴿ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ﴾ أى: خائفون.

وعن معاذ بن جبل قال: إذا كان يوم القيامة ينادى مناد أين الخائفون؟ فيحشرون فى كنف الرحمن لا يحتجب الله منهم. ذكره أبو الحسين بن فارس فى تفسيره. وفى الخبر المعروف أن النبى ﷺ قال حاكيا عن الله تعالى: «لا أجمع على عبدى خوفين ولا أمنين، فإذا خافنى فى الدنيا أمنته فى الآخرة، وإذا أمننى فى الدنيا خوفته فى الآخرة»(١).

قوله: ﴿ إن عذاب ربهم غير مأمون ﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ﴾ قال ابن عيينة: من لام أحداً فيما ملكت يمينه وإن كثر، أو لامه فى نسائه إذا بلغ الأربع، فقد عصى الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿ فإنهم غير ملومين ﴾ وقال أيضا: من تزوج [بأربع](٢) نسوة، أو تسرى بمماليك، فلا خلل فى زهده فى

---

(١) رواه البزار (٢/ ٤٦٥ – ٤٦٦ رقم ٢٢٢٥ مختصر الزوائد)، وابن صاعد فى زوائده على الزهد لابن المبارك (٥١ رقم ١٥٨)، وابن حبان (٢٤٩٤ – الموارد)، والبيهقى فى الشعب (٣/ ٦٨– ٦٩ رقم ٧٥٩). وفى الآداب (٣٣٣ رقم ١٠٠٥) عن أبى هريرة به. وقال الحافظ ابن حجر: صحيح.

ورواه ابن المبارك فى الزهد (٥٠ – ٥١ رقم ١٥٧)، والبزار (٢/ ٤٦٥ رقم ٢٢٢٤) عن الحسن مرسلا. وقد رجح الدارقطنى فى العلل (٨/ ٣٨ رقم ١٣٩٦) الرواية المرسلة.

(٢) فى «الأصل، وك»: بأربعة، والصواب ما أثبتناه.

وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾

الدنيا، فإن عليا- رضى الله- عنه قتل عن أربع عقائل[وتسع عشرة](١) سرية وكان أزهد الصحابة. وفى الآية دليل على تحريم المتعة. وسئلت عائشة عن المتعة فقالت: بينى وبينكم كتاب الله، وتلت هذه الآية. وسئل ابن عمر عن ذلك فقال: هو زنا. فقيل: إن فلانا يبيحها، فقال: أفلا ترمرم به فى زمان عمر، والله لو أخذه فيها لرجمه.

وقوله: ﴿ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾ هو دليل على مابينا. والعادى والمتعادى واحد.

وقوله: ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾ أى: حافظون. وقيل: أصل الأمانة أن كلمة التوحيد ائتمن الله تعالى المؤمنين عليها.

وقوله: ﴿ والذين هم بشهادتهم قائمون ﴾ وقرئ: «بشهاداتهم» إحداهما بمعنى الجمع، والأخرى بمعنى الوحدان. ومعنى ﴿ قائمون ﴾ أى: يؤدونها على وجهها.

وقوله: ﴿ والذين هم على صلاتهم يحافظون ﴾ قد بينا المعنى.

وقوله: ﴿ أولئك فى جنات مكرمون ﴾ أى: بساتين يكرمهم الله بأنواع النعم.

وقوله تعالى: ﴿ فمال الذين كفروا قبلك مهطعين ﴾ أى: مسرعين. قال أبو جعفر النحاس: والآية فى المعنى مشكلة، والمراد والله أعلم: فما للذين كفروا يسرعون إليك لاستماع القرآن، ثم يتفرقون بلا قبول له والإيمان به. وفى التفسير: أنهم كانوا يأتون ويجلسون حول النبى ﷺ وينظرون إليه نظر البغضاء والعداوة، ويستمعون القرآن استماع الاستهزاء والتكذيب.

وقوله: ﴿ عن اليمين وعن الشمال عزين ﴾ أى: متفرقين حلقا حلقا. وروى أن

---

(١) في «الأصل، وك»: وتسعة عشر، والصواب ما أثبتناه.

أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ

النبى ﷺ خرج إلى المسجد وأصحابه متفرقون كل جماعة فى موضع، فقال: «مالى أراكم عزين»(١). والسنة أن يجلسوا حلقة واحدة، أو بعضهم خلف بعض، ولايتفرقون فى الجلوس.

قوله تعالى: ﴿أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم﴾ قال المفسرون: لما ذكر الله تعالى الجنة للمؤمنين قال الكفار: ونحن أيضًا ندخل معكم؛ فأنزل الله تعالى: ﴿كلا﴾ أى: لايكون الأمر كما يُطمع ويُظَن.

وقوله: ﴿إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ أى: من الأقذار والنجاسات. والمعنى: أنه ليس إدخال من يدخل الجنة بكونه مخلوقًا؛ لأنه خلق من شيء نجس قذر، فلا يستحق دخول الجنة، وإنما يُستحق دخول الجنة بالتقوى والدين.

ويقال: إنا خلقناهم من أجل ما [يعلمون](٢)،وهو عبادة الله والإيمان به

قال الشاعر:

أأزمعْتَ من آل ليْلى ابتكارا   وشطَّت على ذى هوى أن تُزارا

أى: من أجل آل ليلى.

وقيل: ﴿إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ أى: ممن يعلمون. والقول الأصح هو الأول.

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٠ – ٢٠١ رقم ٤٣٠)، وأبو داود (٤/ ٢٥٨ رقم ٤٨٢٣، ٤٨٢٤)، وأحمد (٥/ ٩٣، ١٠١، ١٠٧)، والطبرانى فى الكبير (٢/ ٢٠٢ – ٢٠٤ رقم ١٨٢٣، ١٨٣٠، ١٨٣١)، والبيهقى فى السنن (٣/ ٢٣٤) عن جابر بن سمرة به

وله شاهد عن أبى هريرة، رواه الطبرى (٢٩/ ٥٤)، وابن حبان فى صحيحه (٤/ ٥٣٤ - ٥٣٥ رقم ١٦٥٤)

(٢) في «الأصل، وك»: يعلمون، والمثبت يقتضيه السياق.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾ معناه: أقسم، وهو على مذهب العرب، وكانوا يقولون هكذا. وذكر هاهنا المشارق والمغارب؛ لأن الشمس فى كل يوم تشرق من مكان آخر غير ماكان فى اليوم الأول، وكذلك فى المغرب. وفى التفسير: أنها تطلع كل يوم من كوة أخرى، وتغرب فى كوة أخرى.

وقوله: ﴿إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم﴾ أى: أطوع لله منهم، وأمثل منهم.

وقوله: ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ أى: معاجزين، وقد بينا من قبل.

قوله تعالى: ﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون﴾ هو يوم القيامة. وهو مذكور على طريق التهديد لا على طريق الإطلاق والإذن.

وقوله تعالى: ﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعا﴾ أى: من القبور. والجَدَث: القبر، والأجداث الجمع.

وقوله: ﴿كأنهم إلى نَصَبٍ يوفضون﴾ أى: يخرجون سراعًا كأنهم إلى علم نصب لهم يسرعون، وقرئ: «نُصُبٍ يوفضون» بضم النون، والنُصُب والنَصَب بمعنى الأصنام، وقد كانوا يسرعون إلى أصنامهم إذا ذهبوا إليها، فيعظموها ويستلموها.

وقوله: ﴿خاشعة أبصارهم﴾ أى: ذليلة أبصارهم ﴿ترهقهم ذلة﴾ أى: مذلة.

وقوله: ﴿ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون﴾ أى: يقال لهم: هذا اليوم هو اليوم الذى وعدتم فى الدنيا. والله أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم

تفسير سورة نوح
عليه السلام
وهى مكية

وهو نوح بن لمك بن مُتَوَشْلخِ بن أخنوخ. وعن ابن عباس: أنه بعث وهو ابن أربعين سنة. وعن عوف بن أبى شداد: أنه بعث وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة. ويقال: سمى نوحًا؛ لأنه كان ينوح على نفسه. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا نوحًا إلى قومه أن أنذر قومك﴾ معناه: بأن أنذر قومك إلا أنه حذف الباء. وفى قراءة ابن مسعود: ﴿أنذر قومك﴾ من غير «أنْ» ومعناه: وقلنا له أنذر قومك.

وقوله: ﴿من قبل أن يأتيهم عذاب أليم﴾ قيل: هو الغرق فى الدنيا.

وقيل: هو النار فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿قال ياقوم إنى لكم نذير مبين﴾ أى: بيِّن النذارة.

وقوله: ﴿أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾ وهذا هو الذى بعث الله لأجله الرسل، فإن الله تعالى مابعث رسولا إلا ليعبدوه ويتقوه ويطيعوا رسوله.

وقوله: ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ أى: من ذنوبكم التى أوعدكم عليها العقوبة. وقد كانت لهم ذنوب أُخَر عفا الله عنها. وقال الفراء: «من» ليست هاهنا للتبعيض،

من ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾

ولكنها للتخصيص على معنى تخصيص الذنوب بالغفران.

وقوله: ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ أى: إلى الموت. فإن قيل: هذه الآية تدل على أنه يجوز أن يكون للإنسان أجلان، وأن العقوبة تقع قبل الأجل المضروب للموت.

والجواب من وجهين: أحدهما: أنه يجوز أن يقال: إن الأجل أجلان: أحدهما: إلى سنة أو سنتين إن عصوا الله، والآخر: إلى عشر سنين أو عشرين سنة إن أطاعوا الله فعلى هذا قوله تعالى: ﴿إن أجل الله إذا جاء لايؤخر﴾ أى: فى حالتى الطاعة والمعصية.

والوجه الثانى: أن الأجل واحد بكل حال.

وقوله ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ أى: يميتكم غير ميتة الاستئصال والعقوبة، وهو الموت الذى يكون بلاغرق ولاقتل ولاحرق. وقيل: يؤخركم إلى أجل مسمى، أى: عندكم، وهو الأجل الذى تعرفونه، وذلك موت من غير هذه الوجوه. وهذا القول أقرب إلى مذهب أهل السنة، فعلى هذا قوله: ﴿إن أجل الله إذا جاء لايؤخر﴾ هو الأجل المسمى المضروب لكل إنسان.

وقوله: ﴿لو كنتم تعلمون﴾ [أى](١): إن كنتم تعلمون.

قوله تعالى: ﴿قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا﴾ قال الفراء: أى: من كل وجه وفى كل زمان أمكنت فيه الدعوة من ليل أو نهار.

وقوله تعالى: ﴿فلم يزدهم دعائى إلا فرارا﴾ أى: فرارا من الإيمان.

---

(١) من: أ.

وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ

وقوله: ﴿وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم﴾أى: ليؤمنوا فتغفر لهم، فكنى بالمغفرة عن الإيمان؛ لأن الإيمان سبب المغفرة.

وقوله: ﴿جعلوا أصابعهم فى آذانهم﴾ يعنى: فعلوا ذلك لئلا يسمعوا.

وقوله: ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ أى: تغطوا بثيابهم لئلا يروا نوحًا، ولايسمعوا كلامه، وذكر النحاس قولا آخر وقال: إن معنى قوله: ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ أى: أظهروا العداوة. ويقال: لبس فلان ثياب العداوة على معنى إظهار العداوة.

وقوله: ﴿وأصروا﴾ قال (أبو عبيد)(١): [أى](٢): أقاموا عليه. والإصرار أن يفعل الفعل ثم لايندم. وفى بعض الغرائب من الآثار؛ «لاصغيرة مع الإصرار، ولاكبيرة مع الاستغفار»(٣).

وقوله: ﴿واستكبروا استكباراً﴾ أى: تكبروا تكبراً. وقد بينا أن الشرك وترك الإقرار بالتوحيد استكبار.

قوله تعالى: ﴿ثم إنى دعوتهم جهاراً ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً﴾ فإن قيل: أليس قد دخل هذا فى قوله تعالى: ﴿رب إنى دعوت قومى ليلا ونهاراً﴾؟ قلنا: يجوز أن يكون قال هذا على وجه التأكيد، والإعلان والجهر بمعنى واحد، وهو كلام بحيث يسمع الجماعة، وأن الإسرار هو أن يقوله مع الإنسان وحده فى خلوة.

والجواب الثانى: أن معنى قوله: ﴿إنى دعوت قومى ليلا ونهاراً﴾ إلى التوحيد، وأما قوله: ﴿ثم إنى دعوتهم جهاراً ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً﴾ هو دعاؤه إياهم إلى الاستغفار لما يتلوه من بعد، وهو قوله تعالى: ﴿فقلت استغفروا

(١) في «ك»: أبو عبيدة.

(٢) من «ك».

(٣) تقدم تخريجه.

لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾

ربكم إنه كان غفارا﴾. وقوله: ﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ أى: ليرسل. ومدراراً، أى: متتابعاً. والسماء: المطر. وقيل: هو المطر فى إبانه. وفى بعض الأخبار: إذا أراد الله بقوم خيراً أمطرهم فى وقت الزرع، وحبس عنهم فى وقت الحصاد، وإذا أراد بقوم سوءاً أمطرهم فى وقت الحصاد، وحبس فى وقت الزرع.

وروى الشعبى أن عمر- رضى الله عنه- خرج (مرة)[1] للاستسقاء فلم يزد على الاستغفار ثم نزل. فقيل له: ياأمير المؤمنين، إنك لم تستسق! فقال: لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التى يستنزل بها المطر، وتلا قوله تعالى: ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً﴾.

وقوله: ﴿ويمددكم بأموال وبنين﴾ قال قتادة: علم أن القوم أصحاب دنيا، فحركهم بها ليؤمنوا. وعن بعضهم: أن الله تعالى أعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، وحبس عنهم المطر أربعين سنة، فهو معنى قول نوح: ﴿يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين﴾.

وقوله تعالى: ﴿ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾ أى: بساتين وأنهاراً تجرى فيما بينها.

قوله تعالى: ﴿ما لكم لاترجون لله وقارا﴾ أى: تخافون لله عظمة وقدرة. وقال قطرب: مالكم لاتبالون من عظمة الله تعالى.

وقيل: وقاراً، أى: طاعة، ومعناه: مالكم لاترجون طاعة الله، أى: لا تستعملونها. والقول الأول هو المعروف، ذكره الفراء والزجاج وغيرهما، وقد يذكر الرجاء بمعنى الخوف؛ لأنه لايكون الرجاء إلا ومعه خوف الفوت.

---

(١) فى «ك»: يوما.

وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ

قال الشاعر:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب (عوامل)(١)

وقال آخر:

إذا أهل الكرامة أكرموني فلا أرجو الهوان من اللئام

أي: لا أخاف.

وقوله ﴿وقد خلقكم أطوارا﴾ قال أبو عبيدة: الطور: الحال. وذكره ابن الأنباري أيضاً.

قال الشاعر:

والمرء يخلق طورا بعد (أطوار)(٢)

ومعنى الحالات هاهنا: أنه خلقه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظمًا ولحمًا إلى أن أتم خلقه.

قوله تعالى: ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿وجعل القمر فيهن نوراً﴾ فإن قال قائل: القمر إنما خلق في سماء الدنيا، فكيف قال: ﴿فيهن نوراً﴾؟

والجواب من وجوه: أحدها: أنه يجوز في لسان العرب أن (يقال)(٣): فيهن نوراً، وإن كان في إحديهن، كالرجل يقول: توارى فلان في دور فلان، وإن كان توارى في إحديها. ويقول القائل: ونزلت على بني تميم، وإن كان نزل عند بعضهم.

---

(١) أورده ابن جرير في تفسيره (٢٩/ ٦٠) ونسبه لأبي ذؤيب ومثله في لسان العرب (١٤/ ٣١٠) وفيهما: ... عواسل.

(٢) في «ك»: طور.

(٣) في «ك»: يقول.

فيهنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾

والوجه الثانى : ماقاله عبد الله بن عمرو بن العاص أن وجه القمر إلى السموات السبع وقفاه إلى الأرض، وكذا قال فى الشمس، فعلى هذا قوله : ﴿ فيهن نورا ﴾ أى : نوره فيهن .

والوجه الثالث : أن السموات فى المعنى كشىء واحد، فقال : ﴿ فيهن نورا ﴾ لهذا، وإن كان فى سماء واحد .

والوجه الرابع : أن معنى قوله : ﴿ فيهن نوراً ﴾ أى : معهن نورا .

قال امرؤ القيس :

وهل ينعمن من كان آخر عهده ... ثلاثين شهـــرا فى ثلاثة أحوال

أى : مع ثلاثة أحوال .

وقوله : ﴿ وجعل الشمس سراجاً ﴾ أى : فيهن، والمعنى مابينا . وعن عبد الله بن عمرو أيضا قال : ماخلق الله شيئاً أشد حرارة من الشمس، ولولا أن السماء تحول بين الأرض وبين ضوئها وإلا (لأحرقت)[١] كل شىء فى الأرض . وروى أنه سئل لماذا يبرد الزمان فى الشتاء، وبم يكون الحر فى الصيف؟ فقال : تكون الشمس فى الصيف فى السماء الدنيا، وفى الشتاء فى السماء السابعة .

قوله تعالى : ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتا ﴾ يجوز فى اللغة إنباتا ونباتا . وقيل : أنبتكم فنبتم نباتا .

وقوله : ﴿ ثم يعيدكم فيها ﴾ أى : بالموت .

وقوله : ﴿ ويخرجكم إخراجا ﴾ عند النشور .

قوله تعالى : ﴿ والله جعل لكم الأرض بساطا ﴾ أى : بسطها بسطًا .

---

(١) فى « ك » : لاحترقت .

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ

وقوله: ﴿لتسلكوا منها سبلا فجاجًا﴾ أى: طرقاً واسعة. والسبيل قد يذكر ويؤنث.

قال الشاعر:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد

أى: بواحد.

وقوله: ﴿قال نوح رب إنهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلاخسارا﴾ يعنى: أن الضعفاء اتبعوا الأشراف والأكابر والرءوس من الكفار الذين لم تزدهم أموالهم وأولادهم إلاخسارا.

وقوله: ﴿ومكروا مكراً كباراً﴾ أى: كبيرا، وكبار فى اللغة أشد من الكبير.

وقوله: ﴿وقالوا لاتذرن آلهتكم﴾ أى: لا تذروا آلهتكم، ﴿ولاتذرن﴾ أى: ولاتذروا ﴿ودا ولاسواعًا ولايغوث ويعوق ونسراً﴾ هذه الأسماء أسماء أصنامهم التى كانوا يعبدونها. وفى التفسير: أن وداً كانت لكلب، والسواع كانت لهذيل، ويغوث كانت لبنى غطيف بن دارم، ويعوق كانت لهمدان، ونسرا كانت لحمير، وقد قيل على خلاف هذا. وكانت بقية هذه الأصنام لهم من زمان نوح قد غرقت، فاستخرجها لهم إبليس حتى عبدوها. وعن أبى عثمان النهدى قال: كانت يغوث من رصاص رأيته، وكانوا يحملونه على جمل أَجْرَد إذا سافروا ولايهيجون الجمل ويجعلونه قدامهم، فإذا برك فى موضع نزلوا، وقالوا: رضى ربكم المنزل.

وعن محمد بن كعب القرظى قال: هذه الأسماء أسماء قوم صالحين قبل نوح، فلما ماتوا زين الشيطان لأبنائهم ليتخذوا أشخاصاً على صورهم، فيكون نظرهم إليها حثاً لهم على العبادة، ثم إنهم عبدوها من بعد لما تطاول لهم الزمان.

وَنَسْراً ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَاراً ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿وقد أضلوا كثيراً﴾ أى: ضل كثير من الناس بسببهم.

وقوله: ﴿ولاتزد الظالمين إلا ضلالا﴾ دعا عليهم هذا الدعاء عقوبة لهم، وهو مثل دعاء موسى على قوم فرعون ﴿ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم﴾(١).

قوله تعالى ﴿مما خطيئاتهم﴾ أى: من خطيئاتهم، ﴿اغرقوا فادخلوا نارا﴾ يعنى: اغرقوا فى الدنيا، وادخلوا ناراً فى الآخرة. وقيل: هو فى القبر. وعن الحسن قال: البحر طبق جهنم. وقيل: البحر نار ثم نار.

وقوله: ﴿فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً﴾ أى: أحداً يمنعهم من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا﴾ أى: أحداً. وقيل: ديارًا أى: من ينزل داراً، مأخوذ من الدار.

وقوله: ﴿إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولايلدوا إلا فاجرًا كفارًا﴾ وهذا على ما أخبره الله تعالى عنهم ﴿أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾(٢) وعن مجاهد: أن الرجل منهم كان يأتى نوحاً فيضربه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: اللهم اغفر لقومى فإنهم لايعلمون. ثم إنه لما أخبر الله تعالى أنه لايؤمن أحد منهم دعا عليهم. وفى القصة: أن الرجل منهم كان يحمل ابنه على كتفه إليه ويقول: احذر هذا الشيخ المجنون، فإن أبى أحذرنى إياه كما حذرتك، ففعلوا كذلك حتى مضى سبعة قرون،

---

(١) يونس: ٨٨.

(٢) هود: ٣٦.

رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

فروى أن آخر من جاءه منهم قال كذلك لابنه، فقال ذلك الصبى: أنزلنى فأنزله، فجعل يرميه بالحجر حتى شجه، فغضب حينئذٍ ودعا عليهم.

قوله تعالى: ﴿رب اغفر لى ولوالدى﴾ قرأ سعيد بن جبير: «لوالدِى» وفى بعض القراءات: «لولَدَىَّ».

وقوله: ﴿ولمن دخل بيتى مؤمنا﴾ أى: سفينتى. وقيل: صومعتى. وقيل: بيتى الذى أسكنه.

وقوله: ﴿وللمؤمنين﴾ أى: لكل المؤمنين والمؤمنات إلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿ولاتزد الظالمين إلا تبارا﴾ أى: هلاكا.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾

تفسير سورة الجــن

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن ﴾ سبب نزول هذه الآية ماروى سعيد بن جبير عن ابن عباس « أن النبى ﷺ انطلق فى نفر من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، فمر بالنخلة، وقد كان الشياطين منعوا من السماء، وأرسلت الشهب عليهم، فقالوا لقومهم: قد حيل بيننا وبين خبر السماء، فقالوا: إنما ذلك لأمر حدث فى الأرض. وروى أنهم قالوا ذلك لإ بليس، وأن إبليس قال لهم: اضربوا فى مشارق الأرض ومغاربها لتعرفوا ما الأمر الذى حدث؟ فمر نفر منهم نحو تهامة فرأوا النبى ﷺ يصلى بأصحابه صلاة الفجر ببطن نخلة، وهو يقرأ القرآن، فقالوا: هذا هو الأمر الذى حدث، ورجعوا إلى قومهم وأخبروهم بذلك، وأنزل الله تعالى هذه الآية »[١] . وقد روى البخارى فى الصحيح نحوا (من رواية)[٢] ابن عباس. وذكر ابن جريح فى تفسيره عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن ابن مسعود « أن النبى ﷺ انطلق إلى الجن ليقرأ عليهم القرآن ويدعوهم إلى الله، فقال لأصحابه: من يصحبنى منكم؟ وفى رواية: ليقم منكم رجل معى ليس فى قلبه حبة خردل من كبر. فسكت القوم. فقال ذلك ثانيا وثالثا، فقام عبدالله بن مسعود، قال ابن مسعود: فانطلقت مع رسول الله ﷺ قبل الحَجُون حتى دخلنا شعب أبى دُبٍّ، فقال: فخطَّ لى خطًا فقال: لا تبرح هذا الخط، ونزل عليه الجن مثل الحَجَل. قال: فقرأ عليهم

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في « الأصل، وك » : من هذا هذا هو رواية، والصواب ما أثبتناه.

القرآن وعلا صوته، فلصقوا بالأرض حتى لا أراهم» وفى رواية: أنهم قالوا له: «ما أنت؟ ما أنت؟ قال: نبى. قالوا: ومن يشهد لك؟ فقال: هذه الشجرة، قال: فدعا الشجرة فجاءت تجر عروقها، لها قعاقع، وشهدت الشجرة له بالنبوة، ثم عادت إلى مكانها»(١) وفى هذا الخبر: «أنهم سألوه الزاد فأعطاهم العظم والبعر، فكانوا يجدون العظم أوفر ما يكون لحما، والبعر علفا لدوابهم، ونهى الرسول ﷺ حينئذ الاستنجاء بالعظم والروث»(١). قال جماعة من أهل التفسير: أن أمر الجن كان مرتين، مرة بمكة ومرة ببطن نخلة، فالذى رواه ابن عباس هو الذى كان ببطن نخلة، والذى رواه ابن مسعود هو الذى كان بمكة، فأما الذى كان ببطن نخلة فإنهم مروا بالنبى ﷺ واستمعوا القرآن، وأما الذى كان بمكة فإن الرسول انطلق إليهم، وقرأ عليهم القرآن ودعاهم إلى الإيمان، فهذا هو الجمع بين الروايتين. وقد روى أن عبد الله بن مسعود رأى بالعراق قوما من الزُّط، فقال: أشبههم بالجن ليلة الجن. وفى رواية علقمة: أنه قال لعبد الله بن مسعود: هل كان منكم أحد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا، ما شهده منا أحد، وساق خبرا ذكره مسلم فى كتابه.

وفى الباب اختلاف كثير فى الروايات، وأما ما ذكرناه هو المختصر منها، ويحتمل أن ابن مسعود كان مع رسول الله ﷺ ليلة الجن إلا أنه لم يكن معه عند خطاب الجن وقراءة القرآن عليهم؛ فإنه روى أنه قال: «خط رسول الله ﷺ لى خطا وقال: لا تبرح هذا الخط وانطلق فى الجبل، قال: فسمعت لغطا وصوتا عظيما، فأردت أن أذهب فى أثره، فذكرت قول رسول الله ﷺ: لا تبرح الخط فلم أذهب، فلما رجع ذكرت له ذلك، فقال لى: لو خرجت من الخط لم ترنى أبدا»(١).

قوله تعالى: ﴿قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن﴾ قال الفراء: النفر اسم لما بين الثلاثة إلى عشرة. وحكاه ابن السكيت أيضا عن ابن زيد. يقولون: عشرة نفر، ولايقولون: عشرون نفرا، ولا ثلاثون نفرا. وقد روى أنهم كانوا تسعة نفر، وذكروا أسماءهم، وقد بينا. وروى عاصم عن زر أنه كان فيهم زوبعة.

---

(١) تقدم تخريجه.

فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا

وقوله تعالى: ﴿ فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا ﴾ أى: عجبا فى نظمه وتأليفه وصحة معناه، ولايصح قوله: ﴿ إنا سمعنا ﴾ إلا بالكسر.

قوله: ﴿ يهدى إلى الرشد ﴾ أى: إلى الصواب وطريق الحق.

وقوله تعالى: ﴿ فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ﴾ أى: لانجعل أحدا من خلقه شريكا له.

قوله تعالى: ﴿ وأنه تعالى جد ربنا ﴾ قرئ بالكسر وبالفتح، فمن قرأ بالكسر فهو أن الجن قالوا، ومن قرأ بالفتح فنصبه على معنى: آمنا وأنه تعالى جد ربنا، فانتصب بوقوع الإيمان عليه، والقراءة بالكسر أحسن القراءتين.

وقوله تعالى: ﴿ جد ربنا ﴾ أى: عظمة ربنا، هذا قول قتادة وغيره.

والجد: العظمة، وهو البخت أيضا، وهو أب الأب. وفى حديث أنس: كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدَّ فينا، أى: عَظُم [فينا](١).

وقوله عليه الصلاة والسلام: « ولاينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ »(٢) أى: لا ينفع ذا البخت منك بخته إذا أردت به سوءاً أو مكروها.

وعن الحسن قال: تعالى جد ربنا أى: غنى ربنا. وعن إبراهيم والسدى قالا: جد ربنا أى: أمر ربنا.

---

(١) من « ك ».

(٢) رواه مسلم (٤ / ٢٥٨ - ٢٥٩ رقم ٤٧٧)، وأبو داود (١ / ٢٢٤ رقم ٨٤٧)، والنسائى (٢ / ١٩٨ - ١٩٩ رقم ١٠٦٨) وغيرهم من حديث أبى سعيد الخدرى به.

ورواه مسلم (٤ / ٢٦٠ - ٢٦١ رقم ٤٧٨)، وأبو عوانة (٢ / ١٧٦ - ١٧٧)، وابن حبان (٥ / ٢٣٢ رقم ١٩٠٦) وغيرهم من حديث ابن عباس مرفوعا به أيضا.

مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّن

وقوله تعالى: ﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولدا﴾ أى: زوجة وولدا.

قوله تعالى: ﴿وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن السفيه هو إبليس عليه اللعنة، وهو قول مجاهد، والآخر: أنه كل عاص متمرد من الجن.

وقوله: ﴿شططا﴾ أى: كذبا. وقيل: جورا.

قوله تعالى: ﴿وأنا ظننا أن لن تَقُولَ الإنس والجن على الله كذبا﴾ وقرأ يعقوب: «أن لن تَقَوَّل الإنس والجن» أى: لن تقول، معناه ظاهر، كأنهم ظنوا أن كل من قال على الله شيئا فهو كما قال، وأنه لا (يجزى)[1] الكذب على الله

قوله تعالى: ﴿وأنه كان رجال من الإنس﴾ فإن قال قائل: قد قرئ هذا كله بالنصب، فما وجه النصب فيه؟ والجواب عنه: قد بينا وجه النصب فيما سبق، وباقى الآيات نصبت بحكم المجاورة والعطف، أو بتقدير آمنا أو ظننا أو شهدنا، والعرب قد تتبع الكلمة الكلمة فى الإعراب بنفس المجاورة والعطف مثل قولهم: جحر ضب خرب.

وقوله: ﴿يعوذون برجال من الجن﴾ فى التفسير: أن الرجل كان يسافر والقوم كانوا يسافرون، فإذا بلغوا مكانا قفرا من البرية وأمسوا قالوا: نعوذ بسيِّد هذا الوادى من سفهاء قومه. وحكى عن بعضهم - وهو السائب بن أبى كَرْدَم - أنه قال: انطلقت مع أبى فى سفر ومعنا قطعة من الغنم، فنزلنا واديا قال: فجاء ذئب وأخذ حملا من الغنم، فقام أبى وقال: يا عامر الوادى، نحن فى جوارك، فحين قال ذلك أرسل الذئب الحمل، فرجع الحمل إلى الغنم فلم تصبه كدمة. فإن قال قائل: كيف برجال من

(١) كذا، ولعلها: يجترئ.

الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ﴿٦﴾ وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا ﴿٧﴾ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا

الجن، والجن لايسمون رجالا؟ والجواب: قلنا يجوز على طريق المجاز، وقد ورد فى بعض أخبار العرب فى حكاية أن قوما من الجن قالوا: نحن أناس من الجن، فإذا جاز أن يسموا أناسا جاز أن يسموا رجالا.

وأما قوله: ﴿ فزادوهم رهقا ﴾ فيه قولان: أحدهما: إلا أن الإنس زادوا الجن رهقا أى: عظمة فى أنفسهم ،كأن الإنس لما استعاذوا بالجن ازدادوا الجن فى أنفسهم عظمة.

والقول الثانى: هو أن الإنس ازدادوا رهقا بالاستعاذة من الجن. ومعناه: طغيانا وإثما، كأن الإنس لما استعاذوا بالجن وأمنوا على أنفسهم ازدادوا كفرا، وظنوا أن أمنهم كان من الجن. وقيل: رهقا أى: غشيانا للمحارم. وقيل: مفارقة اللائم.

قال الأعشى:

لاشيء ينفعنى من دون رؤيتها هل يشتفى عاشق مالم يُصب رهقا

قوله تعالى: ﴿ وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً ﴾ فى الآية دليل على أنه كان فى الجن قوم لايؤمنون بالبعث كما فى الإنس.

قوله تعالى ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ﴾ أى: ملئت حرسا بالملائكة.

وقوله: ﴿ شهبا ﴾ جمع شهاب، وهو قطعة من النار، وقد ذكرنا من قبل صورة كيفية استراق الشياطين السمع من السماء، وأنهم كانوا يسمعون الكلمة فيضمون إليها عشرة ويلقونها إلى الكهنة، فلما كان فى زمان النبى ﷺ حرست السماء، ورمى الشياطين بالشهب. فإن قال قائل: لم يزل هذا الأمر معهودا قبل الرسول، وهو انقضاض الكواكب، وذكره شعراء الجاهلية فى أشعارهم، وقال بعضهم:

﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾

فانقضّ كالدُّرّى يتبعُه نَقْـعٌ (يثور) [١] تخالُـه طُنُبـا

(قاله لاقوه إلا وروى) [٢]

وإذا كان هذا أمرا معهودا فى الجاهلية فما معنى تعليقه بنبوة محمد ﷺ، وعندكم أنه كان معجزة له وأساسا لنبوته؟ والجواب عنه من وجهين: أحدهما: أنه لم يكن هذا من قبل، وإنما حدث فى زمان نبوة الرسول ﷺ، والأشعار كلها منحولة على الجاهلية، أو قالوها بعد مولده حين قرب مبعثه. وذكر السدى: أن أول من تنبه للرمى بالشهب هو هذا الحى من ثقيف، فحافوا خوفا شديدا وظنوا أن القيامة قد قربت، فجعلوا يعتقون العبيد ويسيبون المواشى، فقال لهم ابن عبد ياليل: لاتعجلوا، وانظروا إلى النجوم المعروفة هل هى فى أماكنها؟ فقالوا: هى فى أماكنها. قال: فإن هذا لأمر هذا الرجل الذى خرج بمكة.

والجواب الثانى - وهو الأصح - أن الرمى بالشهب قد كان من قبل، ولكنه لما كان فى زمان الرسول كثر وقوى. قال معمر: قلت للزهرى: أكان الرمى بالشهب قبل الرسول فى الجاهلية؟ قال: نعم، ولكنه لما كان زمان الرسول كثر واشتد.

قوله تعالى: ﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع﴾ أى: مقاعد للاستماع.

وقوله: ﴿فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا﴾ أى: يجد شهابا أرصد له [وهىء] [٣] ليرمى به.

قوله تعالى: ﴿وأنا لاندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا﴾ أى: أريد بهم الصلاح فى ذلك أو الفساد أو الخير أو الشر.

---

(١) من تفسير القرطبى (١٩/ ١٣).

(٢) كذا! وهى عبارة غير مفهومة.

(٣) في « الأصل ، وك»: وهن.

وأَنَّا منَّا الصَّالحُون ومنَّا دُون ذَلك كُنَّا طرَائق قددًا ﴿١١﴾ وأَنَّا ظَنَنَّا أن لَّن نُّعجز اللَّهَ في الأَرْض ولَن نُّعْجزَهُ هربًا ﴿١٢﴾ وأَنَّا لَمَّا سمعْنَا الْهُدَىٰ آمنَّا به فَمَن يُؤْمن بربّه فَلا يَخَافُ بَخْسًا ولا رهقًا ﴿١٣﴾ وأَنَّا منَّا الْمُسْلمُونَ ومنَّا الْقَاسطُون فمن أسْلَمَ فأُوْلَئك تحرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿ وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك ﴾ أى: سوى ذلك. قال الحسن البصرى: فى الجن قدرية ومرجئة وروافض وخوراج، وغير ذلك من الفرق، وفيهم العاصى والمطيع والمصلح، وغير ذلك من المؤمن والكافر.

وقوله ﴿ كنا طرائق قددا ﴾ أى: ذا أهواء مختلفة. وقددا معناه: متفرقة. قال الشاعر:

القابض الباسط الهادى بطاعته … فى فتنة الناس إذ أهواؤهم قِدَدُ

أى: متفرقة.

قوله تعالى: ﴿ وأنا ظننا أن لن نعجز الله فى الأرض ﴾ معنى الظن هاهنا: اليقين أى: أيقنا أن لن نعجزه فى الأرض أى: لن نفوته، ولايعجز عنا بأخذه إيانا.

وقوله: ﴿ ولن نعجزه هربا ﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿ وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به ﴾ أى: بالهدى، والهدى هو القرآن لأنه يهدى الناس.

وقوله: ﴿ فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا ﴾ أى: نقصانا من حسناته ولازيادة فى سيئاته. وقيل: أى: ظلما.

قوله تعالى: ﴿ وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ﴾ أى: الجائرون هم الكفار. يقال: أقسط إذا عدل، وقسط إذا جار. فمن أقسط مقسط، ومن قسط قاسط.

قال الفرزدق.

قومى هم قتلوا ابن هندٍ عنوةً … عَمْراً وهم قَسَطُوا على النعمانِ

وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا

أى: جاروا

وقوله: ﴿فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا﴾ أى: طلبوا الرشد (وتوخوا)[١] له. والمتحرى والمتوخى بمعنى واحد.

وقوله: ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ أى: الكافرون، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿وقودها الناس والحجارة﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ فى الطريقة قولان: أحدهما: أنها الإيمان، وهذا قول مجاهد وقتادة وعكرمة وجماعة، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا﴾[٣]. والقول الثانى: أن الطريقة ها هنا طريقة الكفر والضلالة، وهذا قول أبى مجلز لاحق بن حميد من التابعين، وهو قول الفراء وجماعة، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة﴾[٤] الآية. فجعل تماديهم فى الكفر سببا لتوسيع النعم عليهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء﴾[٥] الآية، ومعناه: أبواب كل شىء من الخيرات والنعم. قالوا: والقول الأول أولى؛ لأنه عرف الطريقة بالألف واللام، فينصرف إلى الطريقة المعروفة المعهودة شرعاً وهى الإيمان.

وقوله ﴿لأسقيناهم ماءً غدقا﴾ أى: كثيرا. تقول العرب: فرس غيداق إذا كان كثير الجرى واسعة. ومعناه: أكثرنا لهم المال والنعمة؛ لأن كثرة الماء سبب لكثرة المال.

وقوله: ﴿لنفتنهم فيه﴾ أى: لنبتليهم فيه، ونختبرهم فيه[٦].

---

(١) فى «ك»: وتحروا. (٢) البقرة: ٢٤، التحريم: ٦. (٣) الأعراف: ٩٦.
(٤) الزخرف: ٣٣. (٥) الأنعام: ٤٤.
(٦) فى «ك»: لنبتلينهم فيه ونختبرنهم فيه.

صَعَداً ﴿١٧﴾ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴿١٨﴾

واستدل بهذا من قال: إن معنى الطريقة هو الكفر والضلالة؛ لأنه قال: ﴿ لنفتنهم فيه ﴾ وهذا لايلزم من قال بالقول الأول؛ لأن كثرة النعم فتنة للمؤمنين والكفرة جميعا.

وقوله: ﴿ ومن يعرض عن ذكر ربه ﴾ أى: عن الإيمان بربه ﴿ يسلكه عذابا صعدا ﴾ أى: شاقا. والعذاب الشاق هو النار، ومعناه: يدخله النار. ومنه قول عمر رضى الله عنه: ماتصعَّدنى شىء ماتصعدتنى خُطبة النكاح. أى: شقت. وعن ابن عباس: أن قوله: ﴿ صعدا ﴾ هو جبل فى جهنم. وقيل: هو صخرة من نار يكلف الصعود عليها، فإذا صعد عليها وقع فى الدرك الأسفل.

قوله تعالى: ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ اتفق القراء على فتح الألف فى هذه الآية، وعلة النصب أن معناه: ولأن المساجد لله، ثم حذفت اللام فانتصب الألف. وقيل: انتصبت لأن معناه: أوحى إلىَّ أن المساجد لله. وسبب نزول هذه الآية أن الجن قالوا للنبى ﷺ: نحن نود أن نصلى معك، فكيف نفعل ونحن ناءون عنك؟ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ وأن المساجد لله ﴾ ومعناه: أنكم أين صليتم فمقصودكم حاصل من عبادة الله تعالى، فلا تشركوا به أحدا، وهو معنى قوله: ﴿ فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ ويقال: هو ابتداء كلام. والمعنى: أن اليهود والنصارى يشركون فى البيع والصوامع، وكذلك المشركون فى عبادة الأصنام، فأنتم أيها المؤمنون اعلموا أن الصلوات والسجود والمساجد كلها لله، فلا تشركوا معه أحدا. وفى المساجد أقوال: أحدها: أنها بمعنى السجود، وهى جمع مسجد. يقال: سجدت سجوداً ومسجداً والمعنى: أن السجود لله يعنى: هو المستحق للسجود. والقول الثانى: أن المساجد هى المواضع المبنية للصلاة المهيأة لها، وهى جمع مسجد، ومعنى قوله: ﴿ لله ﴾ نفى الملك عنها، أو معناه: الأمر بإخلاص العبادة فيها لله. والقول الثالث: أن المساجد هى الأعضاء التى يسجد عليها الإنسان من جبهته ويديه وركبتيه وقدميه، والمعنى: أنه لاينبغى أن يسجد على هذه الأعضاء إلا لله.

وأنَّهُ لمَّا قامَ عبْدُ اللَّهِ يدْعُوهُ كادُوا يكُونُونَ عليْهِ لبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إنَّما أدْعُو ربِّي ولا أُشْرِكُ بِهِ أحدًا ﴿٢٠﴾

وقد روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم، وألا أكف ثوبا ولاشعرا»(١).

قوله تعالى: ﴿وأنه لما قام عبد الله﴾ فمن قرأ بالكسر ينصرف إلى قول الجن، ومعناه: قال الجن: ﴿وإنه﴾ وقيل: ينصرف إلى قول الله أي: قال الله تعالى: وإنه لما قام عبد الله ومن قرأ بالفتح معناه: أوحي إلي أنه لما قام عبد الله. فعلى القول الأول قوله: ﴿كادوا يكونون عليه لبدا﴾ ينصرف إلى أصحاب النبي ﷺ، وعبد الله هو الرسول ﷺ، والمعنى: أن الجن لما رأو النبي ﷺ وأصحابه خلفه وشاهدوا طواعيتهم له قالوا: كادوا يكونون عليه لبدا أي: يركب بعضهم بعضا من الطواعية. وعلى القول الثاني المعنى: هو أن الله تعالى حكى عن الجن أن الرسول ﷺ لما قرأ القرآن عليهم - يعني: على الجن - كادوا يكونون عليه لبدا أي: على الرسول- عليه الصلاة والسلام- أي: يركب بعضهم بعضا لحب الإصغاء إلى قراءته والاستماع إليها. ويقال: إن الرسول ﷺ كان صلى بهم وازدحموا عليه، وكاد يركب بعضهم بعضا. وفي بعض التفاسير: كادوا يسقطون عليه. وأما على قراءة الفتح قوله: ﴿كادوا يكونون عليه لبدا﴾ ينصرف إلى الجن أيضا، و(هو)(٢) أظهر القولين أن الانصراف إلى الجن. ومن اللبد قالوا: تلبَّد القوم إذا اجتمعوا، ومنه اللِّبْد، لأن بعضه على بعض. وقيل: كادوا يكونون عليه لبدا أي: تلبدت الجن والإنس واجتمعوا على أن يطفئوا نور الله لما قام الرسول ﷺ يدعوه أي: يدعو الله، وقرئ: «لبدا» أي: كثيرا. واللُّبَد أيضا اسم آخر نسر من نسور (نعمان)(٣) بن عاد، وكان عاش سبعمائة سنة. وقيل في المثل: طال لُبَد على أمد.

قوله تعالى: ﴿قل إنما أدعو ربي﴾ وقرئ: «قال إنما أدعو ربي» في التفسير: أن

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٢/ ٣٤٤ - ٣٤٥ رقم ٨٠٩ وأطرافه: ٨١٠، ٨١٢، ٨١٥، ٨١٦)، ومسلم (٤/ ٢٧٥ - ٢٧٦ رقم ٤٩٠).

(٢) كذا، والأولي حذفها.

(٣) فيي تفسير القرطبي (١٩/ ٢٤-٢٥): لقمان.

قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

النضر بن الحارث قال للنبي ﷺ : إنك جئت بأمر عظيم، وخالفت دين آبائك، وأن العرب لا يوافقونك على هذا، فارجع إلى دين آبائك فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ قل إنما أدعو ربي ﴾ أي: أوحد ربي ﴿ ولا أشرك به أحداً ﴾ أي: معه أحدا. ويقال: إن هذا قاله مع الجن، وهو نسق على ماتقدم.

قوله تعالى: ﴿ قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا ﴾ يعني: لا أملك ذلك بنفسي، وإنما هو من الله تعالى وبعونه وتوفيقه.

قوله تعالى: ﴿ قل إني لن يجيرني من الله أحد ﴾ روى أن النضر بن الحارث قال له: ارجع إلى دين آبائك ولاتخف من أحد، فإنا نجيرك ونمنعك، فأنزل الله تعالى: ﴿ قل إني لن يجيرني من الله أحد ﴾ أي: لن ينصرني ويمنعني من عذاب الله أحد. ويقال: إنه خطاب الجن نسقا على ماتقدم. وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس: أن ابن مسعود خرج مع النبي ﷺ ليلة الجن، فازدحم الجن على النبي ﷺ وتعاووا عليه، فقال واحد منهم يقال له وَرْدان: يا محمد، لا تخف فأنا أجيرك منهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ قل إني لن يجيرني من الله أحد ﴾.

وقوله: ﴿ ولن أجد من دونه ملتحدا ﴾ أي: ملجأ. وقيل: مهربا. ويقال: متعرجا.

وقوله: ﴿ إلا بلاغا من الله ﴾ أي: لا أملك شيئا من الضر والرشد إلا أن أبلغ رسالة ربي أي: ليس بيدي إلا هذا وهذا التبليغ. وقد قيل: ضرا ولا رشدا أي: لا أدفع عنكم ضرا، ولا أسوق إليكم خيرا، وليس بيدي إلا أن أبلغ رسالة ربي.

وقوله: ﴿ ومن يعص الله ورسوله فإن له نارجنهم خالدين فيها أبدا ﴾ أي: دائما.

قوله تعالى: ﴿ حتى إذا رأوا ما يوعدون ﴾ أي: القيامة، قاله سعيد بن جبير وغيره. وقيل: العذاب في الدنيا، قاله قتادة وغيره.

فإنَّ له نار جهنَّم خالدين فيها أبداً ﴿٢٣﴾ حتَّىٰ إذا رأوْا ما يُوعدُون فسيعْلمُون من أضْعفُ ناصراً وأقلُّ عدداً ﴿٢٤﴾ قُلْ إنْ أدْري أقريبٌ مَّا تُوعدُون أمْ يجْعلُ له ربي أمداً ﴿٢٥﴾ عالمُ الغيْب فلا يُظْهرُ علىٰ غيْبه أحداً ﴿٢٦﴾ إلاَّ من ارتضىٰ من رسُول فإنَّهُ يسْلُكُ من بيْن يديْه

وقوله: ﴿فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا﴾ أى: وأقل جندا وأعوانا. ويقال: معنى قوله: ﴿وأقل عددا﴾ أى: فى القيامة. وفى التفسير: أن الله تعالى يعطى المؤمنين من الأزواج والولدان والحور والقهارمة (و)[1] ومايكثر عددهم ويزيدوا على أهل بلدة كثيرة من بلاد الدنيا، فهو معنى قوله: ﴿فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا﴾ فإن المشركين كانوا يعيرون النبى ﷺ والمؤمنين بقلة الناصر وقلة العدد، فقال: ﴿فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا﴾ أى: فى القيامة، وإذا وصل كل أحد إلى مستقره.

قوله تعالى: ﴿قل إن أدرى أقريب ماتوعدون أم يجعل له ربى أمدا﴾ أى: مدة وغاية، والمعنى: لا أدرى أنه يعجل لكم العذاب أو يؤخره، ويعجل لكم مدة ومهلة. وقد روى أن المشركين كانوا يستعجلونه العذاب، ويقولون: إلى متى توعدنا العذاب؟ فأين العذاب؟ فأمره الله تعالى أن يكل ذلك إلى الله تعالى، وأن يقول: إنه بيد الله لابيدى.

قوله تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا﴾ أى: هو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ﴿إلا من ارتضى من رسول﴾ فإنه يطلعه على غيبه بما ينزله عليه من الآيات والبينات.

وقوله: ﴿فإنه يسلك من بين يديه﴾ أى: يجعل من بين يديه ﴿ومن خلفه رصدا﴾ أى: حفظة. وروى سفيان عن منصور عن إبراهيم قال: ملائكة يحرسونه. وفى التفسير: أن الله تعالى مابعث وحيا من السماء إلا ومعه ملائكة يحرسونه. فإن قال قائل: ومن ماذا يحفظونه ويحرسونه؟ والجواب: أن الحفظ والحراسة لخطر شأن

(١) كذا، والأولى حذفها.

ومن خلفه رصدا ﴿٢٧﴾ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا ﴿٢٨﴾

الوحى ولتعظيمه فى النفوس، لابحكم الحاجة إلى الحراسة والحفظة. يقال: إن الحفظ والحراسة من المسترقين للسمع، لئلا يسرقوا شيئا من ذلك ويلقوه إلى الكهنة. وقد ورد فى الأخبار: «أن الله تعالى لما أنزل سورة الأنعام بعث معها سبعين ألف ملك يحرسونها»(١). وفى الآية دليل على أن من قال بالنجوم شيئا وادعى علما من الغيب بجهتها فهو كافر بالقرآن. وقد قال بعضهم: الطرق والجبت والكهان كلهم مضللون ودون الغيب أشاروا. وقد ورد فى الأخبار: «أن النبى ﷺ نهى عن النظر فى النجوم»(٢). والمعنى هو النظر فيها للقول بالغيب عنها، فأما النظر فيها للاهتداء أو للاعتبار أولمعرفة القبلة وما أشبه ذلك مطلق جائز.

وقوله تعالى: ﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾ وقرئ: «رسالة ربهم» وهى واحد الرسالات. واختلف القول فى قوله تعالى: ﴿ليعلم﴾ فأحد الأقوال هو أن معناه: ليعلم محمد أن الرسل الذين كانوا قبله قد أبلغوا رسالات ربهم على ماأنزل إليهم. والقول الثانى: أنه منصرف إلى الجن. وقرئ: «ليعلم الجن أن قد أبلغ الرسل رسالات ربهم على ما أنزل إليهم». والقول الثالث: ليعلم المؤمنون. والقول الرابع: ليعلم الله، أورده الزجاج وغيره. فإن قال قائل: مامعنى قوله: ليعلم الله، وهو عالم

---

(١) تقدم تخريجه فى تفسير سورة الأنعام.

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط (٧/١٣٦ رقم ٤١٩١ مجمع البحرين)، والعقيلى فى الضعفاء (٣/٣٥٣). وابن عدى فى الكامل (٥/٢٧٨)، وابن حبان فى المجروحين (٢/١٩٩)، والخطيب فى تاريخه (٦/١٣٣ - ١٣٤) من حديث أبى هريرة مرفوعا.

واستنكره أبو حاتم الرازى فى الجرح والتعديل (٦/٣١٤)، وقال الهيثمى فى المجمع (٥/١١٩ - ١٢٠): رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه عقبة بن عبد الله الأصم، وهو ضعيف، وذكر عن أحمد أنه وثقه، وأنكر أبو حاتم عليه هذا الحديث.

وفى الباب عن على، وعائشة، والحسن بن على ؛ انظر الدر (٣/ ٣٨ - ٣٩).

بالأشياء قبل كونها ووجودها؟ والجواب :أنا قد بينا الجواب فيما سبق فى مواضع كثيرة . وقد قيل : ليعلم الله تعالى أن قد أبلغ الرسل رسالات ربهم شهادة ووجودا، وقد كان يعلم ذلك غيبا .

وقوله : ﴿ وأحاط بما لديهم ﴾ أى : أحاط علمه بما عندهم .

وقوله : ﴿ وأحصى كل شىء عددا ﴾ أى : وأحصى كل شىء معدوداً .ويقال : عد كل شىء عددا، وهذا على معنى أنه لايخفى على الله شىء كثير أو قليل، جليل أو دقيق . والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) ﴾

تفسير سورة المزمل

وهى مكية. وعند بعضهم هى مكية إلا قوله تعالى: ﴿ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ﴾ إلى آخر السورة.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها المزمل ﴾ معناه: يا أيها المتزمل، أدغمت التاء فى الزاى، ومثله قوله تعالى: ﴿ يا أيها المدثر ﴾(١) أى: يا أيها المتدثر، أدغمت التاء فى الدال.

قال ابن عباس: لما تراء له جبريل- صلوات الله عليه- فى ابتداء الوحى فرق منه فرقًا شديداً، فرجع إلى بيته وتزمل بثيابه؛ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ يا أيها المزمل ﴾ ثم إن جبريل- عليه السلام- أكثر المجىء إليه حتى أنس. قال إبراهيم النخعى: وكان متزملا فى قطيفة. وعن الضحاك فى قوله: ﴿ يا أيها المزمل ﴾ يا أيها النائم. وفى بعض الروايات أن جبريل- عليه السلام- جاء إليه وهو نائم، فقال: يا أيها المزمل- أى: النائم- قم، واتخذ لنفسك ظلا يوم لا ظل إلا ظله. وفى بعض التفاسير عن عكرمة: ﴿ يا أيها المزمل ﴾ يا أيها المتزمل بالنبوة. وهو غريب. وأنشد فى المزمل:

كأن ثبيراً فى عرانين وبلة ... كبير أناس فى بجاد مُزَمَّلِ

وقرئ فى الشاذ: «يا أيها المُزَمَّل».

وقوله: ﴿ قم الليل إلا قليلا ﴾ أى: إلا شيئًا يسيراً منه.

قال الكلبى: هو الثلث، ومعناه: قم (ثلثى)(٢) الليل. وعن وهب بن منبه: إلا

(١) المدثر: ١.

(٢) فى «ك»: ثلث.

﴿ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴿٤﴾ ﴾

قليلا هو دون السدس.

وقوله: ﴿ نصفه ﴾ يدل على الليل أى: قم نصفه إلا قليلا. وقيل فى القليل على هذا القول: نصف السدس.

وقوله: ﴿ أو انقص منه قليلا ﴾ أى: من النصف إلى الثلث.

وقوله: ﴿ أو زد عليه ﴾ أى: زد على النصف إلى الثلثين. والمَعْنى من الآية: إيجاب القيام عليه مع توسيع الأمر فى المقدار. وذكر النقاش أن قوله: « نصفه » معناه: أو نصفه.

وقوله: ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ أى: بيِّنه تبييناً. قال الضحاك: حرفًا حرفًا. وحقيقة الترتيل هو الترسل فى القراءة وإلقاء الحروف حقها من الإشباع بلا عجل ولا (هذرمة)[1]. وروى أبو جمرة عن ابن عباس قال: لأن أقرأ سورة البقرة أرتل ترتيلا أحب إلى من أن أقرأ جميع القرآن هذرمة.

وعن أنس أنه سئل عن قراءة النبى ﷺ فقال: « كان يمد مداً »[2]. وفى الحكايات عن صدقة المقابرى أنه قال: قمت ليلة وقرأت أحدر حَدْرًا فرأيت فى المنام كأنى أزرع شعيراً، ثم رتلت فرأيت فى المنام كأنى أزرع حنطة، ثم حققت فرأيت فى المنام كأنى أزرع سمسماً.

وقد صح برواية سعد بن هشام أنه قال: قلت لعائشة رضى الله عنها: أخبرينى عن قيام رسول الله ﷺ بالليل. فقالت: ألست تقرأ سورة المزمل؟ قلت: نعم. قالت:

---

(١) وهى كثرة الكلام، ويقال: هو السرعة فى القراءة والكلام. لسان العرب ١٢ / ٦٠٦ .

(٢) رواه البخارى (٨/ ٧٠٩ رقم ٥٠٤٥ وطرفه ٥٠٤٦)، وأبو داود (٢/ ٧٣ رقم ١٤٦٥)، والنسائى (٢/ ١٧٩ رقم ١٠١٤)، وابن ماجه (١/ ٤٣٠ رقم ١٣٥٣)، وأحمد (٣/ ١٣١، ١٩٢، ٢٨٩) وغيرهم.

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا

«فرض الله تعالى قيام الليل على النبى ﷺ وأصحابه، فقاموا سنة حتى تورمت أقدامهم، ثم أنزل الله تعالى قوله: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل﴾ فنسخ قيام الليل»[1]. وفى هذا الخبر أنه أنزل أول السورة وأمسك خاتمتها سنة. وفى بعض الروايات: ستة عشر شهراً. وفى بعض الغرائب من الروايات: عشر سنين.

قوله تعالى: ﴿إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا﴾ قال الحسن: ثقيلا العمل به. وقال الزجاج: هو الصلاة والصيام وسائر الأوامر والنواهى، لا يفعلها الإنسان إلا بتكلف يثقل عليه. وعن قتادة قال: ثقيل و الله حدوده وفرائضه. وقيل: ثقيلا فى الميزان يوم القيامة، قاله الحسن فى إحدى الروايتين. وقال الفراء: هو قول ثقيل، أى: ليس بخفيف ولا بسفساف، وهو ثقيل، أى: له وزن بصحته وبيانه وتقشعه. يقال: هذا كلام رزين صين أى: ليس بقول لا معنى له.

قوله تعالى: ﴿إن ناشئة الليل﴾ روى عن ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وسعيد ابن جبير: أنه الليل كله. وعن ابن عمر وأنس: هو ما بين المغرب والعشاء. وعن الكسائى: أول الليل. وعن بعضهم: من صلاة العشاء الأخيرة إلى الصبح، قاله الحسن والحكم بن عتيبة.

وعن ابن الأعرابى: هو أن يستقيظ بعد أن ينام. وناشئة الليل: ساعات الليل، وحقيقته هى أن ساعات الناشئة من الليل، أى: التى ينشأ بعضها فى إثر بعض.

وقوله: ﴿هى أشد وَطْأً﴾ وقرئ: «وطاء» أما قوله: ﴿وطْأً﴾ قال الأخفش سعيد ابن مسعدة: أشد قياماً. والوطء فى اللغة هو الثقل. قال النبى ﷺ: «اشدد وطأتك على مُضَر»[2]. يقال: اشتد وطء السلطان فى بلد كذا، أى: ثقله. فعلى هذا معنى

(١) تقدم تخريجه فى تفسير سورة «ن»، وهو جزء من حديث: «كان خلقه القرآن».

(٢) تقدم تخريجه.

وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً ﴿٧﴾

قوله: ﴿أشد وطأ﴾ أى: ثقلا. والمعنى: أنه أثقل على البدن؛ لأنه وقت الراحة والسكون، فيكون القيام فيه أثقل، وإذا كان القيام أثقل فالثواب أعظم، فإن الجهد إذا كان أشد، والعمل أتعب، فالثواب أكبر، وهو المراد بالآية فى هذه القراءة. وأما القراءة الثانية أى: أشد مواطأة، ومعناه: موافقة بين السمع والبصر والقلب، وذلك لقلة الحركات وهَدْءِ الأصوات، فإن بالنهار تكون العين مشتغلة بالنظر، والأذن بالسمع، والقلب مشتغل بالتصرفات، فلا تقع الموافقة بالاستماع والتفهم. قال الفراء: ﴿أشد وطأ﴾ أى أجدر أن تحصوا مقادير قيامكم لفراغ قلوبكم.

وقوله: ﴿وأقوم قيلا﴾ قال الكلبى ومقاتل: أبين قولا. وعن أنس أنه قرأ قوله: ﴿أشد وطاء﴾ «أهيأ وطاء»[1] وهو قريب المعنى من الأول. وعن ابن مسعود أنه قال: ناشئة الليل هو جميع الليل بالحبشية، وهى معربة.

قوله تعالى: ﴿إن لك فى النهار سبحًا طويلا﴾ أى: فراغًا طويلا للاستراحة. وقال ابن قتيبة: سبحا طويلا، أى: تصرفًا وإقبالا وإدبارًا فى أمورك. وقرأ يحيى بن يعمر «سبخا طويلا» بالخاء المعجمة. قال ثعلب: السبح هو الاضطراب، والسبخ هو السكون. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة- رضى الله عنها - فى السارق منها: «لا تستبخى برأيك عليه»[2]، أى: لا تخففى.

---

(١) كذا فى «الأصل، وك»، فى الدر المنثور (٦/ ٣٠٨ - ٣٠٩) قال: وأخرج أبو يعلى وابن جرير ومحمد بن نصر وابن الأنبارى فى المصاحف، عن أنس بن مالك أنه قرأ هذه الآية: «إن ناشئة الليل هى أشد وطاء وأصوب قيلا». فقال له رجل: «إنا نقرؤها: «وأقوم قيلا»! فقال: إن أصوب وأقوم وأهيا، وأشباه هذا واحد.

(٢) رواه أبو داود (٢/ ٨٠ رقم ١٤٩٧، ٤/ ٢٧٨ رقم ٤٩٠٩)، وابن أبى شيبة (١٠/ ٣٤٨ رقم ٩٦٢٦) عن عائشة قالت: «سرقت ملحفة لها فجعلت تدعو على من سرقها، فجعل النبى ﷺ يقول: لا تسبخى عنه». قال أبو داود: لا تسبخى، أي: لا تخففى عنه. واللفظ لأبى داود.

وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴿٨﴾ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً ﴿٩﴾ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي

وقوله: ﴿ واذكر اسم ربك ﴾ قال مقاتل: إذا قرأت فقل: بسم الله الرحمن الرحيم عند افتتاح السورة. وقيل: اذكر ربك.

وقوله: ﴿ وتبتل إليه تبتيلا ﴾ أى: انقطع إليه انقطاعا.

ومنه العذراء البتول لمريم، أى: المنقطعة إلى الله تعالى فى النسك.

وكذلك الزهراء البتول لفاطمة، أى: المنقطعة عن أقرانها فى الفضل، ومنه صدقة بتلة، أى: منقطعة خارجة من مال المتصدق بها.

وقيل ﴿ وتبتل إليه تبتيلا ﴾ أى: أخلص له إخلاصا. وذكر النقاش عن محمد بن على الباقر: أنه رفع اليدين فى الصلاة. وعن زيد بن أسلم: أنه رفض الدنيا، وطلب ما عند الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا ﴾ قال الفراء: كفيلا. وقيل: إلها. وقيل: كل أمورك[1].

قوله تعالى: ﴿ واصبروا على ما يقولون ﴾ وهذا فى ابتداء الإسلام قبل نزول آية السيف، وكذلك قوله تعالى: ﴿ واهجرهم هجراً جميلا ﴾ وقد نسخ بآية السيف. والهجر الجميل قيل: هو الذى لا جزع فيه.

قوله تعالى: ﴿ وذرنى والمكذبين ﴾ فإن قال قائل: أيش معنى قوله: ﴿ وذرنى والمكذبين ﴾ ولا حائل يحوله عنهم؟

والجواب: أن العرب تقول ذلك وإن لم يكن ثَمَّ حائل ولا مانع على ما بينا.

وقوله: ﴿ أولى النعمة ﴾ أى: التنعم. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ قال: «إن

---

(١) يعنى: كفيلا فى كل أمورك.

والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا ﴿١١﴾ إن لدينا أنكالا وجحيما ﴿١٢﴾ وطعاما ذا غصة وعذابا أليما ﴿١٣﴾

عباد الله ليسوا بمتنعمين»[١].

وقوله: ﴿ومهلهم قليلا﴾ أى: أمهلهم مدة قليلة. قالت عائشة رضى الله عنها: لم يكن بين نزول هذه الآية ووقعة بدر إلا شيئا (يسيرا)[٢]. وقد قيل: إن الآية نزلت فى بنى المغيرة، وهو مغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. ويقال: إنها نزلت فى اثنى عشر رهطا من قريش، هم المطعمون يوم بدر.

قوله تعالى: ﴿إن لدينا أنكالا﴾ أى: قيودا. وقالت الخنساء:

دعـاك فقطعـت أنكالـه ... ولولاك يا صخر لم تقطع

وقال أبو عمران الجونى: إن لدينا أنكالا أى: اللُجم من النار.

وقوله: ﴿وجحيما﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿وطعاما ذا غصة﴾ قال مجاهد: هو الزقوم، وقيل: هو شوك يحصل فى الحلق، فلا ينزل ولا يخرج. وقيل: هو الضريع.

وفى الحكايات أن الحسن البصرى طوى ثلاث ليال ولم يفطر، وكان كلما قدم إليه الطعام ذكر هذه الآية فيأمر برفعه، حتى أُكْره من بعد على شربة سويق. وقد ورد فى بعض الغرائب من الأخبار «أن النبى ﷺ قرئ عنده هذه الآية فصعق صعقة»[٣].

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٤٣)، وفى الزهد (٦)، وأبو نعيم فى الحلية (٥/ ١٥٥) عن معاذ بن جبل مرفوعا به. وقال المنذرى فى الترغيب (٣/ ١٤٢)، والهيثمى فى المجمع (١٠/ ٢٥٣): رواه أحمد، ورجاله ثقات. وقال الألبانى فى المشكاة (٢/ ٦٦٩ رقم ٥٢٦٢): إسناده جيد.

(٢) فى «ك»: قليلا.

(٣) رواه ابن عدى فى الكامل (٢/ ٤٣٦)، ومن طريقه البيهقى فى الشعب (٣/ ١٦٦ - ١٦٨ رقم ٨٨٩) عن حمران عن أبى حرب بن أبى الأسود مرسلا.

وروى عن حمران مرسلا أيضا، رواه أحمد فى الزهد (٢٧)، وابن جرير الطبرى (٢٩/ ٨٥)، وابن عدى فى الكامل (٢/ ٤٣٦). ورواه الواحدى فى تفسيره الوسيط بإسناده إلى حمران عن عبد الله بن عمر. وانظر تخريج الكشاف للزيلعى (٤/ ١١١).

يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾

وهو غريب جدا.

قوله: ﴿وعذابا أليما﴾ أى: موجعا. وفى بعض الأخبار أن الله تعالى يحب النَّكل على النَّكل. أى: الرجل القوى المجرَّب على الفرس المجرب.

قوله تعالى: ﴿يوم ترجف الأرض والجبال﴾ أى: تتزلزل، ومنه الرجفة، أى: الزلزلة.

وقوله: ﴿وكانت الجبال كثيبا مهيلا﴾ أى: رملا سائلا.

ويقال: المهيل هو الذى إذا أخذ الطرف منه انهال الطرف الآخر.

قوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم﴾ وهو محمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولا﴾ هو موسى صلوات الله عليه.

وقوله: ﴿فعصى فرعون الرسول﴾ أى: خرج عن أمره.

وقوله: ﴿فأخذناه أخذا وبيلا﴾ أى: شديداً. يقال: طعام وبيل إذا أكله الإنسان فلم يستمرئه. وقيل وبيلا: ثقيلا.

قوله تعالى: ﴿فكيف تتقون إن كفرتم يوما﴾ أى: كيف تتقون [إن كفرتم من عذاب يوم؟][(١)] ثم وصف اليوم فقال: ﴿يجعل الولدان شيبا﴾ وهذا على طريق كلام العرب فى ذكر شدة اليوم، فإنهم يقولون: هو يوم تشيب [فيه][(١)] النواصى، ويوم يبيض فيه القار. فالمراد من الآية هو الإخبار عن شدة الأمر. وفى التفسير: أنه يشيب فيه ولدان الكفار لا ولدان المؤمنين.

---

(١) من «ك».

السَّماءُ مُنفطرٌ به كان وعدُه مفعولاً ﴿١٨﴾ إنَّ هذه تذكرةٌ فمن شاءَ اتَّخذ إلىٰ ربه سبيلاً ﴿١٩﴾ إنَّ ربَّك يعلمُ أنَّك تقومُ أدنىٰ من ثُلُثي اللَّيل ونصفَه وثُلُثه وطائفةٌ من

وقوله: ﴿السماء منفطر به﴾ قد ورد عن كثير من السلف أن قوله: ﴿منفطر به﴾ أى: بالله، وهو نزول يوم القيامة لفصل القضاء بلا كيف. وقيل: السماء منفطر به أى: فيه، يعنى أن السماء منشقة فى يوم القيامة. ذكره أبو جعفر النحاس، وذكر أنه أحسن المعانى.

وقوله: ﴿كان وعده مفعولا﴾ أى: متحققاً كائنًا لا محالة.

قوله تعالى: ﴿إن هذه تذكرة﴾ أى: السورة تذكرة عبرة عظة.

قوله: ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾ أى: طريقا ووجهة إلى الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه﴾ وقرئ: «ونصْفِه» فمن قرأ بفتح الفاء نصبه على تفسير الأدنى، ومن قرأ بكسر الفاء، أى: أدنى من نصفه.

وقوله: ﴿وثلثه﴾ معطوف [على](١) النصف فى القراءتين.

وقوله: ﴿وطائفة من الذين معك﴾ قد بينا أن النبى ﷺ وأصحابه قاموا حولا حتى تورمت أقدامهم. وفى التفسير: أنهم كانوا يقومون جميع الليل مخافة أن ينقصوا من المقدار المفروض. واختلف القول فى أنه كان القيام مفروضًا على النبى ﷺ وجميع أصحابه أو على النبى وحده؟

ففى أحد القولين: أنه كان مفروضًا عليه وعلى جميع أصحابه.

وفى قول آخر: كان مفروضًا عليه وحده [ذكره](٢) أبو الحسن الماوردى، وذكر أيضا قولين فى أنه هل بقى عليه قيام الليل بعد النسخ؟

(١) من «ك» وفى «الأصل»: إلى.

(٢) فى «الأصل، ك»: وذكر.

الَّذين معَكَ وَاللَّهُ يُقدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهار علِمَ أن لَّن تُحصُوهُ فَتَابَ علَيْكُمْ فَاقْرءُوا ما تيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ

فأحد القولين: أن النسخ كان في حق الصحابة، وأما في حقه بقي إلى أن توفاه الله تعالى.

والقول الثاني: أنه صار منسوخًا في حقه والصحابة جميعًا، وإنما بقي التنفل والتطوع به فحسب.

وقوله: ﴿والله يقدر الليل والنهار﴾ أي: لا يفوت عن علمه ساعات الليل والنهار، فيعلم ما يقومون من ذلك وما يتركون.

وقوله: ﴿علم أن لن تحصوه﴾ أي: لن [تطيقوه][1]. والمعنى: أنه يشق عليكم معرفة مقدار المفروض والقيام بالأمر، وذلك لأن الإنسان إذا نام ثم استيقظ لا يدرى كم نام وكم بقي من الليل، وقد كان الله تعالى فرض قيام الليل على مقدار معلوم، وهو لا ينقص من الثلث، ويبلغ الثلثين إن أراد.

وقوله: ﴿فتاب عليكم﴾ أي: نسخه عليكم ورفضه، ومعنى التوبة هو الرفع والعفو هاهنا.

وقوله: ﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾ فيه قولان:

أحدهما: صلوا ما تيسر من (الصلاة)[2]، وهذا على طريق النافلة والتطوع لا على طريق الفرض. وقال الحسن وقتادة: يجب قيام الليل ولو حلب شاة لهذه الآية. والأصح هو القول الأول؛ «لأنه قد ثبت أن النبي ﷺ جاءه أعرابي ثائر الرأس يسمع دوى صوته، ولا يفهم ما يقول... الخبر إلى أن قال: هل على غيرهن؟ قال: لا، إلا أن

(١) في «الأصل، ك»: تطيقونه، والمثبت هو الثواب.

(٢) في «ك»: الصلوات.

عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

تطوع»[1]. فدل هذا الخبر أن قيام الليل ليس بمفروض، وفيه إجماع.

والقول الثانى :[أن][2] قوله: ﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾ أى: فاقرءوا فى الصلاة ما تيسر من القرآن من غير توقيف ولا تقدير. وهذا على قول الشافعى وعامة العلماء فيما وراء الفاتحة. وقد ذكر أبو [الحسن][3] الدارقطنى فى كتابه بإسناده عن قيس بن أبى حازم أنه قال: صليت خلف ابن عباس فقرأ الفاتحة فى الركعة الأولى، وقرأ الآية الأولى من سورة البقرة، ثم قام فى الركعة الثانية وقرأ الفاتحة والآية الثانية من سورة البقرة، فلما فرغ قرأ قوله تعالى: ﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾ يعنى: أنه الذى تيسر. قال على بن عمر وهو الدارقطنى: هو دليل على قول من يقول أن ما تيسر هو ما وراء الفاتحة.

وقوله: ﴿علم أن سيكون منكم مرضى﴾ أى: (ذوو)[4] مرض.

قوله: ﴿وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله﴾ أى: التجار وسائر المسافرين.

وقوله: ﴿وآخرون يقاتلون فى سبيل الله﴾ أى: الغزاة. والكل بيان وجوه المشقة فى قيام الليل.

(١) متفق عليه من حديث طلحة، رواه البخارى (١/ ١٣٠ - ١٣١ رقم ٤٦ وأطرافه ١٨٩١، ٢٦٧٨، ٦٩٥٦)، ومسلم (١/٢٣٣ - ٢٣٦ رقم ١١).

(٢) في «الأصل، ك» : إلى.

(٣) فى «الأصل، وك» : الحسين، وهو سبق قلم، وهو أبو الحسن على بن عمر بن أحمد البغدادى الدارقطنى الإمام المشهور صاحب العلل والسنن وغيرهما. تاريخ بغداد (١٢/ ٣٢ - ٤٠)، والسير (١٦/ ٤٤٩ - ٤٦١).

(٤) في «ك» : ذو.

فاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٠) ﴾ .

وقوله : ﴿ فاقرءوا ما تيسر منه ﴾ معناه على ما بينا .

وقوله : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ أى : الصلوات الخمس المفروضة ، والزكاة المفروضة . وقيل بأن الزكاة هاهنا : زكاة الرءوس ، وهى زكاة الفطر .

وقوله : ﴿ وأقرضوا الله قرضًا حسنا ﴾ قد ذكرنا من قبل .

وقيل : هو جميع النوافل ووجوه الصلاة . وقيل : هو قوله : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . ويقال : إنه النفقة على الأهل .

وقوله : ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ﴾ أى : ثوابه عند الله يوم القيامة .

وقوله : ﴿ هو خيراً وأعظم ﴾ نصبه على أنه مفعول ثان من تجدوه . وقيل : هو فصل كلام ، ذكره الأزهرى .

وقوله : ﴿ وأعظم أجرًا ﴾ معطوف على الأول .

وقوله : ﴿ واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ ظاهر المعنى والله أعلم .

تفسير سورة المدثر

وهى مكية

وذكر جابر بن عبد الله أنها أول سورة أنزلت من القرآن .

وروى أن النبى ﷺ قال : «جاورت بحراء شهراً، فلما نزلت واستبطنت الوادى نوديت يا محمد، فنظرت من قدامى وخلفى ويمينى وشمالى فلم أر أحداً، فنوديت ثم نوديت ثم نوديت، فرفعت رأسى فإذا هو فى العرش فى الهواء. يعنى جبريل عليه السلام، فَجُئِثْتُ منه فَرَقًا، فرجعت إلى البيت وقلت : زمِّلونى دثِّرونى» .

وفى رواية : «صبوا علىَّ ماءً بارداً، ثم جاءنى جبريل فقال : ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر﴾ »(١) . ومن المعروف أن أول ما نزل من القرآن سورة اقرأ، ونبين من بعد ويمكن الجمع بين الروايتين فيقال : إن سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن حين بدىء بالوحى، وسورة المدثر أول ما نزل بعد فتور الوحى، والله أعلم .

(١) متفق عليه بنحوه عن جابر، رواه البخارى (١/٣٧ رقم ٤، وأطرافه : ٣٢٣٨، ٤٩٢٢ - ٤٩٢٦، ٤٩٥٤، ٦٢١٤)، ومسلم (٢/٢٦٩ - ٢٧٣ رقم ١٦١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾

قوله تعالى ﴿ يا أيها المدثر ﴾ معناه: يا أيها المتدثر، مثل قوله: ﴿ يا أيها المزمل ﴾ أى: المتزمل. والفرق بين الشعار والدثار، أن الشعار هو الثوب الذى يلى جلد الإنسان، والدثار هو الثوب الذى فوق ذلك. وقد روى معمر عن الزهرى عن أبى سلمة عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحى، فقال فى حديثه: «بينما أنا أمشى سمعت صوتا من السماء، فرفعت رأسى، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء [جالساً][(١)] على كرسى بين السماء والأرض، فجئثت منه رعباً، فرجعت وقلت: زملونى دثرونى، فأنزل الله تعالى: ﴿ يا أيها المدثر ﴾، وهذا خبر متفق على صحته. قال رضى الله عنه: أخبرنا به أبو محمد عبد الله بن محمد ابن أحمد، أخبرنا أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار، أخبرنا أبو بكر محمد بن زكريا [العذافرى][(٢)]، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الدبرى أخبرنا عبد الرزاق عن معمر ... الخبر[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ قم فأنذر ﴾ قال أبو الحسين بن فارس: القيام فى لغة العرب على وجهين: قيام جدٍ وعزم، وقيام انتصاب، فقيام الانتصاب معلوم، وقيام الجد والعزم فهو مثل قول الشاعر:

قد رضيناه فقم فسمه

قاله لبعض الخلفاء فى بعض ولاة العهد. وقال الضحاك: كان النبى ﷺ قائما فنزل

(١) فى «الأصل ،وك» : جالس. والصواب ما أثبتناه.

(٢) فى «الأصل، وك»: الغذافرى بالغين المعجمة. والصواب بالعين المهملة كما فى الأنساب (٤ / ١٧١).

(٣) تقدم فى الذى قبله.

وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾

﴿يا أيها المدثر﴾ أى: النائم.

﴿قم فأنذر﴾ أى: قم من النوم وأنذر الناس.

وقوله: ﴿وربك فكبر﴾ أى: عظمه، ودخلت الفاء بمعنى جواب الجزاء. وقيل: ربك فكبر، أى قل: الله أكبر.

وقوله: ﴿وثيابك فطهر﴾ قال مجاهد وقتادة معناه: لا تلبسها على غدر وفجور. وقال السدى: وعملك فأصلح.

وقال الشاعر فى القول الأول:

وإنى بحمد الله لاثوب فاجر ... لبست ولامن غدرة أتقنع

وقال السدى: تقول العرب فلان نقى الثياب إذا كانت أعماله صالحة، وفلان دنس الثياب إذا كانت أعماله خبيثة. وقيل: «وثيابك فطهر» أى: قلبك فأصلح.

قال امرؤ القيس:

فإن يك قد ساءتك منى خليقة ... فسُلِّى ثيابى من ثيابك تنسُلِ

وقال طاوس: وثيابك فطهر، أى: قصر، فإن الثوب إذا طال انجر على الأرض فيصيبه ما ينجسه. وقال عمر فى رجل يجر ثيابه: قصِّر من ثيابك فإنه أنقى وأبقى وأتقى. وعن ابن سيرين فى قوله: ﴿وثيابك فطهر﴾ أى: [اغسلها][1] من النجاسات. وهو قول مختار عند الفقهاء. وذكر الزجاج أن التطهير هو التقصير على ما ذكرنا عن طاوس.

وقيل: ونساءك فأصلح، أى: تزوج المؤمنات العفيفات. وقد بينا أن اللباس يكنى

(١) من «ك»، وفى «الأصل»: اغسلها.

وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾

به عن النساء، فكذلك يجوز فى الثياب .

وقوله : ﴿ والرجز فاهجر ﴾ قال مجاهد وإبراهيم معناه : فاهجر، أى : ابعد، والقول الثانى : فى الأوثان فاهجر، وهو قول معروف .

وقد قرئ : « والرِجْزَ فاهجر » لهذا المعنى . وقال الفراء : الرِجْزَ والرُجْز بمعنى واحد . وقيل : الرجز هو الرجس، يعنى : اجتنب الرجاسات والنجاسات . وعلى هذا القول أبدلت السين بالزاى . ويقال : الرجْزُ هو العذاب، والمعنى : اجتنب ما يؤدى إلى العذاب .

وقوله ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾ وقرأ ابن مسعود : « ولا تمنن أن تستكثر » . قال الكسائى : سقطت « أن » فارتفع . وقال الحسن معناه : لا تمن بعطائك على أحد . وذكر الاستكثار لأنه إنما يمن إذا رآه كثيراً . والقول المعروف : لا تُعْط أحداً لتُعْطَى أكثر مما تُعْطى . قال إبراهيم : وهذا فى حق النبى ﷺ خاصة؛ لأن الله تعالى أمره بأشرف الآداب وأجل الأخلاق، فأما فى حق غيره فلا بأس به . رواه المغيرة بن مقسم الضبى عن إبراهيم . وقد حكى هذا الذى قلناه عن غير إبراهيم .

وقوله : ﴿ ولربك فاصبر ﴾ قال مجاهد : على ما أوذيت . وقيل : على الحق وإبلاغ الرسالة . وعن إبراهيم قال : ولربك فاصبر حتى تثاب على عملك . أورده النحاس عنه .

قوله تعالى ﴿ فإذا نقر فى الناقور ﴾ أى : الصور . ويقال : هو النفخة الأولى . ويقال : هو الثانية . وقد روى أن زرارة بن أبى أوفى كان يصلى بقوم فقرأ : ﴿ فإذا نقر فى الناقور ﴾ فخر مغشيا [عليه][١] . وقيل : إنه شبه البوق .

وقوله : ﴿ فذلك يومئذ يوم عسير ﴾ أى : شديد ﴿ على الكافرين غير يسير ﴾ أى :

(١) من « ك » .

ذرني ومن خلقت وحيدا ﴿١١﴾ وجعلت له مالا ممدودا ﴿١٢﴾ وبنين شهودا ﴿١٣﴾

غير هين ولا لين.

قوله تعالى: ﴿ذرنى ومن خلقت وحيدا﴾ قوله: ﴿ذرنى﴾ معناه: دعنى. وقد بينا وجه ذلك.

وقوله: ﴿وحيدا﴾ فيه قولان: أحدهما: خلقته وحده لا مال له ولا ولد. والثانى: خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه غيرى، وهو الوليد بن المغيرة على قول أكثر المفسرين.

وقوله: ﴿وجعلت له مالا ممدودا﴾ فيه أقوال كثيرة: أحدها: أنه ألف دينار، قاله ابن عباس. وعن سفيان: أربعة آلاف دينار، وقال قتادة: ستة آلاف دينار. وعن مجاهد فى بعض الروايات: مائة ألف دينار. والقول الأول معروف؛ لأن الحساب يمتد إليه فيقطع. وعن عمر بن الخطاب: غلة شهر بشهر. وقد ورد أنه كان له بستان بالطائف لا ينقطع دخله شتاء ولا صيفا. ويقال: هو المال الذى يستوعب جميع وجوه المكاسب من التجارة والزرع والضرع وغير ذلك. وعن ابن عباس فى بعض الروايات: كانت له الإبل المؤبلة والخيل المسومة والأنعام من الإبل والبقر والغنم والذهب والفضة وغير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وبنين شهودا﴾ فى التفسير: أنه كان له [عشرة][1] بنين، وقيل: ثلاثة عشر. وقيل: غير ذلك.

وقوله: ﴿شهودا﴾ أى: حضورا لا يغيبون عنه لحاجة أو لخوف. (رواه مسلم)[2].

---

(١) في «الأصل.ك»: عشر. والصواب ما أثبتناه.

(٢) كذا! وأظنها مقحمة.

وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾

[و] من بنيه أسلم اثنان : خالد بن الوليد ، وهشام بن الوليد ، والباقون ماتوا فى الجاهلية .

وقوله : ﴿ ومهدت له تمهيدا ﴾ التمهيد هوالتهيئة والتوطئة . وقيل : وسعت عليه الأمر توسيعاً . (ويقال)(١) : بسطت له ما بين اليمن والشام . أى : فى التجارة . وقيل : التمهيد هو تيسير أسباب المعيشة ، كأنه كان يتيسر عليه كل ما كان يطلبه ويريده من أسبابها .

وقوله : ﴿ ثم يطمع أن أزيد ﴾ وروى أن النبى ﷺ لما ذكر ما أعد الله تعالى للمسلمين من نعيم الجنة ، قال الوليد بن المغيرة : أنا أيسركم وأكثركم بنين ، فأنا أحق بالجنة منكم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ثم يطمع أن أزيد كلا ﴾ أى : لا أزيد . وقيل هذا فى الدنيا ، وقد أعسر من بعد واحتاج .

وقوله : ﴿ إنه كان لآياتنا عنيدا ﴾ أى : معاندا . وقيل : جاحداً .

وقوله : ﴿ سأرهقه صعودا ﴾ الإرهاق فى اللغة : هو حمل الرجل على (الشىء)(٢) .

وقوله : ﴿ صعوداً ﴾ روى أبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « هو جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى به كذلك فيه أبداً »(٣) . ذكره أبو عيسى الترمذى فى كتابه ، وروى أنه صخرة من نار إذا وضع يده عليها ذابت ، وإذا رفعها عادت .

---

(١) فى « ك » : وقيل .

(٢) فى « ك » : المشى .

(٣) رواه الترمذى (٥ / ٣٩٩ - ٤٠٠ رقم ٣٣٢٦) وقال : غريب ، وأحمد (٣ / ٧٥) ، وأبو يعلى (٢ / ٥٢٣ رقم ١٣٨٣) ، وابن جرير (٢٩ / ٩٧) ، والحاكم (٢ / ٥٠٧) وصححه ، والبيهقى فى البعث (٢٦٧ رقم ٥٣٧) كلهم من طريق دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد به .

إنَّهُ فكَّرَ وقدَّرَ ﴿١٨﴾ فقُتِلَ كيْفَ قدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كيْفَ قدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نظر ﴿٢١﴾ ثُمَّ عبس وبسر ﴿٢٢﴾

قال الكلبى: يجر من قدامه بالسلاسل ويضرب من خلفه بالمقامع فإذا صعد عليها هوى هكذا أبداً. ويقال الصعود: العقبة الشاقة. وهذا القول قريب مما ذكرنا.

قوله تعالى: ﴿إنه فكر﴾ أى: تدبر.

وقوله: ﴿وقدر﴾ هو بمعنى التفكر أيضاً.

وقوله: ﴿فقتل كيف قدر﴾ أى: لعن كيف قدر. قال صاحب النظم معناه: لعن على أى حال قدر ما قدر.

وقوله ﴿ثم قتل كيف قدر﴾ على وجه التأكيد، ومعناه ما بينا.

وقوله ﴿ثم نظر﴾ أى: برأيه وعقله فى أمر النبى ﷺ. وروى إسحاق [بن](١) إبراهيم الحنظلى فى كتابه بإسناده عن مجاهد أن المشركين اجتمعوا عند الوليد بن المغيرة وقالوا: هذا الموسم يأتى ويقدم فيه الناس، ويسألوننا عن هذا الرجل، فإن سألونا نقول: إنه شاعر. فقال الوليد: إنهم يسمعون كلامه ويعلمون أنه ليس بشاعر. فقالوا: نقول: إنه مجنون: فقال: إنهم يسمعون حديثه فيعلمون أنه عاقل. فقالوا: نقول إنه كاهن. فقال: إنهم قد رأوا الكهنة فيعلمون أنه ليس بكاهن. قالوا: فماذا نقول؟ فحينئذٍ فكر وقدر ونظر.

وقوله تعالى: ﴿ثم عبس وبسر﴾ أى: قطَّب وجهه.

يقال للقاطب: وجهه باسر. وقيل: العبوس بعد المحاورة، والبسور قبل المحاورة. والأصح أنهما بمعنى واحد، وإنما قال ذلك؛ لأن الإنسان إذا أهمه الأمر، وجعل يتفكر فيه، ويؤتى بعبس وجهه كالمتكاره بشىء. ثم إن الوليد لما فعل جميع ما فعل للقوم [قال]:(١) قولوا: إنه ساحر؛ فإن الساحر يبغض بين المتحابين، ويحبب بين

(١) سقط من الناسخ.

ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ ﴿٢٨﴾

المتباغضين، وإن محمداً كذلك، فخرجوا واجتمعوا على هذا القول، وجعلوا يقولون لكل من يلقاهم: إنه ساحر، فهو معنى قوله تعالى: ﴿فقال إن هذا إلا سحر يؤثر﴾ أى: القرآن.

وقوله: ﴿يؤثر﴾ أى: يأثره عن غيره. كانوا يقولون: إنه يتعلم من غلام ابن الحضرمى، وقيل غيره.

وقوله: ﴿ثم أدبر واستكبر﴾ أى: تولى وتكبر.

قوله: ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ أى: القرآن قول البشر، ليس بقول الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿سأصليه سقر﴾ سأدخله، وسقر اسم من أسماء جهنم. قال ابن عباس: هو الدرك الخامس، والدركات سبع كلها فى القرآن: جهنم، لظى، والجحيم، وسقر، وسعير، والهاوية، والحطمة.

وقوله: ﴿وما أدراك ما سقر﴾ قاله تعظيما لأمر السقر.

وقوله: ﴿لا تبقى ولا تذر﴾ قال مجاهد: لا تبقى حيا فيستريح، ولا ميتا فيتخلص، وهو معنى قوله تعالى: ﴿لا يموت فيها ولا يحيى﴾[1].

ويقال: ﴿لا تبقى ولا تذر﴾ أى لا تبقى لحمًا ولا عظمًا ﴿ولا تذر﴾ أى: إذا أحرقت الكل لم تذر؛ لأنه يعود خلقًا جديداً. وقيل: لا تبقى أحداً من الكافرين، أى: تأخذ جميع الكافرين ولا تذرهم من العذاب وقتًا ما، أى: تحرقهم أبداً. وفى بعض التفاسير: أن كل شيء يسأم ويمل سوى جهنم.

وقوله: ﴿لواحة للبشر﴾ أى محرقة. قال أبو رزين: تحرقهم حتى يصيروا سوداً

---

(١) الأعلى: ١٣.

لوّاحةٌ لّلْبشر ﴿٢٩﴾ عليْها تسْعة عشر ﴿٣٠﴾ وما جعلْنا أصْحاب النّار إلاّ ملائكة

كالليل المظلم. وقيل: لواحة للبشر أى: تحرق اللحم حتى تلوح العظم. ويقال معناه: أن بشرة أجسادهم تلوح على النار، حكى هذا عن مجاهد. وقيل: لواحة للبشر، أى: معطَشة للبشر، قال الشاعر:

سقتنى على لوح من الماء شربة سقاها به الله الرباب والغواديا

وقوله: ﴿عليها تسعة عشر﴾ أى: من الزبانية وخزنة النار.

وفى التفسير: أن من منكب أحدهم إلى المنكب الآخر مسيرة سنة، ويأخذ بكفه مثل عدد ربيعة ومضر، ويدفع فى النار بدفعة واحدة سبعين ألفا. وقيل: تسعين ألفا، وأعينهم كالبرق الخاطف، وأسنانهم كصياص البقر. وذكر الكلبى أن لهم من الأعوان والجند ما لا يعلم عددهم إلا الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ سبب نزول هذه الآية أن النبى ﷺ لما أخبر بعدد الزبانية، وقال أبو جهل: أرى محمداً يوعدكم بتسعة عشر وأنتم الدُّهم، أفلا تقرنون معهم ليعمد كل عشرة منكم إلى واحد فيدفعه.

وقال أبو الأسد بن كلدة - وكان رجلاً من بنى جمح -: أنا أتقدمكم على الصراط، فأدفع عشرة بمنكبى الأيمن، وتسعة بمنكبى الأيسر، ونمرُّ إلى الجنة. وقال كلدة بن أسيد: أنا أكفيكم سبعة عشر، فاكفونى أنتم اثنين؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ أى: هؤلاء التسعة عشر من الملائكة، وكيف تطيقونهم؟ وروى أن المسلمين لما سمعوا منهم هذا قالوا: تقيسون الملائكة بالحدادين؟ أى: (السجانين)[1].

---

(١) فى «ك»: الشحانين. وهو خطأ. والحداد هو السجان. كما فى لسان العرب (٣ / ١٤٢). وأورد هذا الحديث.

وما جعلنا عدَّتهمْ إلاَّ فتنَةً لِّلَّذين كفرُوا ليستيْقنَ الَّذين أُوتُوا الْكتاب ويزْداد الَّذين آمنُوا إيمانًا ولا يرْتاب الَّذين أُوتُوا الْكتاب والْمُؤْمنُون وليقُول الَّذين في قُلُوبهم مَّرضٌ والْكافرُون ماذا أراد اللَّهُ بهذا مثلاً كذلك يُضلُّ اللَّهُ من يشاءُ ويهْدي من يشاءُ وما يعْلمُ جُنُود ربِّك إلاَّ هُو

وقوله تعالى: ﴿ وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ﴾ أى: محنة وبلية حتى قالوا ما قالوا.

وقوله ﴿ ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ﴾ أى: ليستيقن الذين أوتوا الكتاب أن محمداً ﷺ قال ما قال من الله تعالى؛ فإنه وافق هذا العدد الذين (وعدوا)[1] فى التوراة والإنجيل.

وقوله: ﴿ ويزداد الذين آمنوا إيمانا ﴾ أى: يزداد الذين آمنوا من أهل الكتاب إيمانًا. وقيل: يزداد جميع المؤمنون إيمانا إذا رأوا ما قاله النبى ﷺ موافقًا لما حكاه أهل الكتاب.

وقوله: ﴿ ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون ﴾ أى: لا يشكوا فى العدد إذا وجدوا التوراة والإنجيل والقرآن متفقة على هذا العدد.

وقوله: ﴿ وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ أى: كيف ذكر الله هذا العدد وخص الزبانية به؟ وهو تفسير قوله تعالى: ﴿ إلا فتنة للذين كفروا ﴾.

وقوله: ﴿ كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ﴾ يعنى: كما أضل الكفار بهذا العدد، وهدى المؤمنين لقبوله، كذلك يضل الله من يشاء، ويهدى من يشاء بما ينزل من القرآن.

وقوله تعالى: ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ روى أن الكفار لما سمعوا هذا العدد

(١) كذا فى «الأصل، وك»، ولعلها: عدوا.

وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلاَّ وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾

قالوا: ما أقل هذا العدد؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ أى: له من الجنود سوى هذا العدد ما لا يعلم عددها إلا هو.

وقوله: ﴿وما هى إلا ذكرى للبشر﴾ أى: هذه الآية عظة وعبرة للبشر.

قوله تعالى: ﴿كلا والقمر﴾ كلا: هو رد لما قالوا.

وقوله: ﴿والقمر﴾ ابتداء قسم.

وقوله: ﴿والليل إذ أدبر﴾ وقرئ: ﴿إذا دَبَر﴾ أى: تولى وذهب.

وقوله: ﴿إذ أدبر﴾ أى: إذا جاء خلف النهار.

وروى أن عبد الله بن عباس سئل عن قوله: ﴿والليل إذا دبر﴾ فقال للسائل: امكث. فلما أذن المؤذن للصبح قال: هذا حين دَبَرَ الليلُ. وقد أنكر بعضهم هذه القراءة. وقالوا: إذا دبر، إنما يقال فى ظهر البعير. والصحيح ما بينا، وهما قراءتان معروفتان. وقال الكسائى والفراء: دبر وأدبر بمعنى واحد.

وقوله: ﴿والصبح إذا أسفر﴾ أى: تبين وأضاء. يقال: سفرت المرأة عن وجهها، (وسفر)[1] الرجل بيته إذا كنسه حتى كشف عن تراب البيت.

وقوله: ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ أى: القيامة لإحدى العظائم. ويقال: الكبر دركات جهنم. وقوله: ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ أى: سقر إحدى دركات جهنم، فينصرف (إلى ما)[2] ذكرنا.

وقوله: ﴿نذيرًا للبشر﴾ أى: إنذارًا للبشر. وذكر النحاس أنه رجع إلى قوله:

(١) فى «ك»: وتسفر.

(٢) فى «ك»: لما.

لمَن شاءَ منكُمْ أَن يَتقدَّمَ أَوْ يَتأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نفسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَساءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾

﴿قم﴾ أى: قم نذيراً للبشر.

وقوله: ﴿لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾ أى: يتقدم إلى الإيمان أو يتأخر عنه.

وقوله: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ أى: مرتهنة.

وقوله: ﴿إلا أصحاب اليمين﴾ فليسوا بمرتهنين؛ لأنه ليست لهم ذنوب. قال زاذان عن عليٍّ: هم ولدان المسلمين. وقيل: هم الأنبياء. وقيل: هم الذين يعطون الكتاب بأيمانهم. وقيل: هم الذين أخذوا من صلب آدم من الجانب الأيمن، وقال الله تعالى لهم: هؤلاء فى الجنة ولا أبالى. وعن ابن عباس: أنهم الملائكة.

وقوله: ﴿فى جنات﴾ أى: بساتين.

وقوله: ﴿يتساءلون عن المجرمين ما سلككم فى سقر﴾ أى: ما أدخلكم فى سقر، وإنما سألوا عن ذلك؛ لأنهم لم يعرفوا الذنوب، وهذا يصح إذا حملنا على الملائكة وولدان المسلمين، وأما إذا حملنا على غيرهم، فهو سؤال مع المعرفة، ويجوز أن يسأل الإنسان عن غيره مع معرفة حاله.

قوله تعالى: ﴿قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين﴾ قال قتادة: كلما غوَى قوم غوَينا معهم.

وقيل: كنا نخوض مع الخائضين فى أمر محمد، وننسبه إلى السحر والشعر وغير ذلك.

وقوله: ﴿وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين﴾ أى: الموت.

وقوله: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ لأنهم كفرة، فلا يكون لهم شفيع ولو

فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾

كان لم ينفعهم. وفى التفسير: أن هذا حين يخرج قوم من المؤمنين من النار بشفاعة الأنبياء والرسل والملائكة والعلماء والصديقين، وكل هذا مروى[فى](1) الأخبار، ويبقى الكفار فى النار على الخصوص.

وقوله: ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾ أى: العظة والعبرة.

وقوله: ﴿كأنهم حمر مستنفرة﴾ وقرئ: ﴿مستنفَرة﴾ بفتح الفاء. وقوله: ﴿مستنفرة﴾ نافرة.

وقوله: ﴿مستنفَرة﴾ أى: مذعورة.

وقوله: ﴿فرت من قسورة﴾ قال ابن عباس وأبو هريرة: هو الأسد. وقال ابن عباس: يقال بالعربية الأسد، وبالحبشية القسورة، وبالفارسية شير، وبالنبطية أريا. وعن أبى موسى الأشعرى فرت من قسورة: هم النقابون. وقيل: هم رماة النبل.

وقوله: ﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة﴾ روى أن الكفار قالوا: لا نؤمن بك يا محمد حتى تأتى كل واحد منا كتابا من الله أن آمن بمحمد فإنه رسولى.

وقوله: ﴿كلا﴾ أى: لا يؤتون هذه الصحف. وقيل: كلا أى: لو أوتوا هذه الصحف لم يؤمنوا.

وقوله: ﴿بل لا يخافون الآخرة﴾ أى: لو خافوا لم يطلبوا هذه الأشياء.

وقوله: ﴿كلا إنه تذكرة﴾ أى: القرآن عظة وعبرة.

وقوله: ﴿فمن شاء ذكره﴾ أى: اتعظ به واعتبر به، ثم رد المشيئة إلى نفسه فقال:

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾

﴿ وما يذكرون إلا أن يشاء الله ﴾ أى: لا يعتبرون ولا يتعظون إلا بمشيئتى.

وقوله: ﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ أى: أهل أن أبقى خالداً فى الجنة من اتقى، ولم يجعل معى إلها. ﴿ وأهل المغفرة ﴾ أى: من اتقى ولم يجعل معى إلها فأنا أهل أن أغفر له. وفى هذا خبر مسند برواية أنس عن النبى ﷺ على نحو هذا المعنى ذكره أبو عيسى فى كتابه(١).

وعن محمد بن النضر بن الحارث فى هذه الآية أن قوله: ﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ المعنى: أنا أهل أن أتقى بترك الذنوب ﴿ وأهل المغفرة ﴾ أى: وأنا أهل أن أغفر للمذنبين إن لم يتقوا.

وذكر الأزهرى فى قوله: ﴿ بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة ﴾ قولا آخر: هو أن المشركين قالوا: كانت بنو إسرائيل إذا أذنب الواحد منهم ذنباً ظهر ذنبه مكتوباً على باب داره، فما بالنا لا يكون لنا ذلك إن كنا مذنبين؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأخبر على هذا المعنى، وأخبر أنه لا يفعل ذلك لهذه الأمة، وأن ذلك كان مخصوصاً ببنى إسرائيل. والله أعلم.

---

(١) رواه الترمذى (٥ / ٤٠٠ - ٤٠١ رقم ٣٣٢٨) وقال: غريب، وسهيل ليس بالقوى فى الحديث، وقد تفرد بهذا الحديث، والنسائى فى الكبرى (٦ / ٥٠١ رقم ١١٦٣٠)، وابن ماجه (٢ / ١٤٣٧ رقم ٤٢٩٩)، وأحمد (٣ / ٢٤٣)، وأبو يعلى (٦ / ٦٦ رقم ٣٣١٧)، والدارمى (٢ / ٣٩٢ رقم ٢٧٢٤)، والعقيلى فى الضعفاء (٢ / ١٥٤)، وابن عدى فى الكامل (٣ / ٤٥٠)، والحاكم (٢ / ٥٠٨) وصححه، والخطيب فى تاريخه (٥ / ٥٢)، والبغوى فى تفسيره (٤ / ٤٢٠).
وفى الباب عن أبى هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وانظر الدر (٦ / ٣١٨)، وتخريج الكشاف للزيلعى (٤ / ١٢٢).



﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ ﴾

تفسير سورة القيامة

وهى مكية

وعن عمر- رضى الله - عنه أنه قال: من أراد أن يشاهد القيامة فليقرأ سورة القيامة. وعن المغيرة بن شعبة أنه قال: يقولون القيامة ومن مات فقد قامت قيامته. أورد هذين الأثرين النقاش فى تفسيره.

قوله تعالى: ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ قال سعيد بن جبير معناه: أقسم بيوم القيامة. وعنه أيضًا أنه سأل ابن عباس عن قوله: ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ فقال: إن ربنا تعالى يقسم بما شاء من خلقه. واختلفوا فى قوله: «لا» على أقوال: أحد الأقوال: أنها صلة، أى: زائدة على ماهو مذهب كلام العرب، وأنكر الفراء هذا وقال: الصلة إنما تكون فى أثناء الكلام، فأما فى ابتداء الكلام فلا، ومعنى قوله: ﴿ لا ﴾ أى: ليس الأمر كما يزعمون أن لا بعث ولا جنة ولا نار، ثم ابتدأ بقوله: ﴿ أقسم ﴾ وأجاب من قال بالقول الأول أن القرآن كله متصل بعضه بالبعض فى المعنى، فيصلح أن تكون «لا» صلة فى هذا الموصل وإن كان (عند)[1] ابتداء السورة. والقول الثالث أن معنى قوله: ﴿ لا ﴾ على معنى التنبيه، كأنه قال: ألا فتنبه ثم أقسم، ومثله قول الشاعر:

ألا وأبيكِ ابنةَ العامرىِّ ... لا يَدَّعِى قومٌ أنى أفر

وقرأ ابن كثير: «لأقسم بيوم القيامة» وهى قراءة الحسن والأعرج. وأنكر النحويون

(١) فى «ك»: فى.

﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾﴾

من البصريين هذه القراءة وزعموا أنها لحن، وقالوا: لابد من دخول النون إذا كان على هذا الوجه، والصحيح هى القراءة المعروفة، وأكثر القراء على هذا.

وقوله: ﴿بيوم القيامة﴾ سميت القيامة؛ لأن الناس يقومون فى هذا اليوم للحساب وجزاء الأعمال.

وقوله: ﴿ولاأقسم بالنفس اللوامة﴾ أى: أقسم. وعن الحسن أنه قال: أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوامة. والأصح أن القسم بهما. وفى اللوامة أقوال: أحدها: أنها الفاجرة تلام يوم القيامة، فمعنى اللوامة: الملومة هاهنا على هذا القول. والقول الثانى - وهو الأصح -: أنها المؤمنة تلوم نفسها على ماتفعل من المعاصى. قال مجاهد: المؤمن يلوم نفسه على المعاصى، والكافر يمضى قدما قدما فى المعاصى ولايفكر فيه. وفى التفسير: أنه مامن أحد إلا ويلوم نفسه يوم القيامة؛ إن كان محسنا يلوم ألا ازداد واستكثر من الإحسان، وإن كان مسيئا يلوم نفسه ألا أقلع عن الإساءة والمعاصى.

وقوله: ﴿أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه﴾ أى: لن نحيى عظامه (فنجمعها)[1] للإحياء بعد تفرقها.

وقوله: ﴿بلى﴾ هو جواب القسم، وعليه وقع القسم.

وقوله: ﴿قادرين﴾ أى: بلى لنجمعنكم قادرين. وقيل: بلى نقدر قادرين.

وقوله: ﴿على أن نسوى بنانه﴾ أى: على تسوية بنانه، وهى أطراف الأصابع، وفيها عظام صغار، وخصها بالذكر؛ لأنه تعالى إذا قدر على جمع العظام الصغار فعلى الكبار أقدر على جمعها وإحيائها. وعن قتادة فى قوله: ﴿على أن نسوى بنانه﴾ أن

(١) فى «ك»: فلن نجمعها.

بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾

تجعل أصابعه بمنزلة خف البعير وحافر الحمار، وهذا قول مشهور فى التفاسير.

قوله تعالى: ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ فى التفسير: أن معناه: يقدم الذنب ويؤخر التوبة. وهو بمعنى التسويف فى ترك المعاصى والتوبة إلى الله. وروى على بن أبى طلحة الوالبى عن ابن عباس أن معناه: هو التكذيب بالقيامة، والفجور هو الميل عن الحق، والكاذب مائل عن الصدق فهو فاجر. وحكى ابن قتيبه أن أعرابيًا جاء إلى عمر - رضى الله - عنه وقال: إن بعيرى قد دبر فاحملنى على بعير، فلم يحمله عمر، فولى الأعرابى وهو يقول:

أقسمَ باللهِ أبو حفصٍ عُمَرْ ... ما مسه من نَقَبٍ ولا دَبَر

اغفر له اللهم إن كان فجر

أى: كذب.

قال مجاهد فى قوله تعالى: ﴿يفجر أمامه﴾ أى: يمضى أمامه راكبا هواه لايفكر فى ذنب، ولايتوب عن معصية.

قوله تعالى ﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾ أى: متى يوم القيامة، وكانوا يقولون ذلك على وجه الاستهزاء، وهو دليل على صحة القول الذى ذكرناه عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿فإذا بَرِقَ البصر﴾ وقرئ: «بَرَقَ» بالفتح، فقوله: «بَرَقَ البصر» أى: شخص من الهول فلم يطرف. وقوله: «برق» أى: تحير وجزع، ويقال: غشيه مثل البرق.

وقوله: ﴿وخسف القمر﴾ أى: ذهب ضوءه. ومنه يقال: بئر منخسفة وغير منخسفة. وعن أبى حاتم محمد بن إدريس الرازى أنه قال: الكسوف أن يذهب بعض

وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلاَّ لا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾

الضوء، والخسوف أن يذهب جميع الضوء. وهو قول مروى عن غيره أيضًا.

وقوله: ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ أى: فى الخسفة وإذهاب الضوء. قال ابن مسعود: يصيران كالبعيرين القرينين، ثم يلقيان فى النار فيصيران نارًا على الكفار، وهذا على معنى قوله. وعن مجاهد: وجمع الشمس والقمر أى: كور كلاهما.

وقوله: ﴿يقول الإنسان يومئذ أين المفر﴾ أى: أين المهرب؟ وقرئ: «أين المقر» أى: أين موضع القرار؟.

وقوله: ﴿كلا لا وزر﴾ أى: لا مهرب ولا فرار.

وأما قوله: ﴿لاوزر﴾ فيه أقوال: قال سعيد بن جبير: لا محيص. وقال عكرمة: لامنعة. وعن مجاهد: لا منجا. وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير، والضحاك: لاجبل. وهو قول مشهور، وقد كانت العرب إذا طرقتهم الخيل قالوا: الوزر الوزر، أى: الجبل الجبل.

قال الشاعر:

لعمرك ماللفتى من وزر إذا الموت يدركه والكبر

وهذا على المعنى المنجا.

وقوله: ﴿إلى ربك يومئذ المستقر﴾ أى: يظهر مستقر العباد فى الجنة أو النار.

وقوله: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ قال ابن مسعود وابن عباس: بما قدم من طاعة فعمل بها، وأخر من (سنة)[1] سيئة، فعُمِلَ بها بعده. ويقال: ﴿بما قدم وأخر﴾ بأول عمله وآخره. وهو محكى عن مجاهد وإبراهيم. وقيل: ﴿بما قدم وأخر﴾

(١) ليست فى «ك».

بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾

أى: يلقى جزاء جميع أعماله من طاعة ومعصية. وعن زيد بن أسلم: بما قدم من المال للصدقة، وأخر من المال للورثة.

وقوله: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ أى: شاهد، والمعنى: هو لزوم الحجة عليه كما يلزم بالشهادة، وما من أحد إلاوله من نفسه على نفسه حجة. وقيل: هو شهادة الجوارح عليه يوم القيامة. قال ابن عباس: تشهد عليه يداه ورجلاه وفرجه وغير ذلك. ودخلت التاء فى قوله: ﴿بصيرة﴾ للمبالغة مثل قولهم: علامة وراوية وما يشبهها.

وقوله: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ فيه قولان معروفان: أحدهما: ولو جاء بكل عذر، وأدلى بكل حجة أى: لايقبل منه ذلك؛ لأنه لاعذر له ولاحجة. والقول الثانى: أن قوله: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ أى: ستوره، واحدها معذار، قال الزجاج: وهو الستر. وقيل: هو لغة يمانية.

والمعنى: أنه وإن ستر جميع أعماله بالسُّتور، فإنما تظهر يوم القيامة ويجازى عليه.

قوله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ روى سفيان بن عيينة، عن موسى ابن أبى عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس «أن النبى ﷺ كان إذا نزل عليه الوحى يحرك به لسانه يريد أن يحفظه فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لاتحرك به لسانك لتعجل به﴾ قال: وحرك سعيد بن جبير شفتيه، وحرك ابن عباس شفتيه»[1]. قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو على الشافعى، أخبرنا أبو الحسن بن (فراس)[2]، أخبرنا أبو جعفر الديبلى، أخبرنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومى عن ابن عيينة.. الحديث.

---

(١) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه فى تفسير سورة «طه».

(٢) في «الأصل، وك». فارس، وهو تحريف، وقد سبق التنبيه عليه فى أكثر من موضع.

إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾

واختلف القول أن النبى ﷺ لماذا كان يحرك لسانه؟ فأحد القولين: أنه كان يحركه مخافة الانفلات لكيلا ينساه، وهو المعروف. والقول الثانى: أنه كان يحرك لسانه حبًّا للوحى، ذكره الضحاك.

وقوله: ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾ أى: جمعه فى صدرك. و«قرآنه» أى: نيسر قراءته عليك؛ فالقرآن هاهنا بمعنى القراءة.

وقال قتادة: إن علينا جمعه وقرآنه فى صدرك وتأليفه على ما أنزلناه.

وقوله: ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ أى: إذا أنزلناه فاستمع له.

ويقال: إذا قرأه جبريل عليك فاتبع قرآنه، وقيل: فاتبع قرآنه أى: فاتبع القرآن بالعمل به فى الحلال والحرام والأمر والنهى.

وقوله: ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ أى: علينا أن نجمعه فى صدرك لتبينه للناس وتقرأه عليهم، وهو مذكور بمعنى تيسير الحفظ عليه وتسهيله بمعونه: الله تعالى، وقد كان يلقى من الحفظ شدة قبل ذلك، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية كان إذا قرأ عليه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأ كما أنزل.

قوله تعالى: ﴿كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة﴾ هى خطاب للكفار؛ لأنهم كانوا يعملون للدنيا ولايعملون للآخرة، فهذا هو معنى الآية.

وقوله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ قوله: ﴿ناضرة﴾ بالضاد أى: مسرورة طلقة هشة بشة. والنضرة: هى النعمة والبهجة فى اللغة.

وقوله: ﴿إلى ربها ناظرة﴾ هو النظر إلى الله تعالى بالأعين، وهو ثابت للمؤمنين فى الجنة بوعد الله تعالى وبخبر الرسول ﷺ.

قال رضى الله عنه: أخبرنا أبو الحسن بن النقور، أخبرنا أبو القاسم بن حبابة، أخبرنا البغوى، أخبرنا هدبة [بن](١) خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن عبدالرحمن بن أبى ليلى عن صهيب عن النبى ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فماأعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى الله تعالى»(٢). قال رضى الله عنه: أخبرنا أبو على الشافعى بمكة، أخبرنا أبو الحسن بن فراس بإسناده عن إسرائيل عن ثوير بن أبى فاختة عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر فى ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى الله تعالى كل يوم مرتين». وفى رواية: «غدوة وعشيا، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾»(٣).

(١) فى «الأصل، وك»: بنت، وهو تحريف، وهو هدبة بن خالد بن الأسود القيسى أبو خالد البصرى. يروى عن حماد بن سلمة كما فى ترجمتيهما من تهذيب الكمال.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الترمذى (٥/٤٠٢ رقم ٣٣٣٠) وقال: غريب، وأحمد (٢/١٣، ٦٤)، وعبد بن حميد (٢٦ رقم ٨١٩)، وأبو يعلى (١٠ / ٧٦ - ٧٧ رقم ٥٧١٢، ٥٧٢٩)، وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (رقم ٩٦) فى السنة (رقم ٢٧٤، ٢٧٥)، والطبرى (٢٩ / ١٢٠)، وابن عدى فى الكامل (٢/١٠٦)، والآجرى فى الشريعة (٢٦٩)، والحاكم (٢/٥٠٩ - ٥١٠)، وأبو الشيخ فى العظمة (رقم ٦٠٦)، وأبو نعيم فى الحلية (٥/ ٨٧)، وفى صفة الجنة (رقم ٤٥١)، والبيهقى فى البعث (رقم ٤٧٧، ٤٧٨)، والبغوى فى تفسيره (٤/ ٤٢٤).

وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٤١٠): رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى، وفى أسانيدهم ثوير بن أبى فاختة، وهو مجمع على ضعفه. قلت: وبه أعله الذهبى فى تلخيصه على المستدرك.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾﴾

والذى ذكرناه من النظر إلى الله هو قول عامة المفسرين، وهو مروى عن الحسن البصرى أيضا أنه حمل الآية على هذا، وذكره سائر الرواة. وحكى بعضهم عن مجاهد: إلى ثواب ربها ناظرة، وليس يصح؛ لأن العرب لاتطلق هذا اللفظ فى مثل هذا الموضع إلا والمراد منه النظر بالعين، ولعل القول المحكى عن مجاهد لا يثبت؛ لأنه لم يورده من يوثق بروايته.

وحمل بعضهم قوله: ﴿ناظرة﴾ أى: منتظرة، وهذا أيضا تأويل باطل؛ لأن العرب لاتصل قوله: «ناظرة» بكلمة «إلى» إلا بمعنى النظر بالعين، قال الشاعر:

نظرت إليها بالمُحصَّب من منىً ... ولى نَظَرٌ ولولا التَّحَرُّج عارِمُ

فأما إذا [أراد](١) الانتظار فانهم لايصلونها بإلى، قال الشاعر:

فإنكما إن تَنْظُرانِىَ ساعةً ... من الدهر تَنْفَعِنى لَدَى أمِّ جُنْدُبِ

أى: تنتظرانى، وعلى المعنى لايصح أيضا هذا التأويل؛ لأن الطلاقة والهشاشة والسرور إنما يكون بالوصول إلى المطلوب فأما مع الانتظار فلا، فإن فى الانتظار تنغصاً ومشقة.

وقوله: ﴿ووجوه يومئذ باسرة﴾ أى: كالحة عابسة.

وقوله: ﴿تظن أن يفعل بها فاقرة﴾ أى: تتيقن أن الذى يفعل بها فاقرة، والفاقرة هو الأمر الشديد الذى ينكسر معه فَقَار الظهر. وقيل: فاقرة: واهية، أو أمر عظيم.

قوله تعالى: ﴿كلا إذا بلغت التراقى﴾ المعنى: أنه ليس الأمر كما يظنون ويتوهمون، (ويستعملون)(٢) ذلك إذا بلغت النفس التراقى. والتراقى جمع تَرْقُوة،

---

(١) فى «الأصل، وك»: أرادت.

(٢) كذا! ولعلها وسيعلمون.

وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾

وهو مقدم الحلق المتصل بالصدر، وهو موضع الحشرجة، ذكره أبو عيسى.

وقوله: ﴿ وقيل من راق ﴾ أى: هل من طبيب يشفى ويداوى، قاله قتادة. وقيل معناه: أن الملائكة يقولون من يرقى بروحه أى: تصعد ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب.

وقوله: ﴿ وظن أنه الفراق ﴾ قرأ ابن عباس: «وأيقن أنه الفراق». وهو صحيح عنه، وهو المعنى.

وقوله: ﴿ والتفت الساق بالساق ﴾ أى: [اتصلت](1) شدة الدنيا بشدة الآخرة. وقيل: يجتمع عليه كرب الموت وهول المطلع. قال الضحاك: هو فى أمر عظيم، الناس يجهزون بدنه، والملائكة يجهزون روحه. وعن الحسن: «والتفت الساق بالساق» أى: فى الكفن، وهو الساق المعروف، وعلى القول الأول الساق بمعنى الشدة. وقد ذكرنا من قبل.

وقوله: ﴿ إلى ربك يومئذ المساق ﴾ أى: السوق، فإنه يساق إما إلى الجنة، وإما إلى النار بأمر الله تعالى .

قوله تعالى: ﴿ فلا صدق ولا صلى ﴾ معناه: فلا صدق الكافر ولاصلى معناه: لم يصدق الكافر ولم يصل. قال المفسرون: نزلت الآية فى أبى جهل بن هشام.

قوله: ﴿ ولكن كذب وتولى ﴾ أى: كذب بآيات الله، وأعرض عن الحق.

وقوله: ﴿ ثم ذهب إلى أهله يتمطى ﴾ أى: يتبختر. ومشية المُطَيْطَاء هى مشية التبختر. وقيل: هو أن يولى مطاؤه، والمطا الظهر. وفى بعض التفاسير: أنه مشية بنى مخزوم. وقيل: التمطى: هو التمدد من كسل أو مرض، فأما من المرض فهو غير مذموم، وأما من الكسل إذا كان تثاقلا عن الحق فهو مذموم.

(١) فى «الأصل، ك»: اتصل.

أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾

وقوله: ﴿ أولى لك فأولى ﴾ اختلف القول فى هذه اللفظة، فأحد الأقوال: أن معناها: الويل لك ثم الويل لك. والثانى: معناها: وليك المكروه وقارب منك، وهذا قول قتادة وجماعة. والقول الثالث: الذم أولى لك، ثم طرحت لفظ الذم للاستغناء عنها ولأنه معلوم، ذكره على بن عيسى. وفى التفسير: «أن النبى ﷺ لقى أبا جهل وهو يخرج من باب بنى مخزوم يتبختر، فأخذ بيده وهزه مرة أو مرتين، ثم قال له: أولى لك فأولى، فأخبر الله تعالى فى القرآن قول الرسول على ما قال»(١)، وهذا قول حسن؛ لأن أولى فى لغة العرب بمعنى كاد وهم، ولفظة كاد بالخلق أليق؛ فهو حكاية من الله تعالى لقول الرسول ﷺ. وأنشدوا فى كلمة أولى قول الخنساء:

همممتُ بنفسىَ بعض الهمومِ ... فأولى لنفسى أولى لها

سأحملُ نفسى على آلةٍ ... فإما عليها وإما لها

آلة أى: حالة.

قوله تعالى: ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدا ﴾ أى: مهملا لايؤمر ولاينهى. قاله مجاهد. وقيل: لايبعث ولايحاسب ولا يعاقب، قال الشاعر:

فَأُقْسِمُ بالله جهدَ اليميـ ... ـنِ ماترك اللهُ شيئًا سُدَى

وقوله: ﴿ ألم يك نطفة من منى يمنى ﴾ وقرئ بالتاء: «تمنى». والمنى ماء معروف يخلق منه الإنسان، فالقراءة بالياء تنصرف إلى المنى، والتاء تنصرف إلى معناه، وهو النطفة.

وقوله: ﴿ يمنى ﴾ أى: يقذف فى الرحم. وقيل: يقدر .

---

(١) رواه عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة مرسلا بنحوه، كما فى الدر (٦/ ٣٢٨).

ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾

قال الشاعر:

مــا يَمْنــى لــك المانــى

أى: ما يُقدِّر لك المقدر

قوله تعالى: ﴿ ثم كان علقة ﴾ أى: المنى علقة، وهو الدم المنعقد.

وقوله: ﴿ فخلق فسوى ﴾ أى: فخلق منه الإنسان فسوى خلقه.

وقوله: ﴿ فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ﴾ وقيل: من المنى الذكر والأنثى.

وقوله: ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ﴾ معناه: أليس الله الذى خلق الإنسان من النطفة بقادر على أن يحيى الموتى؟ يعنى: هو قادر. وعن ابن عباس أنه كان إذا بلغ هذه الآية قال: اللهم بلى. وفى رواية: سبحانك بلى. وقد روى هذا مرفوعا فى بعض المسانيد(١). والله أعلم وأحكم.

---

(١) فى الباب عن أبى هريرة وأبى أمامة وجابر، وانظر الدر المنثور (٦/ ٣٢٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ

تفسير سورة الإنسان

وهى مكية فى قول بعضهم. مدنية فى قول بعضهم، وقيل: بعضها مكية وبعضها مدنية.

قوله تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ معناه: قد أتى على الإنسان حين من الدهر، قاله الفراء. وقيل: أتى على الإنسان حين من الدهر، والإنسان هو آدم على قول أكثر المفسرين. وعن ابن جريج: أنه كل إنسان من الآدميين.

وقوله تعالى: ﴿حين من الدهر﴾ هو أربعون سنة. قال محمد بن إسحاق: صور الله آدم - عليه السلام - ثم تركه أربعين سنة ينظر إليه، ثم نفخ فيه الروح. وفى رواية: خلقه من طين ثم بعد أربعين سنة صار صلصالا من غير أن تمسه النار. وفى رواية: كان أربعين سنة طينا، وأربعين سنة حمأ مسنونا، وأربعين سنة صلصالا.

وقوله: ﴿لم يكن شيئا مذكورا﴾ أى: كان شيئا إلا أنه لم يكن شيئا يذكر. وروى أنه قرأت هذه الآية عند عمر - رضى الله عنه - فقال: يا ليتها تَمَّتْ، أى: تلك الحالة.

قوله تعالى: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾ أى: أخلاط. قال ابن مسعود: أمشاجها عروقها التى فى النطفة. وفى اللغة: أن الأمشاج واحدها مشيج، وهو الخلط. (والمعنى):[1] هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة، أو اختلاط الدم بالنطفة.

(١) فى «ك»: ومعناها.

﴿نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾

وقيل: إن الله تعالى خلق الطبائع التى فى الإنسان فى النطفة من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، فهى الأمشاج، ثم عدلها ثم بنى البنية الحيوانية على هذه الطبائع المعدلة، ثم نفخ فيها الروح، ثم شق لها السمع والبصر، فسبحان من خلق هذا الخلق من نطفة مهينة أو علقة نجسة. وقيل: أمشاج أى: أطوار، فالنطفة طور، والعلقة طور، والمضغة طور، وكذلك ما بعدها. وقيل: أمشاج أى: ألوان. وفى الخبر: «أن ماء الرجل أبيض غليظ، وماء المرأة أصفر رقيق، فإذا علا ماء المرأة ماء الرجل آنثَتْ، وإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذْكَرَتْ»(١).

وقوله: ﴿نبتليه﴾ أى: نختبره ونمتحنه. وقيل: فى الآية تقديم وتأخير، ومعناها: فجعلناه سميعا [بصيراً](٢) نبتليه ونختبره.

قوله تعالى: ﴿إنا هديناه السبيل﴾ أى: الخير والشر، وهو مثل قوله تعالى: ﴿وهديناه النجدين﴾(٣). وقيل: بينا له طريق الإيمان والكفر.

وقوله تعالى: ﴿إما شاكراً وإما كفوراً﴾ عند البصريين أن «إما» بمعنى «أو» وعند الكوفيين أن معناه: إما كان شاكراً وإما كان كفوراً. وقيل: إما شقيًّا، وإما سعيداً.

قوله: ﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيراً﴾ وقرئ: «سلاسل»(٤)، والأصل سلاسل لا تنصرف، وأما صرفه على (قراءة)(٥) من قرأ «سلاسلا وأغلالا

---

(١) رواه مسلم (٣/ ٢٩١ - ٢٩٤ رقم ٣١٥)، والنسائى فى الكبرى (٥/ ٣٣٧ - ٣٣٨ رقم ٩٠٧٣)، وابن حبان (١٦ / ٤٤٠ - ٤٤١ رقم ٧٤٣٢)، والحاكم (٣/ ٤٨١ - ٤٨٢) وغيرهم عن ثوبان مرفوعا به.

(٢) من «ك».

(٣) البلد: ١٠.

(٤) انظر النشر (٢/ ٣٩٤).

(٥) فى «ك»: قول.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾

وسعيرا» على موافقة قوله: ﴿أغلالا﴾ وذلك جائز على مذهب العرب. والأغلال جمع غل. وروى جبير بن نفير عن أبى الدرداء أنه قال: ارفعوا أيديكم إلى الله قبل أن تُغَلَّ بالأغلال.

وقوله: ﴿سعيراً﴾ أى: نارا موقدة. وفى بعض الأخبار برواية عطية، عن أبى سعيد الخدرى: أن الله تعالى يبعث سحابة فتقف على رءوس أهل النار، ويقال لهم: ما تريدون: فيقولون: الشراب، فيمطرهم الله منها السلاسل والأغلال والحميم.

قال الحسن: إن الله لا يغل الكفار عجزا عن حفظهم، ولكن حتى إذا خبت النار عنهم أرسبتهم [أغلالهم](١) فى أسفل النار.

قوله تعالى: ﴿إن الأبرار يشربون﴾ الأبرار: هم المطيعون.

وقيل: هم الذين بَرُّوا الآباء والأبناء. وعن الحسن: هم الذين لا يؤذون الذَّرَّ. وفى بعض الأخبار: «ما من ولد ينظر إلى والده نظر بر وعطف إلا كتب الله له به حجة، فقيل: يا رسول الله، وإن نظر فى اليوم مائة مرة! قال: الله أكبر وأطيب»(٢).

وقوله: ﴿من كأس﴾ قال الزجاج: العرب لا تذكر الكأس إلا إذا كانت فيها الخمر.
قال الشاعر:

صرفتِ الكأسَ عنَّا أمّ عمرو وكان الكأسُ مَجْرَاها اليمينا

---

(١) فى «الأصل وك»: أغلاهم.

(٢) رواه ابن أبى الدنيا فى مكارم الأخلاق (٧٤ رقم ٢١٥)، والإسماعيلى فى معجمه (١/ ٣٥٦ - ٣٥٧ رقم ٧)، وذكره الديلمى فى الفردوس (٤/ ٢٠ رقم ٦٠٥٧)، وعزاه فى الكنز إلى الحاكم فى تاريخه، وابن النجار (١٦/ ٤٧٧)، وفى المشكاة (٢/ ٦٠٤) للبيهقى فى الشعب، وقال الألبانى فى تحقيقه للمشكاة: وما أراه إلا موضوعا.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾

وقوله: ﴿ كان مزاجها كافورا ﴾ أى: يُمزج بالكافور، وهو مزاج وجود الرائحة لا مزاج وجود الطعم. وقيل: إن الكافور والزنجبيل اسمان لعينين من عيون الجنة.

وقوله: ﴿ عينا يشرب بها عباد الله ﴾ النصب على المدح، أعنى عينا ﴿ يشرب بها عباد الله ﴾ أى: منها - عباد الله.

وقوله: ﴿ يفجرونها تفجيرا ﴾ أى: يجرونها [جراء][1] على ما يريدون ويشتهون. وقيل: إن الآية نزلت فى أبى بكر وعمر وعلى والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وأبى عبيدة. وفى بعض التفاسير: وابن مسعود وحذيفة وسلمان وأبى ذر.

قوله تعالى: ﴿ يوفون بالنذر ﴾ أى: يوفون بأقوالهم.

وقيل: هو نفس النذر. والأول أولى؛ لأن النذر مكروه على ما ورد فى بعض الأخبار: « أن النذر يستخرج به من البخيل »[2]. والمعنى: أن الجواد لا يحتاج إلى النذر، وعلى الجملة الوفاء بالنذر محمود.

وقوله: ﴿ ويخافون يوما كان شره مستطيراً ﴾ أى: فاشيًا. وقيل: ممتداً. وقيل: منتشراً.

قال الشاعر:

وَهانَ على سَرَاة بنى لُؤىٍّ حَــــــريقٌ بالبُويرةِ مُسْتَطيرُ

أى: منتشر، وانتشار شر يوم القيامة فى السموات والأرض، أما فى السموات فبتكوير شمسها، وخسوف قمرها، وانتثار كواكبها، وطى السموات كطى السجل،

---

(١) فى «الأصل وك»: إجراء، ومعنى جراء: أى: جرى معه، لسان العرب (١٤ / ١٤١).

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (١١ / ٥٠٨ رقم ٦٦٠٨ وطرفاه ٦٦٩٢، ٦٦٩٣)، ومسلم (١١/١٤٢ - ١٤٣ رقم ١٦٤٠).

وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾

وما أشبه ذلك. وأما شره فى الأرض فبقلع جبالها، وطم أنهارها، وإخراب نباتها، وكسر بعضها على بعض، وما شبه ذلك من تبديل الأرض وإهلاك الخلق وغيره.

وقوله: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا﴾ أى: على حب الطعام وشهوتهم إياه وحاجتهم إليه.

وقوله: ﴿مسكينًا﴾ هو المحتاج ﴿ويتيمًا﴾ هو الذى لا أب له ﴿وأسيرًا﴾ قال سعيد بن جبير: هو المحبوس المسجون.

وعن مجاهد وقتادة وجماعة: هو الأسير من المشركين. وعن أبى (سليمان)[1] الدارانى: على حب الله. واختلف القول فيمن نزلت هذه الآية، فأصح الأقاويل: أن الآية على العموم. والقول الثانى: أنها نزلت فى على وفاطمة والحسن والحسين، رواه عمرو بن عبيد، عن الحسن البصرى، وحكى عن ابن عباس ذلك فى بعض الروايات. وفى القصة: أن عليا وفاطمة أصبحا صائمين، فهيأت فاطمة ثلاثة أقراص من شعير لتأكل قرصا بنفسها، ويأكل علىٌ قرصًا، وللحسن والحسين قرص؛ فلما كان المساء جاء مسكين فأعطوه أحد الأقراص، ثم جاء يتيم فأعطوه القرص الثانى، ثم جاء أسير فأعطوه القرص الثالث وطووا. وفى رواية: أن عليا كان أجر نفسه من يهودى يستقى له بشىء من شعير، وحمل ذلك الشعير إلى فاطمة، وأخذت منه الأقراص الثلاثة. وفى بعض الروايات؟ أن ذلك كان فى ثلاث ليال. والله أعلم. وفى هذه القصة خبط كثير تركنا ذكره. وقيل: إن الآية نزلت فى أبى الدرداء.

قوله تعالى: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾ أى: جزاء بالفعل، ولا ثناء بالقول. وفى التفسير: أنهم لم يقولوا هذا القول، ولكنه كان فى

---

(١) فى «ك»: سلمان، وهو تحريف.

إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِئِينَ

ضميرهم فأخبر الله تعالى على ما كان في ضميرهم.

قوله: ﴿إنا نخاف من ربنا يومًا عبوسًا قمطريراً﴾ لأن الوجوه تنعبس فيه، وأضاف العبوس إلى اليوم على طريق مجاز. ومعنى «نخاف من ربنا يوما» أي: من عذاب يوم. وقوله: ﴿قمطريرا﴾ أي: شديدا. يقال: يوم قمطرير وقُمَاطر إذا اشتد فيه الأمر.

قال الشاعر:

بني عَمِّنَا هل تذكرون بَلاءَنا عليكمْ إذا ما كان يومٌ قُمَاطِرُ

وقوله تعالى: ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا﴾ أي: نضرة في الوجه، وسرورا في القلوب. والنضرة: هي الحسن في الوجوه من النعمة، وهي التنعم.

وقوله: ﴿وجزاهم بما صبروا﴾ على الأمر والنهي. وقيل: على المحن والشدائد، وعلى الجوع مع الإيثار.

وقوله: ﴿جنة وحريرًا﴾ أي: البساتين والثياب من الديباج.

وقوله تعالى: ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ الأرائك: هي [السُّرُر][1] في الحِجَال عليها الفرش، والعرب لا تسميها أريكة إلا إذا كانت في حَجَلة.

وقوله تعالى: ﴿لا يرون فيها شمسا ولا زمهريراً﴾ أي: حرا ولا بردا.

قال الشاعر:

مُنعَّمةٌ طَفْلَةٌ مهـاة[2] لم تر شمسًا ولا زمهرِيرا

---

(١) من «ك»، وفي «الأصل»: السرور.

(٢) كذا!

فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿ ودانية عليهم ﴾ نصب «ودانية» عطفا على قوله: ﴿ متكئين ﴾. وقوله: ﴿ عليهم ظلالها ﴾ أى: ظلال الحجال.

وقوله: ﴿ وذللت قطوفها تذليلا ﴾ أى: أدنيت قطوفها إليهم. وفى التفسير: أنهم إذا قاموا ارتفعت إليهم، وإذا قعدوا نزلت إليهم، وإذا اضطجعوا دنت منهم، وقيل: لا يمنعهم منها بُعْدٌ ولا شوك.

وقوله تعالى: ﴿ ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب ﴾ والأكواب هى الأباريق التى لا خراطيم لها، واحدها كوب.

وقوله تعالى: ﴿ كانت قواريرا ﴾ قال الشعبى: لها صفاء القوارير وبياض الفضة. وعن ابن عباس: أنه لو أخذت قطعة من فضة وجعلت فى الرقة كجناح ذُبَاب لم ير من داخله، وفضة الجنة يرى من داخلها، فهو فى صفاء القوارير على هذا المعنى. وعنه أيضا: أن القوارير فى الدنيا أصلها من الرمل، فإذا كان أصلها من الفضة فى الجنة فكيف تكون فى الحسن والصفاء. وعنه أيضا: أنه لا يشبه شىء فى الجنة شيئا فى الدنيا، وإنما فى الدنيا الأسامى مما فى الجنة فحسب.

وقوله: ﴿ قوارير من فضة قدروها تقديرا ﴾ أى: مقدرة على قدر الرى لا زيادة ولا نقصان. وقيل: على قدر الكف أى: على ما يسعه. وقيل: ممتلئة.

وقوله: ﴿ ويسقون فيها كأسا ﴾ أى: من كأس.

وقوله: ﴿ كان مزاجها زنجبيلا ﴾ كانت العرب تستطيب طعم الزنجبيل، فذكر ذلك على ما [اعتادوه](١). وقيل: الزنجبيل اسم العين لا أنه زنجبيل معروف فى الطعم

(١) فى «الأصل، و ك»: اعتاده، والمثبت هو الصواب.

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ

والرائحة. فعلى هذا قوله: ﴿مزاجها زنجبيلا﴾ أى: مزاجه من عين الزنجبيل.

وقوله: ﴿عينا فيها تسمى سلسبيلا﴾ يقال: إن السلسبيل هو عين الزنجبيل أيضا، ونصب على المدح، ومعناه: أعنى عيناً.

وقوله: ﴿تسمى سلسبيلا﴾ أى: سلسبيل الجَرْى فى حلوقهم. وفى بعض الآثار: أنها إذا أدنيت من أفواههم تسلسلت فى حلوقهم. ومن قال فى قوله: ﴿سلسبيلا﴾ سلنى سبيلا إليها فقد أبعد، وهو تأويل باطل، وليس هو من قول أهل العلم. وعن ابن الأعرابى قال: لم أسمع سلسبيلا إلا فى القرآن. وقيل: هو اسم العين على ما ذكرنا. فإن قيل: إذا جعلتم سلسبيل اسم العين فكيف ينصرف؟ والجواب: إنما انصرف؛ لأنه رأس آية، وقد بينا من قبل. وروى سفيان، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد قال: سلسبيلا أى: شديدة الجرى. وقال قتادة: سَلِسَة أى: تجرى فى حلوقهم على غاية السهولة. وقال ثعلب: سلسبيلا أى: لينا. وعن سعيد بن المسيب: السلسبيل عين تجرى تحت العرش فى قضيب من ذهب. وفى قوله: ﴿كان مزاجها زنجبيلا﴾ كلام آخر، وهو أنه تمزج لسائر أهل الجنة، ويشربه المقربون صرفا، وهو مثل التسنيم على ما يأتى من بعد.

وأنشدوا فى الزنجبيل:

وكأنَّ طَعْمَ الزنجبيلِ بهِ إذْ ذُقتَهُ وسلافَةَ الخَمْرِ

وهذا يدل على أنهم كانوا يستطيبون طعم الزنجبيل. وقيل فى السلسبيل أيضا: إنه يسيل عليهم فى قصورهم وغرفهم وعلى مجالسهم.

قوله تعالى: ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون﴾ أى: غلمان مخلدون.

وقوله: ﴿مخلدون﴾ أى: لا يبلون ولا يفنون. وقيل: مخلدونُ مقرَّطون مُسوَّرون. قال الشاعر:

إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ

ومخلدات باللجين كأنما أعجازهن أقاوز الكثبان

وقوله: ﴿إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا﴾ إنما شبه باللآلئ فى الصفاء والحسن والكثرة. وذكر منثورا لأن اللؤلؤ المنثور فى المجلس أحسن منه منظوما.

وفى تفسير النقاش: أنهم ينشرون فى الخدمة، فلهذا قال: ﴿لؤلؤا منثورا﴾ فلو كانوا صفا واحداً لقال منظوما.

قوله تعالى: ﴿وإذا رأيت ثم رأيت﴾ فيه حذف، والمعنى: إذا رأيت ما ثم رأيت ﴿نعيما وملكا كبيرا﴾ قال سفيان الثورى: بلغنا أنه تسليم الملائكة عليهم. وعن الكلبى ومقاتل وغيرهما أنهم قالوا: هو استئذان الملائكة للتسليم عليهم، فهو المُلْك الكبير. وفى بعض الأخبار برواية أبى سعيد الخدرى: «أن أدنى أهل الجنة منزلة يكون له ثمانون ألف خادم واثنتان وستون زوجة»[1]. وفى بعض الأخبار أيضا: للواحد منهم سبعون قصرا، فى كل قصر سبعون دارا، فى كل دار سبعون بيتا، فى كل بيت خيمة طولها فى السماء فرسخ، وعرضها فرسخ فى فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب.

قوله تعالى: ﴿عَالِيْهِم﴾ وقرئ: «عَالِيَهُم» فمن قرأ بفتح الياء أى: فوقهم، ومن قرأ بسكون الياء فمعناه: عليهم. ويقال: عليهم أى: عال الحجال المذكورة من قبل.

وقوله: ﴿ثياب سندس خضر﴾ وخضر أى: ألوانها خضر. فمن قرأ بالرفع فينصرف إلى الثياب، ومن قرأ بالكسر فهو نعت السندس. والسندس هو ما رق من

---

(١) رواه الترمذى (٤/ ٥٩٩ رقم ٢٥٦٢) وقال: غريب، لا نعرفه إلا من حديث رشدين، وأحمد (٣/ ٧٦)، وأبو يعلى (٢/ ٥٣٢ رقم ١٤٠٤)، ونعيم بن حماد فى زوائده على الزهد (١٢٧ – ١٢٨ رقم ٤٢٢)، وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (رقم ٢١١)، وابن أبى داود فى البعث (رقم ٧٧)، وابن حبان (١٦/ ٤١٤ – ٤١٥ رقم ٧٤٠١) عن أبى سعيد به، وفيه: وسبعون زوجة.

وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾

الديباج، والاستبرق ما غلظ منه.

وقوله: ﴿ وإستبرق ﴾ وقرئ: « وإستبرقٍ » فعلى الرفع ينصرف إلى الثياب، وعلى الخفض على تقدير من إستبرق.

وقوله: ﴿ وحلوا أساور من فضة ﴾ الأساور والأسورة جمع السوار، فإن قيل: وأى زينة فى السوار والأغنياء لا يبالون بها؟ والجواب عنه: أنه قد ذكر الذهب واللؤلؤ فى موضع آخ،ر فيحلون من ذهب تارة، ومن فضة (تارة)(١)، ومن لؤلؤ تارة؛ ليكون أجمع لمحاسن الزينة. ويقال: الذهب للنساء، والفضة للرجال. وقيل: إن الذهب إنما يفضل الفضة فى الدنيا لكثرة الفضة وعزة الذهب، وهذا التفاوت لا يوجد فى الجنة، وإنما المقصود عين الزينة، والزينة توجد فيهما جميعا.

وقوله: ﴿ وسقاهم ربهم شرابا طهورا ﴾ قال الزجاج: ليس برجس كخمر الدنيا. وعن أبى قلابة وإبراهيم أنهما قالا: إذا فرغ أهل الجنة من الطعام يؤتون بالشراب الطهور، فيطهر أجوافهم، ويضمر بطونهم، ويوجد منهم جشاء ورشح له رائحة المسك فيشتهون الطعام مرة أخرى. وقيل: إن الشراب الطهور من عين على باب الجنة، فإذا شرب منها المسلمون طهرت أجوافهم من كل غل وخيانة وحسد، وهذا قول(٢) لأن الطهور هو الطاهر المطهر على ما ذكر فى القصة. والدليل عليه قوله عليه الصلاة والسلام [حين](٣) سئل عن التوضؤ بماء البحر فقال: « هو الطهور ماؤه » أى: المطهر ماؤه.

قوله تعالى: ﴿ إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ﴾ الشكر المضاف

(١) فى « ك » : أخرى.

(٢) كذا. ولعله : هذا قول صحيح، أو حسن، وما يشبههما.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ

إلى الرب تعالى هو بمعنى قبول الحسنات والعفو عن السيئات.

قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا﴾ في التفسير: أن الآثم هو عتبة بن ربيعة، والكفور هو الوليد بن المغيرة.

وقيل: إن الآثم هو أبو جهل. وفي بعض التفاسير: أن الوليد بن المغيرة قال للنبي ﷺ: لم تركت دين آبائك؟ ولعلك إنما تركت للفقر، فارجع إلى دين آبائك وأعطيك نصف مالي. وقال أبو البختري بن هشام: أنا أزوجك ابنتي، وهي أحسن النساء جمالا، وأفصحهن منطقا، وأعذبهن لسانا. وقد علمت قريش ذلك. فسكت النبي ﷺ. فقال: أبو مسعود الثقفي: إن كنت تخاف من الله فأنا أجيرك منه. فحين سمع النبي ذلك قام وذهب؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية، وهو قوله: ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا﴾ إلى آخر الآيتين. فإن قيل: هلا قال: آثما وكفورا؟ وأيش معنى «أو» هاهنا؟ والجواب عنه: أن لكلمة «أو» هاهنا زيادة معنى لا توجد في الواو، وهو المنع من طاعة كل واحد منهما على الانفراد، فإن الرجل إذا قال لغيره: لا تطع فلانا وفلانا، فإذا أطاع أحدهما ما كان عاصيا على الكمال، وإذا قال: لا تطع فلانا ولا فلانا أو فلانا فإذا أطاع أحدهما كان عاصيا على الكمال. وهو مثل قولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين معناه: أيهما جالسته فأنت مصيب، وإذا قال: جالس الحسن وابن سيرين فلا تكون مصيبا إلا إذا جالستهما. وكذلك يقال: اقتد بمالك أو الشافعي على هذا المعنى.

قوله تعالى: ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا﴾ أي: بالغدو والعشي. وفي بعض الغرائب من الأخبار أن النبي ﷺ كان إذا صلى الغداة قال: «الله أكبر ثلاثا، وإذا صلى العصر قال: الله أكبر ثلاثا».

قوله تعالى: ﴿ومن الليل فاسجد له﴾ أي: صل له. وقيل: هو صلاة المغرب والعشاء.

لَيلاً طَوِيلاً ﴿٢٦﴾ إنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً ﴿٢٨﴾ إنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ﴿٢٩﴾

وقوله: ﴿ وسبحه ليلا طويلا ﴾ هو التطوع من بعد صلاة العشاء الأخيرة إلى الصبح، وهذا على الندب والاستحباب.

قوله تعالى: ﴿ إن هؤلاء يحبون العاجلة ﴾ معناه: إن هؤلاء الكفار يحبون العاجلة أى: الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿ ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ﴾ هو يوم القيامة، وتركهم له هو تركهم العمل والسعى له.

وقوله: ﴿ ثقيلا ﴾ يجوز أن يكون سماه ثقيلا لشدة الهول والفزع فيه، ويجوز أن يكون سماه ثقيلا لفصل القضاء فيه بين العباد وعدله معهم، وهو فى غاية الثقل عليهم إلا من تداركه الله بفضله.

قوله تعالى: ﴿ نحن خلقناهم وشددنا أسرهم ﴾ أى: قوينا خلقهم. وقيل: شددنا مفاصلهم. وقيل: هى الأوصال فشددها بالعروق والأعصاب. وعن مجاهد: أن الأَسْر هو الشَّرْج، وذلك مصر الإنسان (تسترخيان)[1] عند الغائط ليسهل خروج الأذى، فإذا خرج انقبضا.

قوله تعالى: ﴿ وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا ﴾ أى: أهلكناهم وخلقنا خلقا غيرهم.

قوله: ﴿ إن هذه تذكرة ﴾ أى: الآيات التى أنزلناها تذكرة أى: موعظة وعبرة.

قوله تعالى: ﴿ فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ﴾ أى: من شاء منكم أيها المخاطبون أن يتخذ إلى ربه سبيلا فيسهل ذلك عليه لوجود الدلائل ورفع الأعذار، فليفعل.

---

(١) فى «ك»: يستهلان.

وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيماً ﴿٣١﴾

وقيل: هو بمعنى الأمر.

وقوله: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ رد مشيئتهم إلى مشيئته، والمعنى: لا يريدون إلا بإرادة الله، وهو موافق لعقائد أهل السنة، أنه لا يفعل أحد شيئا ولا يختاره ولا يشاؤه إلا بمشيئة الله. وفى بعض الأخبار: أن رجلا كان يقول: إلا ما شاء الله وشاء محمد؛ فسمع النبى - عليه السلام - ذلك فقال: «أمثلان؟ ثم قال: قل إلا ما شاء الله ثم شاء محمد».

وقوله: ﴿إن الله كان عليما حكيما﴾ قد بينا.

قوله تعالى: ﴿يدخل من يشاء فى رحمته﴾ أى: فى جنته، وقيل: فى الإسلام. والأول أفضل فى هذا الموضع، لأن الله تعالى قال عقيبه: ﴿والظالمين أعد لهم عذابا أليما﴾ أى: النار، ونصب الظالمين؛ لأن تقديره: وأعد للظالمين عذابا أليما. وأورد أبو الحسين بن فارس فى تفسيره فى آخر السورة برواية جابر الجعفى عن قيس مولى عليٍّ أن الحسن والحسين مرضا مرضاً شديداً، فنذر عليٌّ صيام ثلاثة أيام، ونذرت فاطمة كذلك، ونذر الحسن والحسين كذلك، فلما شفاهما الله تعالى ابتدءوا جميعا الصوم، فلما كان فى اليوم الأول خبزت فاطمة ثلاثة أقراص من شعير، وقدموها عند إفطارهم ليفطروا، فجاء مسكين وقال: يا أهل بيت الرسول، مسكين على الباب أطعموا مما أطعمكم الله. فأعطوه الأقراص وطووا، ثم (إنه)[1] لما كان فى اليوم الثانى اتخذت فاطمة - رضى الله عنها - مثل ما اتخذت فى اليوم الأول، وقدموه عند المساء ليفطروا، فجاء يتيم ودعا كما ذكرنا، فأعطوه وطووا، ثم لما كان فى اليوم الثالث اتخذت فاطمة ما بينا وقدموه [فى][2] المساء ليفطروا، فجاء أسير وقال: يا

(١) فى «ك»: إنهم.

(٢) من «ك».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) ﴾

تفسير سورة المرسلات

وهى مكية

وعن ابن عباس وقتادة قالا: هى مكية إلا قوله تعالى: ﴿ وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ﴾(١) وروى إبراهيم عن الأسود عن عبد الله بن مسعود قال: نزلت سورة والمرسلات على رسول الله ﷺ ونحن معه على جبل حراء، فأخذتها رطبا من فِيِّ رسول الله ﷺ، فخرجت حية من جحرها فقصدناها فدخلت جحره،ا فقال النبى ﷺ :«وُقِيت شركم كما وُقِيتم شرها»(٢). والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ والمرسلات عرفا ﴾ قال أكثر المفسرين: على أنها الرياح ترسل عرفا أى: تتبع بعضها بعضا كعرف الفرس. وعن ابن مسعود وأبى هريرة قالا: هى الملائكة ترسل بالعرف أى: المعروف.

وقوله: ﴿ فالعاصفات عصفا ﴾ هى الرياح، وعصفها: شدة هبوبها، يقال: عصفت الريح وأعصفت إذا اشتدت، قاله ابن السكيت. يقال: الرياح عاصفات لأنها تأتى بالعصف أى: بورق الزرع. وقيل: إنها الملائكة تعصف بأرواح الكفار.

وقوله: ﴿ والناشرات نشرا ﴾ وهى الرياح أيضا تنشر السحاب. وقيل: إنها الملائكة تنشر الصحف على العباد يوم القيامة. وقال أبو صالح: هى الأمطار تنشر النبات. قال الأعشى:

---

(١) المرسلات: ٤٨.

(٢) متفق عليه، رواه البخارى (٦/ ٤٠٩ رقم ٣٣١٧ وطرفاه ٤٩٣٠، ٤٩٣١)، ومسلم (١٤/ ٣٣٤ - ٣٣٥ رقم ٢٢٣٤).

فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾

لو (أسندت)[1] ميتا إلى صدرها	عاش ولم ينقل إلى قابر
حتى يقول الناس (مما)[2] رأوا	يا عجبا للميت الناشر

وقوله: ﴿فالفارقات فرقا﴾ فى قول أكثر المفسرين: هم الملائكة يأتون بالفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام. وقال قتادة: هى آى القرآن فرقت بين الحق والباطل والحلال والحرام.

وقوله: ﴿فالملقيات ذكرا﴾ هى الملائكة تلقى الوحى على الأنبياء والرسل. وقيل: إنهم الأنبياء، وكذلك فسرت الآية الأولى، وهى مثل قوله: ﴿فالفارقات فرقا﴾ فى بعض الأقوال، والإلقاء طرح الشىء على الشىء، وهو فى هذا الموضع للتبيين والإفهام؛ فالملائكة يلقون على الأنبياء، والأنبياء يلقون على الأمم، والعلماء يلقون على المتعلمين.

وقوله: ﴿عُذُرا أو نذرا﴾ وقرى: «عُذْرا»[3] بتسكين الذال. قال الفراء: إعذارا أو إنذارا. وقيل: للإعذار والإنذار. وقال الحسن: ليقيم عذره [على خلقه][4] بإقامة الحجة عليهم، وأنه عذبهم حين استحقوا العذاب بإنكارهم بعد إقامة الحجج. والعذر ظهور معنى يوضع اللوم عن الإنسان، وهذا الحد فى حق الخلق، فأما فى حق الله فلا. ونصب «عذرا» على أنه بدل من قوله: «ذكرا» وكأنه قال: فالملقيات عذرا أو نذرا.

قوله تعالى: ﴿إنما توعدون لواقع﴾ إلى هذا الموضع كان قسما.

وقوله: ﴿إنما توعدون لواقع﴾ عليه وقع القسم. وقيل: إن الله تعالى أقسم بهذه

---

(١) فى «ك»: اشتديت

(٢) فى «ك»: لما.

(٣) انظر النشر فى القراءات العشر (٢/ ٢١٥ - ٢١٧).

(٤) فى «الأصل وك»: مخلقة، وهو خطأ.

فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾

الأشياء، [و] له أن يقسم بما شاء من خلقه. وقيل: فى الآيات إضمار، ومعناه: ورب المرسلات عرفا، ورب العاصفات... إلى آخره، فيكون قد أقسم بنفسه.

قوله تعالى: ﴿ فإذا النجوم طمست ﴾ أى: محيت وأذهب ضوءها.

وقوله: ﴿ وإذا السماء فرجت ﴾ أى: شُقَّت.

وقوله: ﴿ وإذا الجبال نسفت ﴾ أى: قلعت من أماكنها.

وقوله: ﴿ وإذا الرسل أقتت ﴾ أى: جمعت لوقتها، وهو يوم القيامة؛ ليشهدوا على الأمم. وقيل: التوقيت تقدير الوقت لوقوع الفعل، فلما كانت الرسل - عليهم السلام- قد قدر إرسالهم لأوقات معلومة بحسب صلاح العباد (بها)[1]، كانت قد وقتت بكل الأوقات. وقرئ: « وُقِّتَتْ » و« وُقِتَت » و« أوقتت » بمعنى واحد، والواو إذا ضمت وابتدأ بها الكلمة أبدلت بالهمز، تقول العرب: ووجوه وأُجُوه، ووجدانا وأُجدانا. وقيل: « وإذا الرسل وقتت » أى: أجلت.

وقوله: ﴿ لأى يوم أجلت ﴾ أى: لأى يوم أخرت.

وقوله: ﴿ ليوم الفصل ﴾ أى: أخرت ليوم الفصل، وهو يوم القيامة.

وقوله: ﴿ وما أدراك ما يوم الفصل ﴾ قال الحسن: والله ما درى حتى أعلمه الله تعالى.

وقوله: ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ قال النعمان بن بشير: الويل واد فى جنهم فيه ألوان من العذاب. وهو مروى عن ابن مسعود أيضا.

---

(١) فى « ك »: لها.

أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿ألم نهلك الأولين﴾ أى: قوم نوح وعاد وثمود ومن قرب من زمانهم.

وقوله: ﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾ أى: الذين كانوا بعد ذلك من فرعون وهامان وقارون ومن بعدهم.

وقوله: ﴿كذلك نفعل بالمجرمين﴾ أى: مشركى مكة ننزل بهم مثل ما نزل بهم، لأنهم عملوا مثل عملهم. وقيل: «ثم نتبعهم الآخرين» هم كفار قريش.

وقوله: ﴿كذلك نفعل بالمجرمين﴾ هم الذين يأتون بعدهم من الكفار إلى يوم القيامة. وقرأ ابن مسعود: «ثم سنتبعهم الآخرين» وقرأ الأعرج: «ثم نتبعْهم» بجزم العين.

وقوله: ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: ضعيف.

وقوله: ﴿فجعلناه فى قرار مكين﴾ قال عطاء وابن جريج والربيع بن أنس: هو الرحم، والماء المهين هو النطفة.

وقوله: ﴿إلى قدر معلوم﴾ أى: إلى وقت معلوم، وهو إشارة إلى مدة مكثه فى البطن فى رحم الأم.

قوله: ﴿فَقَدَرْنَا فنعم القادرون﴾ وقرئ: «فَقَدَّرنا» بتشديد الدال. قال القتيبى: هما بمعنى واحد. والعرب تقول: قَدَر وقَدَّر. ومنه قوله عليه السلام: «فإن غم عليكم فاقدروا له»[1] أى: قدِّروا له. (وقد اعترض على هذا القول، فقيل: لو كان قَدَّرنا

---

(١) تقدم تخريجه.

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ

بمعنى قَدَرْنا)[١] لقال. فنعم المقدرون. والجواب: أنه جمع بين اللغتين، وقال الشاعر فى مثل هذا:

وأَنْكَرتنِى وما كانَ الذى نَكِرَتْ ... من الحوادثِ إلا الشَّيّبَ والصَّلَعَا

وقيل: فى الفرق بين قدَّرنا وقدَرنا، بالتخفيف معناه: ملكنا فنعم المالكون، ومعنى قدّرنا بالتشديد أى: قدرنا خلق الإنسان على تارات مختلفة من نطفة وعلقة ومضغة، وما بعد ذلك إلى أن جعلناه إنسانا سويا. وقيل: قدرنا شقيا وسعيدا، وصغيرا وكبيرا، وأسود وأبيض وغير ذلك.

قوله تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض كفاتا﴾ أى: كَفْتًا. وقيل: مجمعا، فالكَفْتُ هو الضم، ومعنى الكفات هاهنا: هو أن الأرض تضم الخلق أحياء وأمواتا، فالضم فى حال الحياة هو باكتنانهم واستقرارهم على ظهرها، وبعد الممات باكتنانهم فى بطنها وهو القبور، وكان بقيع الغرقد يسمى الكَفْتة.

وعن (ابن)[٢] يحيى بن سعيد وربيعة: أن اللباس يقطع إذا أخرج الكفن ومن الحرز، وقرأ قوله تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا﴾ رواه سليمان بن (بليل)[٣]. وعن الخليل بن أحمد: أن الكَفْتَ هو التقلب. وقوله: ﴿كفاتا﴾ أى: متقلبا.

قوله تعالى: ﴿وجعلنا فيها رواسى شامخات﴾ أى: مرتفعات. يقال: شمخ فلان بأنفه إذا رفع قدره، قال بعضهم:

إذا كانت الأحرار أصلى ومنصبى ... وقام بأمرى خازم وابن خازم

(١) ما بين القوسين ليس فى «ك».

(٢) كذا، والصواب بحذفها، وهو يحيى بن سعيد بن قيس الأنصارى النجارى قاضى المدينة، وربيعة هو ابن أبى عبد الرحمن المعروف بربيعة الرأى.

(٣) كذا، والصواب: بلال، وهو سليمان بن بلال القرشى التيمى فهو يروى عن يحيى بن سعيد الأنصارى وربيعة الرأى كما فى تراجمهم من تهذيب الكمال، والله أعلم.

وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾

عطست بأنف شامخٍ وتناولت يداى الثريا قاعداً غير قائم(١)

وقوله: ﴿وأسقيناكم ماء فراتا﴾ أى: عذبا. وعن ابن عباس قال: أصول الأنهار العذبة أربعة: جَيْحان وهو نهر بلخ، ودجلة وفرات للكوفة، ونيل مصر. وذكر الكلبى أن فى الدنيا ثلاثة من الجنة: [الدجلة]، والفرات، ونهر الأردن، وأنشد الشاعر:

إذا غاب عنا غاب فراتنا وإن شهد إحدى نبله وفواضله

قوله: ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون﴾ فى التفسير: أن الناس يقفون على رءوس قبورهم أربعين عاماً إذا بعثوا، وتدنوا الشمس من رءوسهم ويزاد فى حرها حتى يأخذهم الكرب العظيم وحتى تأخذ بأنفاسهم ثم إن الله تعالى ينجى المؤمنين إلى ظل من ظله برحمته، ويبقى الكفار فيخرج لهم دخان من النار ويتشعب ثلاث شعب فيقال لهم: انطلقوا إلى ذلك الدخان فاستظلوا به فهو معنى قوله تعالى: ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون﴾ وإنما قال: ﴿ما كنتم به تكذبون﴾ لأنهم كانوا يكذبون بالنار. وهذا دخان النار.

وقوله تعالى: ﴿انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب﴾ فهو ما ذكرنا وهو بيان الأول.

وقوله: ﴿[لا](٢) ظليل﴾ الظل: حجاب عال يدفع أذى الحر عن الإنسان فقوله: ﴿لا ظليل﴾ أى: لا يدفع الأذى فهو فى صورة ظل وليس له معنى الظل.

وقوله: ﴿ولا يغنى من اللهب﴾ أى: لا يدفع عنهم أذى اللهب، واللهب لهب النار. وعن قطرب قال: اللهب هو العطش.

---

(١) والشعر لإسحاق بن إبراهيم الموصلى، أورده ابن العديم فى بغية الطلب فى ترجمة إسحاق (٣/١٤١٦)، ونصه:

إذا كانت الأحرار أصلى ومنصبى ودافع ضيمى خازم وابن خازم
عطست بأنف شامخ وتناولت يداى السماء قاعدا غير قائم

(٢) فى «الأصل»: فى.

إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾

وقوله: ﴿إنها ترمى بشرر﴾ أى: يتطاير منها الشرر.

وقوله: ﴿كالقصر﴾ قال أبو عمرو: كالبناء العظيم. وقيل: كالخيمة من خيام العرب، والعرب تسمى ذلك قصراً. وقرأ ابن عباس: «كالقَصَر» بتحريك الصاد. وقيل: إنها أعناق النخيل. وقيل: أصول النخيل. وعن بعضهم أنه خشبة كان أهل الجاهلية يتنضدون بها نحو ثلاثة أذرع يسمونها القصر. وعن مجاهد: أن القصر بتسكين الصاد هو الجبل. وعن قتادة: أعناق الدواب وهو بنصب الصاد. (وعن ابن عباس فى رواية هو قلوس السفن. وقيل: حبال السفن][1]. وعن (المبرد)[2] قال: هو الجزل العظيم من الحطب.

وقوله: ﴿كأنه جمالات صفر﴾ أى: نوق سود، والجمالات جمع جمل. وقيل: إنها جمع الجمع كأنهم قالوا جمل وجمال وجمالات، وهو مثل قولهم: رجل ورجال ورجالات. وقرى بضم الجيم، وهى جُمال. وقرئ: «جُمَالَة» على الوحدان مثل حجر وحجارة وحمل وحمالة.

وقوله: ﴿صفر﴾ أى: سود وإنما سماها صفراً لأنه يشوبها لون من السود وإن كانت صفراً. ومنه يقال: [لبيض الظباء][3] أدم لأنه يشوبها شىء من الكدورة وإن كانت بيضاء. وقال الشاعر:

تلك خيلى منها وتلك ركابى ... هن صفر (ألوأنها)[4] كالزبيب

(١) كذا!، وإنما قال ذلك فى تفسير قوله تعالى: ﴿جمالات صفر﴾ - كما فى تفسير بن جرير الطبرى (٢٩/١٤٨) وغيره.

(٢) فى «ك»: مجاهد.

(٣) فى «الأصل، وك»: للظباء البيض، وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه، كما فى تفسير البغوى والقرطبى وغيرهما.

(٤) فى «ك»: ألوانهن.

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾

أى: سود.

قوله تعالى: ﴿ هذا يوم لا ينطقون ﴾ فإن قال قائل: قد قال فى موضع آخر: ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾[1] فكيف الجمع بين الآيتين؟ والجواب: بينا أن ليوم القيامة مواطن ومواقف.

وقوله: ﴿ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ لأنه لا عذر لهم فيعتذرون.

وقوله: ﴿ هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين فإن كان لكم كيد فكيدون ﴾ أى: إن كان لكم حيلة فاحتالوا.

قوله تعالى: ﴿ إن المتقين فى ظلال وعيون ﴾ قيل: ظلال القصور والأشجار. وقيل: إن الظل هو ما يدفع أذى الحر عن الإنسان. وهواء الجنة ينافى كل أذى فهو ظل على هذا المعنى وإن لم يكن هناك شمس.

وقوله: ﴿ وفواكه مما يشتهون ﴾ أى: يتمنون.

وقوله: ﴿ كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ﴾ قد بينا من قبل.

وقوله: ﴿ إنا كذلك نجزى المحسنين ﴾ قال الحسن البصرى: المحسن من أدى جميع فرائض الله واجتنب جميع مناهى الله.

---

(١) الصافات: ٢٧.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المرسلات: ١ - ٥٠]

قوله تعالى: ﴿كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون﴾ هذا على طريق التهديد والوعيد لا على طريق الأمر. ومعناه: افعلوا ما أنتم فاعلون فسينالكم رعب ذلك وعاقبته.

وقوله: ﴿وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون﴾ معناه: إذا قيل لهم: صلوا لا يصلون. وقيل: إنها نزلت فى ثقيف استعفوا من الصلاة. وقيل: كانوا استعفوا من الركوع والسجود فقال النبى ﷺ: «لا خير فى دين ليس له ركوع ولاسجود»(١).

وقوله: ﴿فبأى حديث بعده يؤمنون﴾ أى: بأى كتاب بعد القرآن يؤمنون إن لم يؤمنوا بهذا الحديث بعد ظهور براهينه وقيام الدلائل على أنه من عند الله؟! فإن قال قائل: ما وجه التكرار فى قوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ فى هذه السورة والمرة الواحدة تغنى عن المراد به؟ والجواب قد بينا هذا فى سورة الرحمن. ووجه ذلك أنه لما كرر ذكر النعم فى تلك السورة كرر الزجر عن كفرانها والنهى عنها بقوله: ﴿فبأى آلا ربكما تكذبان﴾(٢) ولما كرر ذكر الآيات فى هذه السورة لإقامة الحجج عليهم كرر ذكر العقوبة عليهم بذكر الويل ليكون أبلغ فى الإنذار والإعذار وهو على عادة كلام العرب فإن الرجل يقول لغيره: ألم أحسن إليك بأن فعلت لك كذا ؟ألم أحسن بأن خلصتك من المكاره؟ ألم أحسن بأن تشفعت لك إلى فلان؟ وغير ذلك فيحسن منه التكرير لاختلاف ما يقرره به. قال مهلهل بن ربيعة يرثى أخاه كليبًا على هذا المعنى:

علىّ أن ليس عِدْلًا من كليب ... إذا طرد (اللئيم)(٣) عن الجزور

علىّ أن ليس عِدْلًا من كليب ... إذا ما ضيم جيران المجير

---

(١) عزاه الزيلعى فى تخريج الكشاف (١٤ / ١٣٩) للثعلبى عن مقاتل موسلا. وروى بنحوه بدون نزول الآية عن الحسن عن عثمان بن أبى العاص، رواه أبو داود (٣ / ١٦٣ - ١٦٤ رقم ٣٠٢٦)، وأحمد (٤ / ٢١٨)، والطيالسى (١٢٦ رقم ٩٣٩) وغيرهم. وذكر الزيلعى عن عبد الحق قوله: لايعرف للحسن سماع من عثمان، وليس طريق الحديث بقوى.

(٢) الرحمن: ١٣، وفى مواضع أخرى من السورة.

(٣) كذا، ولعل الصواب: اليتيم.

عَلَيّ أن ليس عِدْلاً من كليب إذا خرجت[1] مخبأة الخدور
على أن ليس عِدْلاً من كليب غداة بلائك الأمر الكبير
على أن ليس عِدْلاً من كليب إذا ما ضام[2] جار المستجير

والله أعلم

(١) في « ك » : صرخت، وفي لسان العرب (١١ / ٤٣٢ - مادة : عدل) : برزت .

(٢) في « ك » : جار .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) ﴾

تفسير سورة النبأ

وهى مكية

قوله تعالى ﴿عم يتساءلون عن النبأ العظيم﴾ معناه: عن ما يتساءلون فأدغمت النون فى الميم، وأسقطت الألف فصار عمَّ. قال الزجاج: لفظه لفظ الاستفهام، والمعنى تفخيم القصة مثل القائل: أى شىء زيد؟

وفى التفسير: أن رسول الله ﷺ لما بعث ودعا المشركين إلى التوحيد جعل بعضهم يسأل بعضًا فبماذا بعث محمد؟ وإلى ماذا يدعو؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية. ومعنى يتساءلون أى: يسأل بعضهم بعضًا.

وقوله: ﴿عن النبأ العظيم﴾ قيل معناه: عن النبأ العظيم: واختلف القول فى النبأ العظيم: روى أبو صالح عن ابن عباس: أنه القرآن، وعن قتاده: أنه البعث، وهو قول أبى العالية والربيع بن أنس وجماعة، وعن الحسن أنه قال: هو النبوة، والقولان الأولان معروفان.

وقوله: ﴿الذى هم فيه مختلفون﴾ أى: منهم المصدق، ومنهم المكذب.

وقوله: ﴿كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون﴾ قال الحسن: هو تهديد بعد تهديد. وعن الضحاك قال: قوله: ﴿كلا سيعلمون﴾ أى: الكفار.

وقوله: ﴿ثم كلا سيعلمون﴾ أى: المؤمنون، والظاهر أنهما جميعًا للكفار.

قوله تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً﴾ لما أخبر الله تعالى باختلافهم فى القرآن والقيامة – وكان اختلافهم فى البعث بالتصديق والتكذيب – واختلافهم فى القرآن

وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾

أنه سحر أو شعر أو كهانة، فذكر الله تعالى الدلائل عليهم فى التوحيد، وأن ماأنزله حق وصدق، وعدد نعمه عليهم، ليعترفوا به ويشكروه.

قوله تعالى: ﴿ مهادًا ﴾ أى: بساطًا وفراشًا والنعمة فى تذليلها وتوطئتها لهم.

وقوله: ﴿ والجبال أوتادًا ﴾ قال ابن عباس: لماخلق الله تعالى الأرض جعلت تكفأ- وحرك ابن عباس يده- فخلق الله الجبال وأرساها بها - أى: أثبتها- فهى أوتاد الأرض، كما يثبت الشىء على الحائط بالوتد.

وقوله: ﴿ وخلقناكم أزواجًا ﴾ أى: أصنافًا وموضع النعمة هى سكون بعضهم إلى بعض، فالرجل والمرأة زوج، وكذلك السماء والأرض، والليل والنهار، وغير ذلك من الخلق، وقيل: أزواجًا أى: متآلفين، تألفون أزواجكم، وتألفكم أزواجكم.

وقوله: ﴿ وجعلنا نومكم سباتًا ﴾ قال ثعلب: قطعًا لأعمالكم، وأصل السبات هو التمدد والسكون.

والمعنى: أنهم ينقطعون عن الحركة بالليل فيسكنون ويستريحون، وقيل: سباتًا أى: راحة.

وقال الشاعر:

ومطوية (الأقتـاب)(١) أما نهارها فسبت وأما ليلها فزميل

أى قطيع(٢).

وقوله تعالى: ﴿ وجعلنا الليل لباسًا ﴾ أى: سترًا لكم، وهو مذكور على طريق المجاز، ووجهه أن ظلمة الليل لما غشيت كل إنسان كما يغشاه اللباس، سماه لباسًا

---

(١) وفى لسان العرب (٢ / ٣٨ مادة: سبت): الأقراب.

(٢) كذا!، والسبت هنا يعنى السير السريع، وقيل: سير سهل لين، وانظر المرجع السابق.

وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾

على طريق المجاز.

وقوله: ﴿ وجعلنا النهار معاشًا ﴾أى: مبتغى معاش ومطلب معاش، والمعنى: أنه الزمان الذى يعيشون وينصرفون فيه.

وقوله: ﴿ وبنينا فوقكم سبعًا شدادًا ﴾ أى: السماوات السبع.

وقوله: ﴿ شدادًا ﴾ أى: صلبة، وفى الآثار: أن غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام.

وقوله: ﴿ وجعلنا سراجا وهاجا ﴾ أى: جعلنا الشمس وقادًا متلألئًا.

وقوله: ﴿ وأنزلنا من المعصرات ماء ﴾ قال ابن عباس: هى الرياح، وتسميتها بهذا الاسم؛ لأن الرياح تلقح السحاب ليكون فيه المطر، فكأن المطر كان من الرياح، والقول الثانى: أن المعصرات هى السحاب، وهو مروى عن ابن عباس أيضا، وهو قول مجاهد وجماعة. قال المبرد: تسميته بالمعصرات، لأنه ينعصر بالمطر شيئًا فشيئًا، وقيل: من المعصرات أى: بالمعصرات ماء ثجاجا.

وقوله[1]: ﴿ ثجاجًا ﴾ أى: منصبًا بعضه فى إثر بعض. وعن النبى ﷺ أنه قال: «أفضل الحج العج والثج»[2] فالعج رفع الصوت بالتلبية، والثج إراقة الدماء. وعن

---

(١) من «ك».

(٢) رواه الترمذى (٣ / ١٨٩رقم ٨٢٧)، وابن ماجه (٢ / ٩٧٥ رقم ٢٩٢٤)، والدارمى (٢ / ٤٩ رقم ١٧٩٧)، وأبو يعلى فى مسنده (١ / ١٠٨-١٠٩رقم ١١٧)، والبزار (١ / ١٤٢- ١٤٤ رقم ٧١، ٧٢)، وابن خزيمة (٤ / ١٧٥ رقم ١٢٦٣١، والمروزى فى مسند أبى بكر (رقم ٢٥، ١١٦، ١١٧)، والدار قطنى فى العلل (رقم ٧١)، والحاكم (١ / ٤٥٠-٤٥١) وصححه، والبيهقى (٥ / ٤٢-٤٣)، جميعهم من حديث أبى بكر الصديق به. وفى الباب عن عبد الله بن مسعود، رواه أبو يعلى(٩ / ١٩ رقم ٥٠٨٦)، وأعله الهيثمى فى المجمع (٣ / ٢٢٧) براوٍ ضعيف.

لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾

قتادة: أن المعصرات هو السماء، وهو قول غريب.

قوله: ﴿لنخرج به حبا ونباتًا وجنات ألفافًا﴾ أى: ملتفة، وواحد الألفاف لِفّ، والملتفة هى الداخل بعضها فى بعض.

قوله تعالى: ﴿إن يوم الفصل كان ميقاتًا﴾ أى: ميعاداً للخلائق، وهو يوم القيامة.

وقوله: ﴿يوم ينفخ فى الصور﴾ ذكر النقاش فى تفسيره: أن إسرافيل – عليه السلام– ينزل فيجلس على صخرة بيت المقدس، وتجعل الأرواح فى الصور كأمثال النحل، وإستدارة فم الصور كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، ثم ينفخ فتخرج الأرواح منها، وترجع إلى أجسادها.

وقوله: ﴿فتأتون أفواجًا﴾ قال مجاهد: زمرًا زمرًا.

وقوله: ﴿وفتحت السماء﴾ أى: جعلت طرقًا، وقيل: فتحت أبواب السماء لنزول الملائكة.

وقوله: ﴿فكانت أبوابًا﴾ أى كانت طرقا على مابيننا.

وقوله: ﴿وسيرت الجبال فكانت سرابًا﴾ أى: هباء منبثًّا، وقيل: هو يصير كالسراب ترى أنه شىء وليس بشىء.

وقوله: ﴿إن جهنم كانت مرصادا﴾ قال أهل اللغة: كل شىء كان أمامك فهو رصد، والمراد (١) أنه المكان الذى يرصد فيه الكفار لنزول العذاب بهم. وعن بعضهم: ياصاحب الرصد، اذكر الرصد، وقيل: مرصاداً أى: يرصدون بالعذاب أى: على معنى أنه يعدُّ لهم.

وقوله: ﴿للطاغين مآبا﴾ أى: منقلبًا، يقال: آب إلى مكان كذا أى: رجع وانقلب.

(١) فى «الأصل، وك»: المكان، وما أثبتناه هو الأليق للسياق.



لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ﴿٢٤﴾

وقوله: ﴿ لابثين فيها أحقابًا ﴾ الحِقْبة فى اللغة قطعة من الزمان مثل الحين. قال متمم بن نويرة يرثى أخاه مالكًا:

وكنا كندمانى جذيمة حقبة ... من الدهــر حتى قيـل لن يتصدعـا

أى: قطعة، وأما المنقول فى التفاسير عن السلف فى معنى الحُـقب: فأظهر الأقوال أنه ثمانون سنة، كل سنة ثلثمائة وستون يوما، كل يوم ألف سنة، وهو مروى عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن جبير، وقتادة وغيرهم، ومثله عن أبى هريرة. وعن بعضهم: أنه ثلثمائة سنة كل، سنة ثلثمائة وستون يوما، كل يوم مثل مدة الدنيا، وعن بعضهم: بضع وثمانون عامًا، فإن قيل: هذه الآية تدل على أن عذاب الكفار ينقطع عند مضى الأحقاب؟ والجواب من وجوه: (أحدها)[1]: أن معناه لابثين فيها أحقابًا لايذوقون فيها بردًا ولا شرابًا أى: يعذبون بهذا النوع من العذاب أحقابًا، وثَمَّ أحقاب أخر لسائر أنواع العذاب، قاله المبرد. والوجه الثانى: وهو أن معنى لابثين فيها أحقابا لاتخبو عنهم النار، فإذا خبت النار وزيدوا سعيرًا لبثوا أبدًا والوجه الثالث: ما قاله ابن كيسان، وهو أن معناه لابثين فيها أحقابا إلى أحقاب لاتنقطع أبدا. قال النحاس: وهو أبين الأقوال.

وقوله: ﴿ لايذوقون فيها بردًا ﴾ قال ثعلب: نومًا، وتقول العرب: منع البرد، والبرد أى: نوم، وقال الشاعر:

فإن شئت حرمت النساء سواكم ... وإن شئت لم أطعم نقاخا ولابردا

النُّقَاخ الماء الزلال وقيل: «بردا» أى: (راحة)[2]، وقيل: «بردا» لايبرد عنهم حر السعير ولهبه.

وقوله: ﴿ ولاشرابًا ﴾ أى: لايسكن منهم العطش .

(١) فى «ك»: أحدهما.

(٢) فى «ك»: راحته.

إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا ﴿٣٠﴾

وقوله: ﴿إلا حميماً وغساقًا﴾ قال أبو عبيدة: الحميم الماء الحار، ومنه الحمى، ومنه قوله تعالى: ﴿وظل من يحموم﴾(١) وقيل: الحميم هو أنه تجمع دموعهم فيسقون.

وقوله: ﴿وغساقًا﴾ أى: القيح الغليظ، وقيل: [هو](٢) صديد أهل النار، وقيل: الحميم ماهو فى نهاية الحر، والغساق ماهو فى نهاية البرد وهو الزمهرير، فيعذبون بكل واحد من العذابين.

وقوله: ﴿جزاءً وفاقًا﴾ أى: جزاء يوافق أعمالهم.

قال ابن زيد: عملوا شرًا، فجوزوا شرًا.

قوله تعالى: ﴿إنهم كانوا لايرجون حسابًا﴾ أى: لايخافون، وقد بينا الرجاء بمعنى الخوف فيما سبق.

وقوله: ﴿وكذبوا بآياتنا كذابًا﴾ أى: تكذيبًا، قال الفراء: هى لغة فصيحة يمانية.

وقوله: ﴿وكل شىء أحصيناه كتابا﴾ هو مثل قوله تعالى: ﴿وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين﴾(٣) أى: بيناه فى اللوح المحفوظ.

وقوله: ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا﴾ أى: يقال لهم: فذوقوا العذاب فهو غير منقطع عنكم، ولاتزادون إلا العذاب.

قال الشاعر:

---

(١) الواقعة: ٤٣.

(٢) من «ك».

(٣) يس: ١٢.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا

فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كِذَابُهْ.

قوله تعالى: ﴿إن للمتقين مفازاً﴾ أى: فوزاً، والمفاز: موضع الفوز .

وقوله: ﴿حدائق وأعنابًا﴾ ظاهر المعنى، وقد بينا .

وقوله: ﴿وكواعب أترابا﴾ الكواعب: هى النواهد، يقال: جارية كاعب أى خرج ثديها مثل الكعب وهى ناهد .

وقوله: ﴿أترابًا﴾ أى لدات، وقيل: هى بنات ثلاث وثلاثين سنة .

وقوله: ﴿وكأسًا دهاقًا﴾ أى ممتلئة، قاله مجاهد، وقال عكرمة: صافية، وعن بعضهم: متتابعة، والقول الأول أظهر، وهو محكى عن ابن عباس، وعنه أنه قال: كثيراً سمعت العباس يقول: اسقينى ياجارية الكأس وادهقى، وعنه أيضا: أنه دعا بكأس فجاءت به الجارية ملآن فقال: هذا هو الدهاق .

وقوله: ﴿لايسمعون فيها لغواً ولاكذابًا﴾ اللغو: هو الكلام المطرح .

وقوله: ﴿كذابًا﴾ أى: لايكذب بعضهم بعضاً، وقرئ: «كذابًا» بالتخفيف ومعناه: الكذب لاغير، قال الشاعر:

فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه

أى: كذبه.

وقوله تعالى: ﴿جزاءً من ربك عطاءً حسابًا﴾ أى: عطاء كافيًا يقال: أعطانى فلان حتى أحسبنى، يعنى: حتى قلت حسبى، وقال قتادة: عطاء حسابًا أى: كثيرا، وقال الشاعر فى المعنى الأول .

ونقفى وليد الحى إن كان جائعا ونحسبه إن كـــان ليس بجائع

وقوله: ﴿جزاءً من ربك عطاءً﴾ أى: جوزوا جزاء، وأعطوا عطاء.

﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ

قوله تعالى: ﴿ ربُّ السماوات والأرض ومابينهما الرحمنُ ﴾ كلاهما بالرفع، وقرئ: «رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن» الأول يالجر، والآخر بالرفع. وقرىء كلاهما بالكسر: «ربِّ السماوات والأرض ومابينهما الرحمنِ»(١) فوجه القراءة الأولى أن قوله: ﴿ رب السماوات والأرض ﴾ رفع بالابتداء والرحمن خبره، ووجه القراءة الثانية أن قوله: ﴿ رب السماوات والأرض ﴾ مخفوض اتباعا لقوله: ﴿ من ربك ﴾وقوله: ﴿ الرحمن ﴾ ابتداء، ووجه القراءة الثالثة، أن كليهما مخفوض اتباعا لقوله: ﴿ من ربك ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ لايملكون منه خطابًا ﴾ أى :لايتكلمون مع الله، ويمنعون من الكلام معه، وقيل: لايملكون منه خطابا أى: لايشفعون لأحد إلابإذنه، على ماقال من بعد قوله تعالى:﴿ يوم يقوم الروح ﴾ قال مجاهد: الروح خلق يشبهون بنى آدم، وليسوا بنى آدم، وقيل: هو جبريل- عليه السلام- وقيل: هو خلق من خلق الله لم يخلق بعد العرش أعظم منه يقوم يوم القيامة صفًّا وجميع الملائكة صفًّا، وقيل: صفًّا، أى: صفوفًا وموضع صلاة العبد يسمى صفًّا، لأنه موضع الصفوف.

وقوله: ﴿ لايتكلمون ﴾ أى :لايشفعون ، أى: الملائكة وقيل: لايتكلمون مطلقًا.

قوله: ﴿ إلا من أذن له الرحمن ﴾ أى: بالشفاعة والكلام.

وقوله: ﴿ وقال صوابًا ﴾ أى :حقا،وقيل: هولا إله إلا الله، والمعنى: أنهم لايتكلمون إلا بالإذن أو كلامًا صوابًا، وهو لا إله إلا الله.

قوله تعالى ﴿ ذلك اليوم الحق ﴾ أى: القيامة هو اليوم الحق، ومعنى الحق هاهنا: أنه

(١) انظر النشر (٢/ ٣٩٧).

فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

كائن لامحالة.

وقوله ﴿ فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا ﴾ أى منقلبا حسنا بالطاعة والعبادة.

وقوله تعالى ﴿ إنا أنذرناكم عذابا قريبا ﴾ أى النار وكل آت فهو قريب.

وقوله ﴿ يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ﴾ أى ماقدمت يداه من الخير والشر.

وقوله ﴿ ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا ﴾ روى [جعفر بن برقان][(١)] عن ابن الأحم عن ابن عباس أن الله تعالى يجمع الخلق يوم القيامة من الدواب والطيور والناس والجن فرذا نزل الثقلين منازلهم، قال للطيور والبهائم والدواب: كونى ترابا، فتكون ترابا فحيئذ يقول الكافر: ياليتنى كنت ترابا. قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو محمد عبدالله بن أحمد أخبرنا أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البراز أخبرنا أبو بكر محمد بن زكريا الغدافرى أخبرنا الدبرى هو إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبد الرازق عن معمر عن جعفر بن برقان.. الحديث.

وقيل: إن الكافر ها هنا هو أبو جهل. وذكر النقاش فى تفسيره عن الحسن بن واقد قال: إن الكافر يقول: ياليتنى كنت خنزيرا فأصير ترابا، فيقول التراب له: لا ولاكرامة لك - يعنى لايكون مثلى. وحكى مثل هذا عن السدى أيضا. وعن بعضهم أن معنى قوله ﴿ ياليتنى كنت ترابا ﴾ أى ياليتنى لم أبعث.

وقد ورد فى الحقب الذى ذكرنا أثران عن ابن عمر أنه قال: ليعمل أحدكم بالطاعة ولايتكلمن على أنه يدخل النار ثم يخرج منها فإنه لايدخل النار أحد فيخرج منها إلابعد أن يمكث أحقابا وذكر الحقب كما بينا من ذكر الثمانين.

---

(١) فى «الأصل»: روى أبو جعفر بن برقان، وفى«ك»: روى أبى جعفر بن برقان، وكلاهما خطأ، والصواب روى جعفر بن برقان، وهو من رجال التهذيب شيخ معمر ويروى عن يزيد بن الأصم كما فى ترجمته من تهذيب الكمال (٥ / ١١-١٨) وسيأتى على الصواب فى إسناد المصنف لهذا الحديث.

والأثر الثانى ماروى عن ابن مسعود فى بقاء النعيم لأهل الجنة والعذاب لأهل النار وهو ماروى السدى عن مرة عن عبدالله أنه قال: لو علم أهل النار أنهم يمكثون فى النار عدد الحصى سنين ثم يخرجون منها لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يمكثون عدد الحصى سنين ثم يخرجون منها لحزنوا. والأثران غريبان.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾

تفسير سورة والنازعات

وهى مكية، والله أعلم

قوله تعالى: ﴿ والنازعات غرقًا ﴾ فيه أقوال: أظهرها: أنها الملائكة تنزع أرواح الكفار بشدة، وهو قول ابن عباس وجماعة وروى مثله عن ابن مسعود فى رواية مسروق.

قوله: ﴿ غرقاً ﴾ أى: إغراقا يقال: أغرق فى النزع إذا بلغ الغاية. وعن الحسن: أنها النجوم تنزع من أفق إلى أفق، أى: تطلع وتغرب، وعن عطاء بن أبى رباح: أنها القِسِى وهو من نزع القوس والإغراق فيه.

وقوله: ﴿ والناشطات نشطًا ﴾ على القول الأول هى الملائكة أيضًا تنشط أرواح الكفار أى: تجذبها بسرعة ، قال الشاعر:

أمست همومى تنشط المناشطا الشام بى طوراً وطوراً واسطا

والنشط فى اللغة: هو الجذب، ويقال: تجذب روح الكفار كما يجذب السفود[1] من الصوف الرطب، وقيل: إن معنى الناشطات أخذ الملائكة أرواح المؤمنين بسهولة كما ينشط البعير من العقال.

وفى الأخبار: أن الملائكة تأخذ روح الكفار بغاية الشدة، فإذا بلغت ترقوته ردوا الروح فى جسده، ثم نزعته هكذا مرات عقوبة له، وتأخذ روح المؤمن سرعة وسهولة، والقول الثانى: أن الناشطات هى النجوم على ماذكرنا عن الحسن، والمراد سرعة

(١) السفود - بالتشديد -: الحديدة التى يشوى بها اللحم.

وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾

سيرها، ويقال: رجوعها من المغرب إلى مطالعها، وذلك فى السبع السيارة، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس﴾(١) على ماسنبين، ذكره النقاش.

والقول الثالث: أنها الأوهاق.

وقوله تعالى: ﴿والسابحات سبحًا﴾ على القول الأول هى الملائكة، وسبحها سيرها بين السماء والأرض، وعلى القول الثانى أنها النجوم، وسبحها فى الفلك، والقول الثالث: أنها الخيل، وسبحها سرعة جريها، يقال للفرس الجواد: سابح.

وقوله: ﴿فالسابقات سبقًا﴾ على القول الأول هى الملائكة، وسبقها مبادرتها إلى الأعمال الصالحة والخيرات.

ويقال: سَبْقُها: هو المسابقة إلى تبليغ الوحى قبل استراق الشياطين السمع، وعلى القول الثانى هى النجوم تسبق بعضها بعضًا فى السير، وعلى القول الثالث هى الخيل أيضا يسبق بعضها بعضًا عند المسابقة، ويقال: إنها النفوس تسبق إلى الخروج عند الموت.

وقد ذكر السدى أيضًا أن معنى النازعات: هى النفوس والأرواح تنزع عند الموت.

وقوله تعالى: ﴿فالمدبرات أمرًا﴾ هى الملائكة فى قول الجميع، إلاماروى فى رواية غريبة برواية خالد بن معدان، عن معاذ بن جبل: أنها النجوم .فمعنى التدبير من الملائكة هو ماجعل الله إليها من الأمور. قال عبد الرحمن بن سابط: فإلى جبريل الجنود، وإلى ميكائيل القطر والنبات، وإلى عزرائيل قبض الأرواح، وإلى إسرافيل إنزال

ا

(١) التكوير: ١٥-١٦. (٢) الوهق: هو الحبل تشدبه الإبل والخيل لئلا تند، (لسان العرب، مادة :وهق).

يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ

لأمور إليهم فى هذه الأشياء [إلى](١) : الملائكة، وأما إذا حملناه على النجوم، فيجوز أن يعلق الله تعالى على مطالعها ومغاربها وسيرها أشياء، وأضاف التدبير إليها على طريق المجاز.

واختلف القول فى المقسم به والمقسم عليه: فأحد القولين: أنه أقسم بهذه الأشياء، ولله أن يقسم من خلقه بماشاء، والقول الثانى: أن معناه: ورب النازعات، فذكر الرب مضمر فى هذه الكلمات، وإنما أقسم بنفسه لابهذه الأشياء.

وأما الذى وقع عليه القسم ففيه قولان: أحدهما: أنه محذوف، والمعنى: لتبعثن ولتحاسبن، وماأشبه ذلك. والقول الثانى: أن الذى وقع عليه القسم هو قوله تعالى: ﴿إن فى ذلك لعبرة لمن يغشى﴾(٢).

قوله تعالى: ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ الرجف والراجفة هى الاضطراب والزلزال الشديد، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾(٣) وقيل: الراجفة هى الصيحة الأولى التى يميت بها الخلائق.

وقوله: ﴿تتبعها الرادفة﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها القيامة، والآخر: أنها الصيحة الثانية. وعن ابن عباس :أن بينهما أربعين سنة، وتمطر السماء فى هذه الأربعين فتهتز الأرض، وتنبت الناس فى القبور، ثم ترد إليهم أرواحهم فى الصيحة الثانية.

وقوله تعالى: ﴿قلوب يومئذ واجفة﴾ أى: مضطربة، يقال: وجف يجف، ووجب يجب بمعنى واحد وقيل: واجفة أى: وجلة.

وقوله : ﴿أبصارها خاشعة﴾ أى: ذليلة.

وقوله: ﴿يقولون﴾ هذا إخبار عن قولهم فى الدنيا أى: يقولون فى الدنيا: ﴿أئنا

---

(١) فى «الأصل، وك» : أى، وهو تحريف. (٢) النازعات: ٢٦. (٣) الزلزلة: ١.

أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾

لمردودون فى الحافرة﴾ أى: إلى أول أمرنا، والمعنى: أنرد أحياء بعد أن متنا على طريق الإنكار، يقال: رجع فلان على حافرته إذا رجع من حيث جاء. العرب تقول: النقد عند الحافرة أى: عند أول كلمة، أى: فى السوم. وقال الشاعر:

أحافرة على صلع وشيب　　　معاذ الله من سفه وعار

وقال السدى: ﴿أئنا لمردودون فى الحافرة﴾ أى: إلى الحياة، وهو على ماقلنا، وقيل: إلى النار.

وقوله تعالى: ﴿أئذا كنا عظاما نخرة﴾ وقرئ: «ناخرة»، قال الفراء: هما واحدة، وهى البالية الفانية. وعن أبى عمرو بن العلاء: أن النخرة هى التى قد بليت، والناخرة هى التى لم تبل بعد، وعن وكيع قال: هى التى تدخل الريح فى جوفها فتنخر، وهو منقول أيضًا عن أهل اللغة.

وقوله: ﴿قالوا تلك إذا كرة خاسرة﴾ أى: رجعة ذات خسران، والمعنى: أنا نكون فى خسار إن رجعنا، ويجوز أن يكون المراد أنهم يخسرون إذا رجعوا. وعن الحسن قال: خاسرة أى: كاذبة يعنى: ليست بكائنة.

وقوله: ﴿فإنما هى زجرة واحدة﴾ هو إخبار عن سهولة الأمر على الله فى الفهم، والزجرة: الصحية.

وقوله: ﴿فإذا هم بالساهرة﴾ القول المعروف أنها وجه الأرض يعنى: أنهم يخرجون من بطنها إلى ظهرها، وسميت الأرض ساهرة، لأن عليها سهر الخلق ونومهم، وقال النخعى «فإذا هم بالساهرة» أى: فوق الأرض. وعن وهب بن منبه أنه قال: الساهرة جبل بجنب بيت المقدس، قال الشاعر فى الساهرة:

فإنما قصرك ترب الساهرة　　　ثم تعود بعدها فى الحافرة

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾

من بعد ماكُنَّا عظامًا ناخرة

قوله تعالى: ﴿ هل أتاك حديث موسى ﴾ أى: قد أتاك.

وقوله: ﴿ إذ ناداه ربه بالواد المقدس ﴾ أى: المطهر.

وقوله: ﴿ طوى ﴾ أى: طوى بالبركة والتقديس مرتين، وقيل: سماه طوى لأن موسى وطئه بقدمه، وقيل: إنه اسم الوادى وقيل: هو الأرض التى بين المدينة ومصر. وقرأ الحسن: «طِوى» بكسر الطاء، والمعروف طوى، وهو غير مصروف لأنه اسم البقعة من الوادى وهو معروف وعن الزجاج قال: يجوز أن يكون معدولا من طاوٍ، فلهذا لم يصرف مثل: عمرو معدول عامر، وقرئ: مصروفًا وأنشدوا:

أعاذل إن اللوم فى غير كنهه على طوى من غيك المتردد

وقول: ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾ قد بينا، والطغيان هو مجاوزة الحد.

وقوله: ﴿ فقل هل لك إلى أن تزكى ﴾ وقرئ: «تَّزكَّى» بالتشديدين. قال أبو عمرو ابن العلاء: لايجوز بالتشديدين، ويجوز بالتخفيف؛ لأن تزكى هو من إعطاء الزكاة.

وقوله: ﴿ تَزكَّى ﴾ هو الدخول فى طهارة الإسلام، وتابعه أبو عبيد على هذا [وذكر] (١) النحاس فى تفسيره: أن هذا غلط، وتَزكَّى وتزَّكَّى بمعنى واحد، فتزكى مدغم، وتزكى محذوف منه يقال: زكاه الله أى: طهره بالإسلام فتزكى ويقال أيضا لمن أعطى زكاة ماله: تزكى.

وقوله: ﴿ وأهديك إلى ربك فتخشى ﴾ أى: إذا أصبت الهداية حسنت منك.

وقوله: ﴿ فأراه الآية الكبرى ﴾ يقال: (هى) (٢) العصا، وقيل: إنها اليد البيضاء، ويقال: كلاهما.

(١) فى «الأصل وك»: وذكره،

(٢) فى «ك»: أنه.

فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾

وقوله: ﴿ فكذب وعصى ثم أدبر يسعى ﴾ أى: أعرض وجعل يسعى فى إبطال أمر موسى.

وقوله: ﴿ فحشر فنادى ﴾ الحشر هو الجمع من كل جهة.

وقوله: ﴿ فنادى ﴾ أى ناداهم، وقال لهم: ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ أى: لارب فوقى. قال الحسن: كان فرعون علجا من أهل أصبهان طوله أربعة أشبار، وعن مجاهد: علج من أهل همذان، وعن بعضهم: أنه من أهل اصطخر. وفى القصة: أن موسى قال لفرعون: لك ملك لايزول، وشباب لاهرم فيه، ولك الجنة فى الآخرة فقل: هو ربى وأنا عبده فقال: حتى استشير هامان، فلما استشاره قال: أتصير عبداً بعد أن كنت معبوداً، لا تقل هذا. فأبى أن يقول. ذكره النقاش فى تفسيره.

وقوله: ﴿ فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ﴾ أى: أخذه أخذاً نكالا لمقالته الآخرة والأولى، فمقالته الأولى قوله: ﴿ ماعلمت لكم من إله غيرى ﴾[١]، ومقالته الآخرة، قوله ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ ويقال: نكل به وعاقبه فى الدنيا والآخرة، ففى الدنيا هو الغرق، وفى الآخرة هو النار.

وقوله: ﴿ إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى ﴾ أى: اعتباراً لمن يخاف الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ أأنتم أشد خلقا ﴾ استدل عليهم بهذه الآيات فى قدرته على البعث، والمعنى بأن إعادتكم خلقا جديدا أشد أم خلق السماء؟ وهو مثل قوله تعالى: ﴿ لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾[٢].

وقوله: ﴿ أم السماء بناها ﴾ معناه: أم السماء التى بناها؟ وقيل المعنى: أأنتم أشد

---

(١) القصص: ٣٨.
(٢) غافر: ٥٧.

رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ

خلقا أم السماء؟ وتم الكلام ثم قال: ﴿ بناها ﴾ أى: بناها الله تعالى.

وقوله: ﴿ رفع سمكها فسواها ﴾ هو فى معنى قوله تعالى: ﴿ هل ترى من فطور ﴾[1] أى: من شقوق وفروج، وقيل: معنى التسوية هاهنا هو أنه ليس بعضها أرفع من بعض ولا أخفض من بعض، والسمك الارتفاع.

وقوله: ﴿ وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ﴾ أى: أظلم ليلها. وقوله: ﴿ وأخرج ضحاها ﴾ أى: أبرز نهارها، وقيل: أظهر ضوءها، وأضاف الظلمة والضوء إلى السماء، لأنهما يظهران من جانب السماء عند طلوع الشمس وغروبها ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ أى: بسطها.

قال أمية بن أبى الصلت:

وبث الخلق فيها إذ دحاها فهم قطانها حتى التنادى

وقال سعيد بن زيد:

أسلمت بوجهى لمن أسلمت له الأرض تحمل صخراً ثقالا

دحاها فلما استوت شدها وأرسى عليها جبالا[2]

وقوله: ﴿ بعد ذلك ﴾ أى: مع ذلك، وقيل: إنه خلق الأرض قبل السماء على ماقال فى «حم السجدة»، ثم بسطها بعد خلق السماء. وفى الأثر عن ابن عباس: أنه لم يكن إلا العرش والماء، فخلق على الماء حجراً كالفهر، ثم خلق عليه دخانا ملتصقا به، ثم خلق موجًا على الماء، ثم رفع الدخان من الحجر، وخلق من الحجر الأرض، ومن الدخان السماء، ومن الموج الجبال.

---

(١) الملك: ٣.

(٢) أورده ابن هشام فى سيرته (٢٤٦) وفيه:

دحاها فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا.

دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾

وقوله: ﴿ أخرج منها ماءها ومرعاها ﴾ أى: أخرج من الأرض الماء لحياة النفوس، والمرعى للأنعام.

وقوله: ﴿ والجبال أرساها ﴾ أى: أثبتها.

وقوله: ﴿ متاعًا لكم ﴾ أى: إمتاعًا لكم ﴿ ولأنعامكم ﴾ وإنما انتصب لأن معناه: للإمتاع، ثم نزعت اللام الخافضة فانتصب

قوله تعالى: ﴿ فإذا جاءت الطامة الكبرى ﴾ الطامة فى اللغة: هى الداهية العظيمة، وقيل: هى الأمر الذى لايستطاع ولايطاق، يقال: طم الوادى إذا جاء منه مالايطاق وعلا كل شىء، وعن ابن عباس: أن الطامة اسم القيامة، وسميت القيامة طامة؛ لأنها تطم كل شىء أى: فوق كل شىء. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «مامن طامة إلا وفوقها طامة»(١) وهو خبر غريب.

وقوله: ﴿ يوم يتذكر الإنسان ماسعى ﴾ أى: يذكر.

قوله: ﴿ وبرزت الجحيم لمن يرى ﴾ وفى التفسير: أن الحكمة فى إظهار الجحيم مشاهدة الكفار مكان عقوبتهم، وليعلم المؤمنون من أى عذاب نجوا.

وقوله: ﴿ فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا ﴾ أى: على الآخرة. وحكى أبو الحسين بن فارس فى تفسيره عن حذيفة: أن من أكل على مائدة ثلاثة ألوان من الطعام، فقد آثر الحياة الدنيا، وأورد فى خبر مرفوع أن النبى ﷺ قال: «من آثر الحياة الدنيا على الآخرة شتت الله عليه همه، ثم لم يبال بأيها هلك».

وقوله: ﴿ فإن الجحيم هى المأوى ﴾ أى: مأواه الجحيم، وهو معظم النار.

---

(١) عزاه السخاوى فى المقاصد (٢٤٠) لابن لال فى المكارم، من حديث ابن عباس.

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾

وقوله: ﴿وأما من خاف مقام ربه﴾ أى: قيامه عند ربه للحساب. وقوله: ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ أى: عما هواه ويشتهيه على خلاف الشرع. وقوله: ﴿فإن الجنة هى المأوى﴾ أى: منزله ومأواه الجنة، وفى بعض التفاسير: أن الآية الأولى نزلت فى النضر بن الحارث وأمية بن خلف وعقبة وعتبة ابنى أبى لهب وجماعة، والآية الثانية نزلت فى مصعب بن عمير، وكان قد وقى رسول الله ﷺ بنفسه يوم أحد حتى دخلت المشاقص فى جوفه، واستشهد فى ذلك اليوم، وكان صاحب لواء المهاجرين.

قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها﴾ أى: متى قيامها؟ ومرساها: منتهاها، والمعنى: عن ماهيتها.

وقوله: ﴿فيم أنت من ذكراها﴾ أى: مالك ومعرفة وقت قيام الساعة؟ وفى بعض التفاسير: «أن النبى ﷺ كان يسأل كثيراً جبريل متى الساعة، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية، ارتدع وكف ولم يسأل بعد ذلك»(١) وهو مثل قول القائل لغيره: مالك وهذا الأمر؟ وفيه زجر إياه عن السؤال. قوله: ﴿إلى ربك منتهاها﴾ أى: منتهى علم قيامها، وقيل معناه: أن كل من يسأل عنه يقول: الله أعلم، فيرد علمها إلى الله.

وقوله: ﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾ أى: تنذر بعذاب يوم القيامة من يخشى القيامة.

---

(١) رواه البزار (٢ / ١١٥، رقم ١٥٢٤ مختصر زوائد البزار)، وابن جرير (٣٠ / ٣١) والحاكم (٢ / ٥١٣-٥١٤) وصححه على شرطهما جميعهم من حديث عائشة بنحوه. وقال الهيثمى فى المجمع (٧ / ١٣٦): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. وقال الحافظ ابن حجر فى مختصر البزار: صحيح. وذكره ابن حاتم فى العلل (٢ / ٦٨رقم ١٦٩٣) ونقل عن أبى زرعة أن الصحيح مرسل. وروى عن طارق بن شهاب، وعروة كلاهما مرسلا، وانظر الدر (٦ / ٣٤٩).

(٢) الأحقاف: ٣٥

كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

وقوله: ﴿ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلاعشية أوضحاها ﴾ أى: أول نهار أو آخر نهار، فأول النهار من طلوع الشمس إلى ارتفاعها، وآخر النهار من العصر إلى غروبها، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ كأن لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ ﴾(٢) فإن قيل: كيف أضاف ضحى النهار إلى عشيته، وإنما ضحى النهار يضاف إلى النهار فبأى وجه تستقيم هذه الإضافة؟ والجواب: أنه يجوز مثل هذا فى كلام العرب، وهم يفعلون كذلك ويريدون بمثل هذه الإضافة، الإضافة إلى النهار.

قال الشاعر:

نحن صبحنا عامراً فى دارها عشية الهلال أوسرارها

وقيل معنى ذلك: كأن لم يلبثوا إلاعشية أو ضحاها أى: يوماً من الأيام، فالمراد من العشية هو اليوم، والضحى هو اليوم أيضاً، فإن قيل: كيف يصح هذا الظن، وعندكم أنهم يعذبون فى قبورهم؟ والجواب: أنهم يخفتون خفتة بين النفختين، فإذا بعثوا ظنوا مابينا، لأنهم نسوا العذاب فى تلك الخفتة، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾

تفسير سورة عبس

وهى مكية، والله أعلم

قوله تعالى: ﴿ عبس وتولى ﴾ هو الرسول ﷺ فى قول الجميع، ومعنى عبس: كلح وجهه، وتولى أى: أعرض، والمعنى: أظهر الكراهة.

وقوله: ﴿ أن جاءه الأعمى ﴾ قال الزجاج معناه: لأن جاءه الأعمى، ونصب على أنه مفعول، وهو عبد الله بن أم مكتوم فى قول [الجميع](١).

وسبب نزول الآية «هو أن النبى ﷺ كان يكلم رجلا من أشراف المشركين، ويدعوه إلى الإسلام - قال عطاء: كان عتبة بن ربيعة، وقال قتادة: كان أبى بن خلف، وقال مجاهد: كان عتبة وشيبة ابنى ربيعة وأبى بن خلف - وكان يدعوهم إلى الإسلام، ويقرأ عليهم القرآن، وفى بعض الروايات: أنه كان عنده جماعة من أشراف قريش، وكان يدعوهم إلى الإسلام، واشتد طمعه فيهم، فجاء عبد الله بن أم مكتوم، وجعل يقول: يارسول الله، علمنى مما علمك الله، أرشدنى. وفى رواية، أنه جاء مع قائده، فأشار النبى ﷺ إلى قائده أن كفه، فدفع فى ظهر قائده، وأقبل النبى ﷺ »(٢).

(١) فى «الأصل، وك»: جميع.

(٢) روى نحوه عن عائشة رضى الله عنها، رواه الترمذى (٥/ ٤٠٢ - ٤٠٣ رقم ٣٣٣١) وقال: غريب وذكر أن بعضهم رواه عن عروة مرسلا، وابن حبان (٢/ ٢٩٣ - ٢٩٤ رقم ٥٣٥) والحاكم (٢/ ٥١٤) وصححه على شرطهما وقال: أرسله جماعة عن هشام بن عروة [عن أبيه] وقال الذهبى: وهو الصواب - يعنى من رواه مرسلا - والواحدى فى أسباب النزول (٣٣٢)، وابن المنذر وابن مردويه، كما فى الدر (٦/ ٣٥٠) وانظر الدر المنثور.

وفى الباب عن أنس، وابن عباس وغيرهما.

ورواه مالك فى الموطأ (١/ ٢٠٧)، وابن سعد فى الطبقات (٤/ ١٥٧) عن عروة مرسلا.

وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾

وفى بعض الروايات عن سفيان الثورى أن الذى كان يكلمه ويدعوه إلى الإسلام كان العباس بن عبد المطلب، فلما دخل ابن أم مكتوم فى خطابه، وجعل يكرر عليه قوله: علمنى أرشدنى، كره رسول ﷺ ذلك حتى ظهرت الكراهة فى وجهه، وعبس وأعرض عنه، فأنزل الله تعالى هذه الآية معاتبًا له فيما فعله. وفى بعض الروايات: أنه عليه السلام قام وذهب.

وقوله: ﴿وما يدريك لعله يزكى﴾ أى: يتزكى، والمراد منه ابن أم مكتوم.

وقوله: ﴿يزكى﴾ أى: يقبل ما تذكره به وتعلمه، وقيل: يتطهر.

وقوله: ﴿أو يذكر﴾ معناه: أو يتذكر.

وقوله: ﴿فتنفعه الذكرى﴾ أى: تنفعه التذكرة والعظة. والمعنى: أنك تعرض عنه إعراض من لا ينفعه تعليمه وتذكيره، ولا تدرى لعله ينفعه التعليم والتذكير، فعليك أن تعلمه وتذكره.

وقوله: ﴿أما من استغنى﴾ يعنى: من أظهر الاستغناء عنك.

وقوله: ﴿فأنت له تصدى﴾ أى: تتعرض وتقبل عليه، وقيل: إن أصله تصدد فقلبت إحدى الدالين ياء.

قوله: ﴿وما عليك ألا يزكى﴾ أى: وما عليك ألا يسلم، والمعنى: أنه لو لم يسلم ذلك الذى أقبلت عليه، لم يكن عليك من ذلك شيء.

وقوله: ﴿وأما من جاءك يسعى﴾ أى: يطلب الخير.

وقوله: ﴿وهو يخشى﴾ أى: يخاف الله تعالى.

وقوله: ﴿فأنت عنه تلهى﴾ أى: تعرض، وقيل: تشتغل عنه بغيره. ومن هذا ما

فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾

روى عن عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - أنه قال: إذا رأيت الله استأثر عليك بشيء فَالْهَ عنه - أى: اتركه وأعرض عنه، وقد قال سفيان بن عيينة: «كان النبى ﷺ بعد ذلك إذا جاءه عبد الله بن أم مكتوم بسط رداءه وقال: يا من عاتبنى فيه ربى». واستخلفه على المدينة مرتين، وقيل مرات حين خرج إلى الغزو. وفى بعض التفاسير: «أن النبى ﷺ ما رئى بعد ذلك متصديا لغنى، ولا معرضا عن فقير»(١).

قوله تعالى: ﴿ كلا ﴾ قال الحسن: حقا، وقيل: المعنى هو للردع والزجر يعنى: ليس ينبغى أن يكون الأمر على هذا، وهو ما سبق ذكره.

وقوله: ﴿ إنها تذكرة ﴾ أى: هذه السورة تذكرة، وقيل: الأنباء والقصص تذكرة.

وقوله: ﴿ فمن شاء ذكره ﴾ أى: فمن شاء الله ألهمه وذكَّره.

وقوله: ﴿ فى صحف ﴾ يعنى: القرآن، وقيل: الأنباء والقصص، فعلى القول الأول قوله ﴿ فمن شاء ذكره ﴾ ينصرف إلى القرآن. والصحف جمع صحيفة.

وقوله: ﴿ مكرمة ﴾ أى: كريمة على الله، وقيل: مكرمة لأنها نزلت من رب كريم.

وقوله: ﴿ مرفوعة ﴾ يجوز أن يكون المعنى مرفوعة فى المكان، ويجوز أن يكون المعنى مرفوعة القدر والمنزلة عند الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿ مطهرة ﴾ قال الحسن: مطهرة من كل دنس، وقيل: مطهرة أى: مصونة من أن تنالها أيدى الكفار الأنجاس.

وقوله: ﴿ بأيدى سفرة ﴾ السفر هى الملائكة الذين يسفرون بالوحى بين الله وبين رسوله، ويقال للكتاب سفر، وللمصلح بين الجماعة سفير، وهو مأخوذ من تبين الأمر وإيضاحه، يقال: سفرت المرأة عن وجهها إذا كشفته، ويقال: أسفر الصبح إذا أضاء،

---

(١) رواه ابن أبى حاتم عن الحكم مرسلا به. الدر المنثور (٦/ ٣٥٠).

مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾

ومنه قول نوبة بن حمير:

إذا ماجئت ليلى تبرقعت فقد رابنى منهـا الغداة سفورها

أى: ظهورها. وقال قتادة والضحاك: ﴿ بأيدى سفرة ﴾: هم القراء الذين يقرءون الآيات. وقال الفراء فى قوله: ﴿ مرفوعة مطهرة ﴾ سماها مرفوعة مطهرة؛ لأنها أنزلت من اللوح المحفوظ. وقيل: سفرة هم ملائكة موكلون بالأسفار من كتب الله تعالى، ومنه أسفار موسى، واحدها سفر. وقال الشاعر:

فما أَدعُ السِّفارة بين قومى وما أمشى بغـش إن مشيت

وسمى السفير بين الاثنين سفيراً؛ لأنه يظهر عما فى قلب هذا وعما فى قلب الآخر ليصلح بينهما.

وقوله: ﴿ كرام بررة ﴾ فقوله: ﴿ كرام ﴾ صفة الملائكة أى: كرام على الله، وقوله: ﴿ بررة ﴾ أى: مطيعين، وهو فى معنى قوله: ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾[1] وفى بعض الكتب أن فى السماء ملائكة بأيديهم الصحف يقرءون القرآن وعبادتهم ذلك، وهذا راجع إلى ما بينا من قبل قول الضحاك.

قوله تعالى: ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ ثم بين الله تعالى من العبر والآيات فى الآدمى ما لا ينبغى أن يكفر معها.

وقوله: ﴿ قتل ﴾ أى: لعن، والإنسان هو الكافر، وقيل: هو الوليد بن المغيرة، وقيل: أمية بن خلف. وروى الضحاك عن ابن عباس «أن الآية نزلت فى عتبة بن أبى لهب لما أنزل الله تعالى سورة «والنجم» قال عتبة: أنا أكفر بالنجم إذا هوى، فقال النبى ﷺ: «اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك»، وروى أنه قال: «اللهم سلط عليه أسد الغاضرة» - والغاضرة موضع - ثم إنه خرج بعد ذلك فى رفقة، فلما بلغ ذلك

(١) التحريم: ٦ .

مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾

الموضع ذكر قول الرسول ﷺ، فأمر أهل الرفقة أن يحرسوه تلك الليلة ففعلوا، وجاء الأسد ووثب وثبة وصار على ظهره وافترسه»(١).

وقوله: ﴿ما أكفره﴾ ويجوز أن يكون أيضًا على وجه التوبيخ، وإن كان اللفظ لفظ الاستفهام فالمعنى: أى شيء أكفره بالله، وقد أراه من قدرته ما أراه.

وقوله: ﴿من أى شيء خلقه﴾ معناه: أفلا يتفكر هذا الكافر من أى شيء خلقه الله تعالى، ثم بين من أى شيء خلقه، وقوله: ﴿من نطفة خلقه﴾، وقوله تعالى: ﴿فقدره﴾ قال الكلبى: سوى خلقه من يديه ورجليه وعينيه وسائر جوارحه الظاهرة والباطنة، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿خلقك فسواك﴾(٢) وقيل: فقدره أى: وضع كل شيء موضعه، وهيأ له ما يصلحه.

وقوله: ﴿ثم السبيل يسره﴾ أكثر أهل التفسير على أن المراد منه هو الخروج من الرحم، وقيل معناه: يسر له سبيل الخير، وقيل: بين له سبيل الشقاوة والسعادة، قاله مجاهد، والذى تقدمه قول الحسن.

وقوله: ﴿ثم أماته فأقبره﴾ أى: جعل له قبرًا يدفن فيه، يقال: قبرت فلانًا إذا دفنته، وأقبرته إذا جعلت له موضعًا يدفن فيه. قال الأعشى:

لو أسندت ميتًا إلى نحرها … عاش ولم يُنْقَل إلى قَابِر

وقوله: ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾ أى: أحياه وبعثه.

قال الأعشى:

حتى يقول الناس مما رأوا … يا عجبا للميت الناشر

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر (٦ / ١٣٥) لأبى نعيم فى الدلائل، وابن عساكر فى تاريخه ،عن عروة بن الزبير، عن هبار بن الأسود بنحوه.

(٢) الانفطار: ٧.

كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾

وقوله: ﴿ كلا لما يقض ما أمره ﴾ يعنى: لم يفعل ما أمره الله تعالى. قال مجاهد: ليس أحد من الخلق يفعل كل ما أمره الله تعالى.

وعن ابن عباس: ﴿ كلا لما يقض ما أمره ﴾ أى: ما أخذ عليه من العهد يوم الميثاق.

وقوله تعالى: ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه ﴾ أى: فلينظر الإنسان إلى الطعام والعلف الذى خلقه الله تعالى لحياة الخلق، وعن ابن عباس معناه: فلينظر الإنسان إلى طعامه أى: إلى ما يخرج منه كيف انقلب من الطيب إلى الخبيث. وعن الحسن: أن الله تعالى وكل ملكا فإذا جلس الإنسان على حاجته ثنى رقبته لينظر إلى ما يخرج منه ذكره النقاش.

وأورد أيضًا: أن أبا الأسود الدؤلى سأل عمران بن الحصين لِمَ ينظر الإنسان إلى ما يخرج منه؟ فلم يدر عمران ما يجيبه به، ثم ذهب عمران إلى المدينة، فذكر ذلك لأبى بن كعب فقرأ هذه الآية: ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه ﴾ ثم قال: ينظر ليعلم إلى ما صار ما بخل به.

وقوله: ﴿ أنا صببنا الماء صبا ﴾ قرئ بكسر الألف وفتحها؛ فقوله بالكسر «إنا» على الابتداء، وقوله: ﴿ أنا ﴾ بالفتح منصوب على البدل من الطعام كأنه قال: فلينظر الإنسان إلى أنا صببنا، ذكره الفراء. وقيل معناه: فلينظر الإنسان إلى طعامه لأنا صببنا.

وقوله: ﴿ صببنا الماء صبًا ﴾ أى: أجريناه إجراءً.

وقوله: ﴿ ثم شققنا الأرض شقًا ﴾ أى: بخروج النبات.

وقوله: ﴿ فأنبتنا فيها حبًا ﴾ هو البر والشعير، وكل ما هو قوت الناس.

وقوله: ﴿ وعنبًا ﴾ هو العنب المعروف.

وقوله: ﴿ وقضبًا ﴾ هو القت بلغة أهل مكة، وعن ابن عباس: هو الرطبة – وهو

وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾

قول معروف – وسمى قضبًا؛ لأنه يقضب أى: يقطع وينبت، ثم يقطع وينبت هكذا.

وقوله: ﴿وزيتونًا﴾ هو الزيتون المعروف.

وقوله: ﴿ونخلا وحدائق غلبًا﴾ الحديقة كل بستان يتحوط عليه، وما لا يكون محوطا عليه لا يكون حديقة.

وقوله: ﴿غلبًا﴾ أى: غلاظ الأعناق، يقال: رجل أغلب إذا كان شديداً غليظ الرقبة. وقيل: «غلبا» ملتفة أى: دخل بعضها فى بعض.

وقوله: ﴿وفاكهةً وأبًّا﴾ الفاكهة هى الثمار، والأب هى الكلأ. قال ابن عباس ومجاهد: الأب مرعى الأنعام، وقيل: الأب للبهائم بمنزلة الفاكهة للناس. وقال (الضحاك)[1]: الأب التين، وعن الحسن: أن الفاكهة ما طاب واحلو لى من الثمار[2].

ومن المعروف أن عمر – رضى الله عنه – قرأ قوله تعالى: ﴿وفاكهةً وأبا﴾ ثم قال: قد عرفت الفاكهة فما الأب؟ ثم قال: يا ابن الخطاب، هذا والله هو (التكذيب)[3]، وألقى العصا من يده.

وقوله: ﴿متاعًا لكم ولأنعامكم﴾ أى: منفعة لكم ولأنعامكم.

وقوله: ﴿فإذا جاءت الصاخة﴾ هى اسم من أسماء يوم القيامة، ذكره ابن عباس مثل الطامة والحاقة والقارعة وأشباهها، وقيل: الصاخة هى الداهية التى يعجز عنها الخلق، وقيل: الصاخة الصاكة، يقال: صخ فلانًا إذا صكه.

(١) فى «ك»: مالك.

(٢) أخرجه عبد بن حميد كما فى الدر (٦/ ٣٥٣).

(٣) كذا فى «الأصل، وك»، وقد روى ابن جرير الطبرى وغيره هذا الأثر وفيه: «... هذا والله هو التكلف..».

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾

قال الشاعر:

يا جارتى هل لك أن تجالدى جـلادة كالصـخ بالجلامـد

أى: كالصك، وقيل: إن الصاخة صيحة إسرافيل تصك الأسماع، وعن بعضهم: أن الصاخة ما يصخ له كل شيء أى: ينصت يقال: رجل أصخ أى أصم.

وقوله: ﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ﴾ يفر منهم لأنه لا يمكنه أن ينفعهم وينتفع بهم. قيل: يفر لئلا يروا الهوان الذى ينزل فيه، وقيل: يفر منهم ضجرا لعظم ما هو فيه، وفى بعض التفاسير: أن قوله: ﴿ من أخيه ﴾ قابيل من هابيل.

وقوله: ﴿ وأمه ﴾ هو الرسول ﷺ من أمه.

وقوله: ﴿ وأبيه ﴾ هو إبراهيم – صلوات الله عليه – من أبيه.

وقوله: ﴿ وصاحبته ﴾ هو لوط – عليه السلام – من زوجته.

وقوله: ﴿ وبنيه ﴾ هو آدم – عليه السلام – من بنيه المفسدين، وقيل: هو نوح – عليه السلام – من ابنه.

وقوله: ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ أى: شيء يكفيه ويشغله، وقال القتيبى: شيء يصرفه عن غيره، والشأن: هو الأمر العظيم، يقال: فلان فى شأن، أى: فى أمر عظيم.

وقرئ فى الشاذ: «يعنيه» من عنى يعنى بالعين غير معجمة.

قوله تعالى: ﴿ وجوه يومئذ مسفرة ﴾ أى: [ذات][1] فرحة مسرورة، وقيل: نيرة، وقيل: هو فى معنى قوله تعالى: ﴿ يوم تبيض وجوه ﴾[2] أى: وجوه يومئذ تبيض.

---

(١) من «ك».

(٢) آل عمران: ١٠٦.

ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

وقوله: ﴿ ضاحكة مستبشرة ﴾ أى: من السرور والفرح.

وقوله: ﴿ ووجوه يومئذ عليها غبرة ﴾ أى: كسوف وسواد.

وقوله: ﴿ ترهقها قترة ﴾ أى: تعلوها الكآبة والحزن، وقيل: هو فى معنى قوله تعالى: ﴿ وتسود وجوه ﴾[1] عن عطاء الخرسانى: ﴿ وجوه يومئذ مسفرة ﴾ لكثرة ما أغبرت فى الدنيا بالحق.

وقوله: ﴿ ووجوه يومئذ عليها غبرة ﴾ من كثرة ما ضحكت فى الباطل.

وقوله: ﴿ أولئك هم الكفرة الفجرة ﴾ يعنى: أصحاب الوجوه هم الذين كفروا بالله وفجروا، والله أعلم.

(١) آل عمران: ١٠٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾

تفسير سورة (كورت)[١]

وهى مكية

روى عبد الرزاق، عن عبد الله بن بجير، عن عبد الرحمن بن يزيد الصنعانى قال: سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين ذلك اليوم فليقرأ: ﴿إذا الشمس كورت﴾ و﴿إذا السماء انفطرت﴾[٢] و﴿إذا السماء انشقت﴾[٣]. قال رضى الله عنه أخبرنا بهذا الحديث أبو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد القفال، أخبرنا أبو العباس السنجى الطحان[٤]، أخبرنا العباس بن عبد العظيم العنبرى، أخبرنا عبد الرزاق[٥].

قوله تعالى: ﴿إذا الشمس كورت﴾ قال ابن عباس: ذهب ضوؤها. وروى سفيان الثورى، عن أبيه، عن الربيع بن خثيم قال: كورت رمى بها. وعن سعيد بن جبير كورت: غُوِّرَت، وقال: كُوِّر: كوز، وقيل: اضمحلت، وقيل: لُفَّتْ وجمعت، ومنه كور العمامة، والمعنى: أنها لفت وجمعت وطرح بها.

وقوله: ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ أى: تناثرت وتساقطت، وفى بعض التفاسير: أن النجوم فى قناديل من نور معلقة بالسماء الدنيا بسلاسل فى أيدى الملائكة، فإذا جاء

---

(١) فى «ك»: التكوير. (٢) الانفطار: ١. (٣) الانشقاق: ١.

(٤) وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج السنجى الطحان. انظر الأنساب (٣/٣١٨).

(٥) رواه الترمذى (٥/٤٠٣ رقم ٣٣٣٣) وقال: حسن غريب، وأحمد (٢/٢٧، ٣٦، ١٠٠)، وابن أبى الدنيا فى الأهوال (رقم ١٩)، والحاكم (٤/٥٧٦) وصححه، وأبو نعيم فى الحلية (٩/٢٣١).

وقال الهيثمى فى المجمع (٧/١٣٧): رواه أحمد بإسنادين ورجالهما ثقات، ورواه الطبرانى بإسناد أحمد.

وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٨/٥٦٤): حديث جيد.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾

يوم القيامة تساقطت السلاسل من أيدى الملائكة، وانتثرت النجوم. وروى أن أهل الأرضين يسمعون إدَّة عظيمة من وقوع النجوم على الأرض.

وقوله: ﴿وإذا الجبال سيرت﴾ أى: سيرت وكانت سرابًا، وقيل: دقت دقا، وصارت بمنزلة الهباء، والآية فى معنى قوله تعالى: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب﴾[١].

وقوله: ﴿وإذا العشار عطلت﴾ العشار واحدها عشراء، وهى الناقة التى أتت عشرة أشهر على حملها، وهى أحسن ما يكون من النوق، وأعزها على أربابها، وتعطيلها إهمالها وتركها بلا راع يرعاها، ولا يفعل ذلك إلا يوم القيامة، والمعنى: أن كل إنسان يشتغل بنفسه عن كل شىء، وإن كان عزيزًا عنده.

وقوله: ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى ماتت، والحشر هو الجمع، فكأنها جمعت فى الموت، والقول الثانى: وهو الأظهر أن حشرها إحياؤها يوم القيامة.

وقد ورد فى الخبر المشهور عن النبى ﷺ أنه قال: «يقتص للجماء من القرناء»[٢]. وعن ابن عباس قال: يحشر كل شىء حتى الذباب.

وقوله: ﴿وإذا البحار سجرت﴾ قال الحسن: يبست، وعنه أنه قال: فاضت أى: أدخل بعضها فى بعض. وعن كعب الأحبار سجرت أى: ملئت نارًا. وقال شمر بن عطية: تسجر كما يسجر التنور.

---

(١) النمل: ٨٨.

(٢) رواه مسلم (١٦ / ٢٠٥ رقم ٢٥٨٢)، والبخارى فى الأدب المفرد (رقم ١٨٣)، والترمذى (٤ / ٥٣٠ رقم ٢٤٢٠) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢/ ٣٥، ٣٠١، ٣٧٢، ٤١١)، وأبو يعلى (١١/ ٣٩٥ رقم ٦٥١٣)، وابن حبان (١٦/ ٣٦٣ - ٣٦٤ رقم ٧٣٦٣)، والبيهقى (٦/ ٩٣) جميعهم من حديث أبى هريرة مرفوعا به.

وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾

وعن سعيد بن المسيب أن عليًا - رضى الله عنه - سأل رجلا من اليهود عن جهنم؟ فقال: هو البحر، فقال: ما أراه إلا صادقًا، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وإذا البحار سجرت﴾. وعن بعضهم: أن بحر الروم وسط الأرض، وفى أسفله آبار من نحاس مطبقة، فإذا كان يوم القيامة سجرت ناراً، ومن هذا قوله تعالى: ﴿والبحر المسجور﴾(١) وقد بينا، ويجوز أن يجمع بين هذه الأقاويل، فيقال: إن البحار يدخل بعضها فى بعض فتصير بحراً واحداً، ثم يفيض وييبس ثم يملأ ناراً.

وقوله: ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ قال الشعبى: الأبدان بالأرواح، وقيل: قرنت بأعمالها. وعن عمر - رضى الله عنه - قال: الصالح مع الصالح، والفاجر مع الفاجر. وعن بعضهم: المؤمنون يقرنون بالحور العين، والكفار بالشياطين.

﴿وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت﴾ الموءودة: هى الولد، كان أهل الجاهلية يقتلونه، وكان الواحد منهم إذا ولد له ابن تركه، وإذا ولد له بنت دفنها حية. وذكر بعضهم. أن المرأة كانت إذا أخذها المخاض حفرت حفيرة، وجلست عليها فإن ولدت ابنًا حبسته، وإن ولدت بنتًا ألقتها فى الحفيرة، وقد كان بعضهم يترك الجارية حتى تصير شديدة، ثم يقول لأمها: طيبيها زينيها، وقد حفر بئراً فى الصحراء، ويحملها مع نفسه، ويأمرها أن تطلع فى البئر، ثم يدفعها من خلفها فى البئر، ويهيل التراب، وكانوا يفعلون ذلك إما خشية الإملاق، أو [دفعا] للعار وأنفة عن أنفسهم.

وقوله: ﴿سئلت بأى ذنب قتلت﴾ هو سؤال توبيخ للوائد؛ لأن من جواب هذا السؤال أن يقول: قتلت بغير ذنب. وقرأ ابن عباس والضحاك وجماعة: «وإذا الموءودة سألت بأى ذنب قتلت» والمعنى معلوم. وذكر بعضهم فى تفسيره: أنها تأتى متلطخة بالدماء، وتتعلق بثدى أمها وتقول: يارب، هذه أمى وقد قتلتنى.

واعلم أنه ورد كثير من الأخبار فى أن أولاد المشركين خدم أهل الجنة(٢).

---

(١) الطور: ٦.

(٢) تقدم تخريجه.

وكان ابن عباس يقول: من قال الموءودة فى النار فقد كذب، وتلا هذه الآية. وعن النبى ﷺ أنه قال: «سألت ربى عن اللاهين من ذرية البشر فأعطانيهم»[1]. وعنه عليه الصلاة والسلام: «أنه سئل عن أطفال المشركين؟ فقال: هم خدم أهل الجنة»[2]. وقد ورددت أخبار أخر أن أولاد المشركين فى النار، وقد ذكرنا بعض ذلك فيما سبق، وعنه ﷺ أنه قال لعائشة: «لو شئت أسمعتك تضاغيهم فى النار»[3]، وعنه عليه – الصلاة والسلام – أنه قال: «الوائدة والموءودة فى النار»[4]، وقد ثبت برواية أبى هريرة أن النبى ﷺ سئل عن أطفال المشركين؟ فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»[5].

فالأولى أن يتوقف، ويوكل علم ذلك إلى الله تعالى، وهم على مشيئته يفعل بهم ما يشاء. واعلم أنه قد كان فى العرب من يحيى الأطفال الموءودة، وذلك بأنهم (يفرون)[6] من آبائهم.

وقال الفرزدق يفتخر:

ومنا الذى منع الوائدا ت فأحيـا الوئيد فلم يوأد

قاله فى جده صعصعة بن مجاشع.

---

(١) رواه أبو يعلى (٦/ ٢٦٧، ٣١٦ رقم ٣٥٧٠، ٣٦٣٦، ٧/ ١٣٨ رقم ٤١٠١، ٤١٠٢)، وابن عدى (٥/ ١٥١، ٦/ ٢٠)، وابن الأعرابى فى معجمه (٢/ ١٢٦ رقم ٨١٤)، وأبو نعيم فى أخبار أصبهان (١/ ٣٤٤)، وابن الجوزى فى العلل (٢/ ٩٢٦ رقم ١٥٤٥) عن أنس بن مالك به.
وحسن الحافظ فى الفتح (٣/ ٢٩٠) إسناده، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٢٢٢): رواه أبو يعلى من طرق ورجال أحدهما رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن المتوكل وهو ثقة.

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) رواه الإمام أحمد (٦/ ٢٠٨)، ولوين (رقم: (٣١) بتحقيقنا)، وابن عدى (٧/ ٢٠٧)، وابن الجوزى فى العلل (٢/ ٩٢٤ رقم ١٥٤١) وقال: لا يصح، جميعهم عن عائشة مرفوعا به.

(٤) رواه أبو داود (٤/ ٢٣٠ رقم ٤٧١٧)، والطبرانى فى الكبير (١٠/ رقم ١٠٠٥٩، ١٠٢٣٦)، والبزار فى مسنده (٥/ رقم ١٥٩٦، ١٦٠٥، ١٨٢٥)، وابن حبان فى صحيحه (١٦/ ٥٢١ – ٥٢٢ رقم ٧٤٨٠)، وفي المجروحين (٢/ ٢٦١)، والشاشى فى مسنده (٢/ ١١٨ – ١١٩ رقم ٦٤٨) عن ابن مسعود مرفوعا به.
وقد أطال الدارقطنى الكلام عليه فى العلل (٥/ ١٦٠ – ١٦٣ رقم ٧٩٤) فراجعه.

(٥) تقدم تخريجه .

(٦) كذا، ولعله: يشترونهن. انظر القرطبى (١٩/ ٢٣٢ – ٢٣٣).

وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلا أُقْسِمُ

قوله تعالى: ﴿وإذا الصحف نشرت﴾ يعنى: على الخلائق، فمنهم من يعطى بيمينه، ومنهم من يعطى بشماله.

وقوله: ﴿وإذا السماء كشطت﴾ وقرأ ابن مسعود: «قُشِطَت» وهما بمعنى واحد، كالكافور والقافور.

وقوله: ﴿كشطت﴾ أى: قلعت، وقيل: نزعت.

وقوله: ﴿وإذا الجحيم سعرت﴾ أى: أوقدت، وهى توقد مرة بعد مرة فاستقام على هذا الكلام. قال قتادة: سَعَّرَهُ غضب الله وخطايا بنى آدم.

وقوله ﴿وإذا الجنة أزلفت﴾ أى: قربت وأدنيت، وهى للمتقين.

وقوله: ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ قال الربيع بن خثيم: إلى هذا جرى الكلام، وحكى معنى هذا عن ابن عباس. والمعنى: أنه إذا كانت هذه الأشياء علمت نفس ما أحضرت يعنى: من الخير والشر.

قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بالخنس﴾ قال على - رضى الله عنه - هى خمسة كواكب: بهرام، وعطارد، وزحل، والزهرة، والمشترى، وذكر بعضهم الشمس والقمر فى ذلك. وعن بعضهم: أنها جميع النجوم.

وقوله: ﴿الخنس﴾ أى: تغيب فى سيرها، وقيل: تغيب فى النهار، وتظهر بالليل، وقيل: ترجع فى مسيرها من المغرب، وذلك ظاهر فى الكواكب الخمسة.

وقوله: ﴿الجوار الكنس﴾ أى: النساء السائرات الكنس، والكنس المستترات عن الأبصار. وقيل: بالغروب، وقيل: بالنهار. وهذه الكواكب هى الكواكب التى يسميها المنجمون المتحيرة، وقد تفردت حيث تسير بخلاف سائر الكواكب؛ لأن سائر الكواكب تسير من المشرق إلى المغرب، وهى تسير من المغرب إلى المشرق، ويحيلون

بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾

عليها الأفعال فى العالم، ونحن نتبرأ إلى الله تعالى من هذا الاعتقاد، ونحيل الجميع على الله تعالى، وإنما النجوم آيات ودلائل ومسخرات خلقت لمعانى ذكرناها من قبل، وفى الآية قول آخر: وهو أن الخنس هى بقر الوحوش. قال عمرو بن شرحبيل: قال لى عبد الله بن مسعود: أنتم قوم عرب، فما معنى ﴿الخنس الجوار الكنس﴾؟ قال عمرو: هى بقر الوحش، قال ابن مسعود: وأنا أرى ذلك وهو أيضًا إحدى الروايتين عن ابن عباس، والقول الأول هو المشهور.

والخنس على هذا القول: هى صغار الأنف، والكنس من استتارها فى كنسها.

وقوله: ﴿والليل إذا عسعس﴾ أى: أقبل بظلامه، وقيل: أدبر، وهو من الأضداد. والأول هو المعروف.

وقوله: ﴿والصبح إذا تنفس﴾ أى: ظهر وطلع، وقيل: ارتفع.

وقوله: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ أى قول أنزله رسول كريم أى كريم على مرسله وهو جبريل صلوات الله عليه. وحمل الآية على ما جاء به جبريل عليه السلام على الرسول ﷺ من غير القرآن. فعلى هذا يجوز أن يقال: هو قول جبريل. وقيل: إن قوله ﴿رسول كريم﴾ وهو محمد ﷺ والقول الأول هو المشهور.

وقوله ﴿ذى قوة عند ذى العرش مكين﴾ فى الخبر أن النبى ﷺ سأل جبريل عن قوته وأمانته؟

فقال: «أما قوتى فإن الله تعالى أرسلنى إلى مدائن لوط، وهى أربع مدائن فى كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذرية فأدخلت جناحى تحتها ورفعتها إلى السماء الدنيا حتى سمع أهل السماء الدنيا نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبتها. وأما أمانتى فإنى لم أعد ما أُمرت به إلى غيره[1].

(١) عزاه السيوطى فى الدر (٦/٣٥٧) لابن عساكر عن معاوية بن قرة به.

مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾

وقوله ﴿ مكين ﴾ هو بمعنى المكانة أو المنزلة عند الله تعالى. وذى العرش: هو الله تعالى.

وقوله ﴿ مطاع ثم أمين ﴾ فى التفسير أن الملائكة يطيعونه فيما يأمرهم به. وقد قيل: إن معناه أنه قال: لرضوان خازن الجنان ليلة المعراج: افتح الباب لمحمد ففتحه. وقال لمالك خازن النار: افتح الباب لمحمد ففتحه.

وقوله ﴿ أمين ﴾ قد ذكرنا. وقيل فى معنى الأمانة، أنه يرفع سبعين سرادقاً من غير استئذان. وقيل: يلج سبعين حجاباً من نور من غير استئذان.

وقولـه تعالى ﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾ معنى الرسول ﷺ. وعن عطية أن نبى الله ﷺ سأل جبريل أن يريه نفسه على ما يكون فى السماء؟ فقال: ليس ذلك إلى حتى أستأذن ربى، فأذن الله تعالى له فى ذلك. فلما رأى جبريل على ما خلقه الله من العظمة وكثرة الأجنحة على ما ذكرنا غشى عليه، فلما رآه قريش مغشيا عليه قالوا: مجنون مجنون فأنزل الله تعالى ﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾.

وقوله ﴿ ولقد رآه بالأفق المبين ﴾ فى التفسير أنه عند مطلع الشمس، والذى رآه جبريل، وقد بينا هذا فى سورة والنجم.

وقوله ﴿ وما هو على الغيب بضنين ﴾ قرئ بالضاد والظاء. قال إبراهيم النخعى: بظنين بالظاء، بمتهم، وبضنين بالضاد، ببخيل. أورده النحاس وهو قول جماعة من المفسرين والغيب: هو الوحى.

وقوله ﴿ وما هو بقول شيطان رجيم ﴾ قال: هذا لأنهم كانوا يقولون أن محمداً يقول ما يقول عن الشيطان.

وقوله: ﴿ فأين تذهبون ﴾ أى: أين تذهبون عن هذا الحق الذى ظهر بدلائله؟.

إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

وقوله: ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ أى: تذكرة وعظة للعالمين.

وقوله: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ فى التفسير أنه لما نزلت هذه الآية، قال أبو جهل: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله تعالى قوله، ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ ردا عليه. وفى الباب أحاديث كثيرة منها ما روى مالك عن زيد بن أبى أُنَيْسة أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهنى أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - سئل عن هذه الآية ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم﴾[1] إلى أن قال: ﴿ألست بربكم﴾[1] الآية. فقال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها؟ فقال: «إن الله خلق آدم فمسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل أهل الجنة، فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت، وهو على عمل أهل النار فيدخله به النار، وقال الله تعالى ﴿ولوأننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله﴾[2] .وقال تعالى ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾[3] قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو محمد هياج بن عبيد الخطيبى بمكة قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن جميع،أخبرنا جدى، أخبرنا محمد بن عبدان القزاز، أخبرنا أبو مصعب عن مالك الحديث (٤). والله أعلم.

(١) الأعراف: ١٧٢ .

(٢) الأنعام: ١١١.

(٣) يونس: ١٠٠.

(٤) تقدم تخريجه فى تفسير سورة الأعراف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا

تفسير سورة (انفطرت)(١)

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿إذا السماء انفطرت﴾ معناه: انشقت، ومنه انفطر ناب البعير.

وقوله: ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ أى: تساقطت.

وقوله: ﴿وإذا البحار فجرت﴾ قال الحسن: يبست. وعن غيره: ملئت، والمعروف فجر بعضها فى بعض، العذب فى المالح، والمالح فى العذب، وقيل: فجرت أى: جعلت بحراً واحداً، وذلك بتفجير بعضها فى بعض.

وقوله: ﴿وإذا القبور بعثرت﴾أى: بحثرت وبحثت، والمعنى: قلبت ترابها، وأخرج ما فيها من الموتى. وفى الخبر: أن الأرض تلقى أفلاذ كبدها يوم القيامة، فتخرج كنوزها وموتاها وكل ما فيها.

ومن المعروف أن النبى ﷺ قال: «يوشك أن يحسر الفرات على جبل من ذهب، فيقتتل الناس عليه»(٢).

قال القفال: يجوز أن يكون ما ذكره الله تعالى من هذه الأشياء قبل قيام الساعة، ويجوز أن يكون بعد قيام الساعة.

وقوله: ﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾ أى: ﴿ما قدمت﴾ فعملت من عمل ﴿وأخرت﴾ أى: ترك من العمل، وقيل: ما قدمت وأخرت أى: ما عملت من قديم

(١) فى «ك»: الانفطار.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (١٣ / ٨٤ رقم ٧١١٩)، ومسلم (٢٨ / ٢٦-٢٧ رقم ٢٨٩٤). وفى الباب عن أبى بن كعب، رواه مسلم (٢٨ / ٢٧ رقم ٢٨٩٥)، وأحمد (٥ / ١٣٩)وغيرهما.

الإنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾

وحديث، وقيل في قوله: ﴿وأخرت﴾ أي: من سنة سيئة عمل بها بعده.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ قيل: نزلت الآية في الوليد بن المغيرة، وقيل: في أبي جهل، وقيل: في غيرهما.

وقوله: ﴿ما غرك بربك الكريم﴾أي: أي شيء غرك وجرأك وسول لك حتى ارتكبت ما ارتكبت؟

وقوله: ﴿بربك الكريم﴾ يتجاوز عنك، وذلك في الدنيا. وفي بعض التفاسير: أن الآية نزلت في أبي الأسد، وكان قد ضرب النبي ﷺ، فلم يعاقبه الله تعالى في الدنيا، فهو معنى قوله: ﴿بربك الكريم﴾ الذي تجاوز عنك، ولم يعاقبك في الدنيا.

قال رضي الله عنه: أخبرنا محمد بن عبد العزيز الجنوجردي: أخبرنا أبو إسحاق الثعالبي: أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن فنجويه: أخبرنا أبو علي بن حبش المقرئ: أخبرنا أبو القاسم بن الفضل المقرئ: أخبرنا أبو علي بن الحسين: أخبرنا المقدمي، أخبرنا كثير بن هشام: أخبرنا جعفر بن برقان قال: حدثني صالح بن مسمار، قال: «بلغني أن النبي ﷺ تلا هذه الآية: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ قال: جهله»(١).

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – أنه قال: ما منكم من أحد إلا سيخلوا الله به يوم القيامة فيقول: يا ابن آدم، ما غرك بي؟ يا ابن آدم، ماذا عملت فيما علمت؟ يا ابن آدم، ماذا أجبت المرسلين؟ وعن السدي (بن المفلس)(٢) قال: غره رفقه به.

وعن إبراهيم بن الأشعث أن الفضيل بن عياض قيل له: لو قال الله تعالى لك: ما غرك بي فماذا تقول له؟ قال: أقول ستورك المرخاة. ونظم ذلك بعضهم:

(١) عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤ / ١٦٧) للثعلبي وعنه الواحدي في تفسير الوسيط، وقال: ورواه أبو عبيد في كتاب فضائل القرآن إلا أنه قال: غره حلمه. وعزاه السيوطي في الدر (٦ / ٣٥٩) لعبد بن حميد فقط.

(٢) كذا! وأظنها مقحمة، وقد أورده البغوي (٤ / ٤٥٥) عن السدي قوله.

﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾

يا كاتم الذنب أما تستحى والله فى الخلوة ثانيكا

غرك من ربك إمهاله وستره طول مساويكا

وعن يحيى بن معاذ قال: لو يقول الله تعالى: ما غرك بربك؟ فأقول: تركك لى سالفًا وآنفًا. وعن أبى بكر الوراق قال: أقول غرنى كرم الكريم. وعن منصور بن عمار قال: أقول غرنى ما علمت من سابق أفضالك. وقال بعضهم:

يا من خلا فى الغى والتيه وغره طول تماديه

أملى لك الله فبارزته ولم تخف غب معاصيه

وقوله: ﴿الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة﴾ قال عطاء: جعلك قائمًا معتدلا حسن الصورة، وقيل: سواك أى: سوى بين يديك ورجليك وعينيك وأذنيك،[و](١) ووضع كل شيء موضعه، وهو أيضًا معنى قوله: ﴿فعدلك﴾ ذكره الكلبى وغيره. وقيل: عدلك أى عَدَّل خلقك، وهو على ما بينا. وقرئ بالتخفيف أى: صرفك فى أى صورة شاء من حسن وقبيح، وطويل وقصير. وفى بعض الغرائب من الأخبار: «أن الله تعالى إذا أراد خلق عبد أحضر خلقه كل عرق كان بينه وبين آدم، فيخلقه على ما يريد من الشبه بمن شاء»(٢). وقد قيل: فعدل فى أى صورة ما شاء ركبك أى: من شبه أب وأم وعم وخالٍ، وقال أبو على الفارسى: معنى عدلك

(١) فى «ك»: فى.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير (١٩ / ٢٩٠رقم ٦٤٤) ،وفى الأوسط (٦ / ٨٣ رقم ٣٤١١ مجمع البحرين) وفى الصغير (١ / ٨٢ رقم ١٠٦) عن مالك بن الحويرث مرفوعًا به.وقال الهيثمى فى المجمع (٧ / ١٣٧): رواه الطبرانى فى الثلاثة ورجاله ثقات، ونسبه ابن رجب فى جامع العلوم والحكم (١ / ١٥٤-١٥٥) للطبرانى وابن منده فى التوحيد، وذكر عن ابن منده قوله: إسناده متصل مشهور على رسم أبى عيسى والنسائى وغيرهما. وقال السيوطى فى الدر (٦ / ٣٦١): أخرج الحكيم الترمذى والطبرانى وابن مردويه بسند جيد والبيهقى فى الأسماء والصفات، فذكره. وفى الباب عن موسى بن على بن رباح عن أبيه عن جده، وانظر جامع العلوم والحكم ،والدر.

كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ

بالتخفيف أى: في عدل بعضك ببعض، فكنت معتدل الخلق مناسبها فلا تفاوت فيها.

قوله تعالى: ﴿ كلا بل تكذبون بالدين ﴾ أى: بيوم القيامة، وقيل: بالحساب.

وقوله: ﴿ وإن عليكم لحافظين كرامًا كاتبين ﴾ فى بعض الأحاديث «أن النبى ﷺ قال: أكرموا الكرام الكاتبين فإنهم معكم، إلا عند الجنابة والتبرز للحاجة»(١). وقد ورد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ كرام بررة ﴾(٢) أنهم الملائكة، يكرموا أن يكونوا مع ابن آدم عند خلوته بأهله، وعند حاجته.

وقوله: ﴿ كاتبين ﴾ هم الملائكة يقعدون عن يمين الإنسان ويساره، فيكتبون ما عليه وله، وقيل: واحد عن يمينه، وواحد عن يساره، فالذى عن يمينه يكتب الحسنات، والذى عن يساره يكتب السيئات، وقيل: إن الذى عن يمينه أمين على الذى على يساره لا يكتب إلا بإذنه. وفى الخبر برواية أبى هريرة عن النبى ﷺ: «إن العبد إذا هم بحسنة يكتب له الملك حسنة، فإذا عملها كتب له عشر حسنات، وإذا هم بسيئة لم تكتب عليه شيئًا، فإذا عملها كتب سيئة»(٣).

وقوله: ﴿ يعلمون ما تفعلون ﴾ ظاهر المعنى.

قوله تعالى: ﴿ إن الأبرار لفى نعيم ﴾ فى الخبر أن النبى ﷺ قال: «هم الذين بروا آباءهم وأبناءهم»(٤). وظاهر المعنى أنهم المطيعون.

---

(١) رواه الترمزى (٥ / ١٠٤ رقم ٢٨٠٠) وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفى الباب عن ابن عباس ومجاهد مرسلا.

(٢) عبس: ١٦.

(٣) متفق عليه، رواه البخارى (١٣ / ٤٧٣ - ٤٧٤ رقم ٧٥٠١) ومسلم (٢ / ١٩٤ رقم ١٢٨).

(٤) رواه ابن عدى (٤ / ٣٢٣) ضمن منكرات عبيد الله الوصافى عن محارب عن ابن عمر، وقال: ولايتابع عليه. وعزاه الحافظ ابن كثير فى تفسيره (٤ / ٤٨٢) لابن عساكر فى تاريخه.

وقال الهيثمى فى المجمع (٨ / ١٤٩): رواه الطبرانى وفيه عبيد الله الوصافى وهو ضعيف.

﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

وقوله: ﴿ وإن الفجار لفى جحيم ﴾ هى النار، نعوذ بالله منها. وفى الحكايات: أن سليمان بن عبد الملك حج، فلقى أبا حازم سلمة بن دينار فقال: يا أبا حازم، كيف القدوم على الله؟ فقال: أما المحسنون فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسىء فكالعبد الآبق يرد إلى سيده، فبكى سليمان، ثم قال: ليت شعرى نعلم ما حالنا عند الله؟ فقال أبو حازم: اعرضها على كتاب الله تعالى، فقال: وعلى أى ذلك أعرض؟ فقال على قوله تعالى: ﴿ إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم ﴾ قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: قريب من المحسنين.

قوله تعالى: ﴿ يصلونها يوم الدين ﴾ أى: يدخلونها يوم القيامة.

وقوله: ﴿ وما هم عنها بغائبين ﴾ أى: مبعدين.

وقوله: ﴿ وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين ﴾ هو على معنى تفخيم الأمر وتعظيمه.

وقوله: ﴿ يَوْمَ لا تملك نفس لنفس شيئًا ﴾ أى: لا تغنى نفس عن نفس شيئًا .ويوم منصوب على الظرف، وقرئ « يَوْمُ » بالرفع، وهو ظاهر.

وقوله: ﴿ والأمر يومئذ لله ﴾ أى: الأمر يوم القيامة لله ليس لأحد معه أمر، والله أعلم.

تفسير بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾

سورة المطففين

وهى مدنية

قال ابن عباس: هى أول سورة نزلت بالمدينة، قدم رسول الله ﷺ المدينة، وهم أخبث الناس كيلاً ووزنًا، فأنزل الله تعالى هذه السورة، فاستقاموا، فهم أوفى الناس كيلا ووزنًا إلى (اليوم) (١).

قوله تعالى: ﴿ويل للمطففين﴾ الويل: هو الدعاء بالشدة والهلاك. وعن السدى هو واد فى جهنم، يسيل فيه صديد أهل النار.

وقوله: ﴿للمطففين﴾ هم الذين لا يوفون الكيل والوزن ويبخسون. قال الزجاج: سمى مطففًا، لأنه لا يُطف بهذا الفعل بالشىء الطفيف أى: اليسير وقد بينا أنها نزلت فى أهل المدينة، وقيل: نزلت فى أبى جهينة، كان رجلا من أهل المدينة له صاعان يكيل بأحدهما على الناس أى:عن الناس ويقال: اكتلت على فلان أى: استوفيت ما عليه.

وقوله: ﴿يستوفون﴾ أى: يستوفون حقوقهم على الكمال، وقيل: يستوفونه راجحًا.

وقوله ﴿وإذا كالوهم﴾ كالوا لهم. وكذلك:﴿أو وزنوهم﴾ أى :وزنوا لهم. [قاله](٢) أبو عبيدة والأخفش والفراء – والأخفش هو سعيد بن [مسعدة](٣)، وهو الأخفش الكبير(١) – وقال الفراء: هو لغة حجازية، سمعت بعضهم بمكة يقول: إذا

(١) فى «ك»: يوم القيامة. (٢) فى «الأصل، وك»: قال.

(٣) فى «الأصل، وك»: سعد، والصواب مسعدة، وانظر طبقات النحويين واللغويين ص٧٢ والسير (١٠ / ٢٠٦)، وغيرهما.

أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

صدر الناس أتينا التاجر، فكال المد والمدين إلى العام المقبل أى: كال لنا.

و﴿ يخسرون ﴾ أى: ينقصون.

وقوله: ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ﴾أى :ألا يستيقنوا أولئك أنهم مبعوثون. وعن ابن عباس أنه قال: خمس بخمس: ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكم قوم بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، وما نقصوا من المكيال والميزان إلا منعوا النبات وأجدبوا بالسنين، وما منع قوم الزكاة إلا حبس عنهم القطر.

وعن مالك بن دينار قال: دخلت على جارٍ لى أعوده، وقد نزل به الموت، فجعلت ألقنه كلمة الشهادة، وهو يقول: جبلان من نار، جبلان من نار. فما زال يقول حتى مات، فسألت عنه؟ قالوا: كان له مكيال وميزان يطفف بهما.

وقيل فى قوله: ﴿ ألا يظن ﴾ يعنى: أنهم لا يعملون عمل من يظن أنهم مبعوثون.

وقوله: ﴿ ليوم عظيم ﴾ هو يوم القيامة. سماه عظيماً لعظم ما فيه وشدته.

وقوله: ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ روى ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال: «يقومون مائة سنة على رءوس قبورهم»، وعن بعض الصحابة: ثلثمائة سنة، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص: يقومون ألف عام فى الظلمة.

وروى حماد بن سلمة، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبى ﷺ أنه قال فى قوله تعالى ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ قال: « يقومون حتى يبلغ الرشح

(١) كذا قال، والمعروف أن الأخفش سعيد بن مسعدة هو الأخفش الأوسط، كما فى ترجمته فى السير وغيره، وأما الأخفش الكبير فهو أبو الخطاب البصرى، واسمه عبد المجيد بن عبد المجيد، كما فى السير (٧ / ٣٢٣) وغيره.

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾

أطراف آذانهم »[١] . قال رضى الله عنه : أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسين بن النقور، أخبرنا أبو طاهر المخلص .[٢] أخبرنا ابن بنت منيع – هو أبو القاسم البغوى –أخبرنا أبو نصر التمار، أخبرنا حماد بن سلمة، الحديث . خرجه مسلم فى صحيحه عن أبى نصر التمار، وذكر البخارى هذا الحديث بإسناده، وذكر أنهم يقومون حتى يبلغ الرشح أنصاف آذانهم، وروى سليم بن عامر، عن المقداد بن الأسود أن النبى ﷺ قال : « تُدْنَى الشمس من رءوس الخلائق، حتى تكون على قدر ميل من رءوسهم » قال سليم : فلا أدرى أراد ميل المسافة أم ميل الذى يكتحل به – قال : « فتصهرهم الشمس، فيكونون فى العرق على قدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه العرق إلى كعبيه، ومنهم إلى ركبتيه، ومنهم إلى حقوه، ومنهم من يلجمه إلجامًا، ووضع رسول الله ﷺ يده على (فمه)[٣] »[٤] .

وفى بعض الأخبار : « أن العرق يذهب فى الأرض سبعين ذراعا »[٥] والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ كلا إن كتاب الفجار لفى سجين ﴾ كلا ردع وزجر وتنبيه، كأنه يقول :ليس الأمر كما تزعمون فارتدعوا . وقوله : ﴿ إن كتاب الفجار لفى سجين ﴾ فيه قولان : أحدهما : أنه كتاب الأعمال، والآخر : أنه أرواح الكفار، والأظهر هو الأول .

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٨ / ٥٦٥ رقم ٤٩٣٨ وطرفه ١٦٥٣١) ومسلم (١٧ / ٢٨٤ – ٢٨٥ رقم ٢٨٦٢) .

(٢) فى « الأصل وك » : أبو طاهر بن المخلص، وهو أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس أبو طاهر البغدادى

(٣) فى « ك » : فيه .

(٤) رواه مسلم (١٧ / ٢٨٥ – ٢٨٦ رقم ٢٤٦٤)، والترمذى (٤ / ٦١٤ رقم ٢٤٢)، وأحمد (٦ / ٣–٤)، والطبرانى فى الكبير (٢٠ / ٢٥٥رقم ٦٠٢)، وابن حبان (١٦ / ٣٢٥ رقم ٧٣٣٠)، والبغوى فى تفسير (٤ / ٤٥٨) .

(٥) متفق عليه من حديث أبي هريرة، رواه البخارى (١١ / ٤٠٠ رقم ٦٥٣٢)، ومسلم (١٧ / ٢٨٥ رقم ٢٨٦٣) .الملقب بالمخلص وهو مخلص الذهب من الغش .

وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ

وقوله: ﴿لفى سجين﴾ هو فعيل من السجن، قال عطاء الخراسانى: هو الأرض السفلى فيها إبليس وذريته. وعن مجاهد: صخرة تحت الأرض السابعة تقلب، ويجعل تحتها كتاب الفجار. وعن الحبر أنه قال فى قوله: ﴿إن كتاب الفجار لفى سجين﴾: هو روح الكافر تُقبض ويصعد به إلى السماء ،فتأبى السماء أن تقبله، ثم يهبط به إلى الأرض، فتأبى الأرض أن تقبله، فيهبط به تحت الأرضين، فيجعل تحت خد إبليس. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ :« أن الفلق جُبٌ فى جهنم مغطى، والسجين جب فى جهنم مفتوح »[1].

وقوله: ﴿وما أدراك ما سجين﴾ قال الزجاج: لم يعلمه رسول الله حتى أعلمه الله.

وقوله: ﴿كتاب مرقوم﴾ أى كتاب الفجار، وقال بعضهم: كتاب مرقوم يرجع إلى السجين، والأصح ما بينا.

قوله: ﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به إلا كل معتد أثيم إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ أى: أباطيل الأولين وأكاذيبهم.

قوله تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم﴾أى: غلب على قلوبهم. قال الفراء: استكثروا من المعاصى والذنوب فأحاطت بقلوبهم. وروى القعقاع بن حكيم، عن أبى صالح، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ أنه قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة، فإن هو نزع واستغفر وتاب صُقلت، وإن عاد زيد فيها حتى يغلق قلبه، فهو

---

(١) رواه ابن جرير الطبرى (٣٠ / ٦١، ٢٢٥)، واستنكره الحافظ ابن كثير فى تفسيره (٤ / ٥٧٣، ٤٨٥) وقال فى الموضع الأول: حديث مرفوع منكر. إسناده غريب ولايصح رفعه.

آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ

لرَّين الذى قال الله تعالى: ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ »[١] . قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث الشريف أبو نصر محمد بن محمد بن على الزينبى، أخبرنا أبو طاهر المخلص، أخبرنا البغوى، أخبرنا زغبة، عن الليث، عن ابن عجلان، عن القعقاع بن حكيم الحديث.

ويقال: ران أى: غطى وغشى، وهو قريب من الأول.

قال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يسود قلبه، وروى نحو هذا عن مجاهد.

قوله تعالى: ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون ﴾ فى الآية دليل على أن المؤمنين يرون الله تعالى، وقد نقل هذا الدليل عن مالك والشافعى -رحمة الله عليهما- قال مالك: لما حجب الله الفجار عن رؤيته دل أنه ليتجلى للمؤمنين حتى يروه. ومثل هذا رواه الربيع بن سليمان، عن الشافعى، قال الربيع: قلت للشافعى: أيُرى الله بهذا؟ فقال: لو لم أوقن أن الله يرى فى الجنة لم أعبده فى الدنيا. وقد رُوى هذا الدليل عن (أحمد بن يحيى بن ثعلب الشيبانى ابن عباس)[٢]. وعن الحسن البصرى قال: لو عرف المؤمنون أنهم لا يرون الله فى الآخرة، لانزهقت أرواحهم فى الدنيا.

وفى الآية أبين دليل من حيث المعنى على ما قلنا، لأنه ذكر قوله: ﴿ كلا إنهم عن

---

(١) رواه الترمذى (٥ / ٤٠٤ رقم ٣٣٣٤) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦ / ١١٠ رقم ١٠٢٥١، ١١٦٥٨)، وابن ماجه (٢ / ١٤١٨ رقم ٤٢٤٤)، وأحمد (٢ / ٢٩٧)، وابن أبى الدنيا فى التوبة (رقم١٩٨)، وابن جرير الطبرى فى تفسيره (١ / ٨٧، ٣٠ / ٦٢)، وابن حبان فى صحيحه (٣ / ٢١٠رقم ٩٣٠)، والحاكم (٢ / ٥١٧) وصححه على شرط مسلم، والبيهقى (١٠ / ١٨٨) وفى الآداب أيضا (رقم ١٠١٦) وغيرهم.

(٢) كذا فى «الأصل وك»، وهو خطأ، والصواب: أحمد بن يحيى بن يزيد أبو العباس ثعلب كما فى ترجمته من تاريخ بغداد (٥ / ٢٠٤- ٢١٢)، وطبقات النحويين (١٤١-١٥٠)، والسير(١٤ / ٥ - ٧).

يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ

ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ فى حق الكفار عقوبة لهم، فلو قلنا: إن المؤمنين يحجبون، لم يصح عقوبة الكفار به. وقد ذكر الكلبى فى تفسيره عن ابن عباس فى هذه الآية: أن المؤمنين يرونه فى الجنة، ويحجب الكفار. وعن الحسين بن الفضل قال: كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده، كذلك فى الآخرة عن رؤيته.

وقوله: ﴿ثم إنهم لصالوا الجحيم﴾ أى: لداخلوا الجحيم.

وقوله: ﴿ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون﴾ يقال لهم ذلك على طريق التوبيخ والتعيير.

قوله تعالى: ﴿كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين﴾ قال الفراء: ارتفاع بعد ارتفاع. وقال كعب: يقبض روح المؤمن فيصعد به إلى السماء، فتتلقاه الملائكة إلى أن تبلغ السماء السابعة، فيوضع تحت العرش.

يقال: إن الكتاب هو كتاب الأعمال، وقد بينا أنه أظهر القولين، والمعنى: أنه يوضع فى أعلى الأمكنة إظهاراً لخسة عمل الفجار.

وقوله: ﴿وما أدراك ما عليون﴾ قال الزجاج: لم يدر حتى أعلمه الله.

وقوله: ﴿كتاب مرقوم يشهده المقربون﴾ أى كتاب مكتوب، أو كتاب عليه علامة القبول، يشهده الملائكة، وقيل: يشهده مقربو كل سماء.

قوله تعالى: ﴿إن الأبرار لفى نعيم﴾ أى: فى نعيم الجنة.

وقوله: ﴿على الأرائك ينظرون﴾ الأرائك جمع أريكة، وهى السرر فى الحجال كما بينا.

وقوله: ﴿تعرف فى وجوههم نضرة النعيم﴾ أى: بهجة النعيم وحسنها. وهو

﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ

مثل قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾[١].

وقوله: ﴿يسقون من رحيق مختوم﴾ روى مسروق عن ابن مسعود، وسعيد بن جبير عن ابن عباس أنهما قالا: الرحيق هو الخمر وقيل: هو الشراب الذى لا غش فيه.

وقوله: ﴿مختوم﴾ أى: لم تمسسه الأيدى.

وقوله: ﴿ختامه مسك﴾ قال إبراهيم النخعى وسعيد بن جبير: آخره رائحة المسك، وطعمه طعم ألذ الأشربة. وعن جماعة من المفسرين أنهم قالوا: إذا بلغ آخر الشرب وجد رائحة المسك والمعنى: أن الشراب الذى يكون فى الدنيا يكون فى آخره الكدر، وما تكرهه النفس، فذكر الله تعالى أن شراب الآخرة على خلافه.

وقرأ على- رضى الله عنه- «خاتمه مسك» وقرأ عيسى بن عمر «خاتمه مسك» بكسر التاء، وقيل فى معنى قوله تعالى: «خاتَمَهُ مسك» بفتح التاء أى: (طينته)﴾[٢] مسك، وفى قوله: «خاتِمَهُ مسك» بكسر التاء أى: آخره وعاقبته.

وقوله ﴿وفى ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ أى: فليتبادر المتبادرون، والمنافسة إظهار شدة الطلب، وقيل: هى المسابقة إلى التحصيل.

وقوله: ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ قال سعيد بن جبير عن ابن عباس، وعلقمة عن ابن مسعود: هو أشرف شراب لأهل الجنة يشربه المقربون صرفًا، ويمزج للأبرار، ومثله رواه منصور عن مالك بن الحارث.

وقيل فى التسنيم: هو عين تتسنم على أهل الجنة من الغرف، وقيل: هو عين من ماء.

وقوله: ﴿عينًا يشرب بها المقربون﴾ قد بينا، ونصب عينًا بمعنى: أعنى عينًا، أو أريد عينًا.

(١) فى «ك»: طيبه.

(٢) القيامة: ٢٢ – ٢٣.

الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

وقوله: ﴿ بها ﴾ أى: منها.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين أجرموا ﴾ هم الكفار. وقيل: هذا فى قوم مخصوصين من قريش، منهم أبو جهل والوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث، والنضر بن الحارث وغيرهم.

وقوله: ﴿ كانوا من الذين آمنوا يضحكون ﴾ قيل: إنه فى قوم مخصوصين من المؤمنين منهم خباب وبلال وأبو ذر وعمار وغيرهم من فقراء الصحابة.

وقوله: ﴿ وإذا مروا بهم يتغامزون ﴾ أى: يشيرون بالأعين والحواجب.

وقوله: ﴿ وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين ﴾ أى معجبين بأفعالهم. وقيل: طيبين الأنفس مستبشرين. والعرب تقول: رجل فكه وفاكه إذا كان ضحوكا طيب النفس.

وقوله: ﴿ وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ﴾ أى: أخطأوا الحق وطريق الرشد واتبعوا الباطل.

وقوله: ﴿ وما أرسلوا عليهم حافظين ﴾ أى ما أرسلوا عليهم ليحفظوا أعمالهم. أى ما أرسل الكفار على المؤمنين، والمعنى: أنهم ما وكلوا بالمؤمنين ليحفظوا عليهم ما يفعلون. وقيل: إن هذه الآية نزلت فى المنافقين. وقيل: إنها نزلت فى أبى جهل وأصحابه.

وقوله: ﴿ من الذين آمنوا ﴾ على رضى الله عنه وأصحابه. وهو قول بعيد.

وقوله: ﴿ فاليوم الذين آمنوا ﴾ هم المؤمنون من أصحاب الرسول ﷺ.

عَلَى الأَرَائِكِ ينظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

وقوله :﴿ من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون ﴾ فى بعض التفاسير إن للجنة كوى إلى أهل النار متى شاء أهل الجنة فتحوا الكوى ونظروا إلى النار وضحكوا منهم . وقد بينا معنى الأرائك من قبل .

وقوله ﴿ هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾ أى هل جوزى الكفار ما كانوا – أى بما كانوا – يفعلون .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣﴾

تفسير سورة الكدح

وهى مكية، والله أعلم

قوله تعالى: ﴿إذا السماء انشقت﴾ هو فى معنى قوله: ﴿إذا السماء انفطرت﴾[1] ويقال: انشقت بالغمام، مثل قوله تعالى: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾[2] وقد ذكرنا، وقيل: انشقت لنزول الملائكة. وفى تفسير النقاش: انشقت لنزول الرب عز اسمه، وهو بلا كيف، وقيل: (مزقت)[3]. وعن على - رضى الله عنه - أنه قال: تنشق السماء من المجرة، ويقال: هى باب السماء.

وقوله: ﴿وأذنت لربها وحقت﴾ أى: واستمعت لأمر ربها، وحق لها أن تستمع.

قال الشاعر:

القلب تعلل بَدَدَنْ　　　إن همى فى سماع وأَذَنْ[4]

وقال بعضهم: صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به، وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا، أى: استمعوا. وفى الخبر عن النبى ﷺ: «ما أذن الله بشىء كإذنه لنبى يتغنى بالقرآن»[5]. وأما استماع السماء فيجوز أن يكون على الحقيقة، ويجوز أن يكون استماعها انقيادها لما تؤمر به، والله أعلم.

وقوله: ﴿وإذا الأرض مدت﴾ أى: مدت مد الأديم لايبقى عليها جبل ولاشىء إلا

---

(١) الانفطار: ١　　(٢) الفرقان: ٢٥.　　(٣) فى «ك»: فرقت.

(٤) والبيت فى لسان العرب (١٣ / ١٠ مادة أذن) ونسبه لعدى، وأوله: يأيها القلب .. فذكره.

(٥) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٨ / ٦٨٦ رقم ٥٠٢٣ وأطرافه ٥٠٢٤، ٧٤٨٢، ٧٥٤٤)، ومسلم (٦ / ١١٢-١١٤ رقم ٧٩٢).

وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ ﴿٦﴾

دخل فى جوفها، وقيل: زيد فى سعتها لتسعهم.

وعن بعضهم: غيرت عن هيئتها بالتبديل، وغير ذلك، فهو معنى قوله: ﴿ مدت ﴾.

وقوله: ﴿ وألقت مافيها وتخلت ﴾ أى: وألقت مافى جوفها، من الكنوز والموتى فخلى جوفها، ويقال: ألقت بما استودعت، وتخلت عما استحفظت، وكأنها ألقت ما على ظهرها، وتخلت عما فى جوفها.

وقوله ﴿ وأذنت لربها وحقت ﴾ قد بينا.

فإن قيل: أين جواب قوله: ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ وهو يقتضى جوابا؟ والجواب من وجوه: قال الفراء: جوابه محذوف، والمعنى: إذا السماء انشقت وكان كذا، رأى كل إنسان ماوجد من الثواب والعقاب، ويقال: علم كل منكر للبعث أنه كان فى ضلالة وخطأ.

والوجه الثانى: أن الجواب قوله: ﴿ وأذنت ﴾ والواو زائدة، فالجواب: أذنت.

والوجه الثالث: أن الجواب قوله: ﴿ فملاقيه ﴾ أى: يلقى عمله من خير وشر.

والوجه الرابع: أن فى الآية تقديماً وتأخيراً، والمعنى: يأأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا فملاقيه إذا السماء انشقت.

قوله تعالى: ﴿ يأأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا فملاقيه ﴾ قال قتادة: عامل لربك عملاً. والكدح هو السعى بتعب ونصب.

قال الشاعر:

ومضت بشاشة كل عيش صالح ... وبقيت أكدح للحياة وأنصب

ويجوز أن يكون ذكر الواحد هاهنا بمعنى الجمع، فيكون بمعنى يأأيها الناس. وكان الحسن البصرى يقول: يأأيها الرجل، وكلكم ذلك الرجل.

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿ فملاقيه ﴾ قال قتادة: أى: فملاقٍ عملك من خير وشر.

ويقال: ملاقٍ ربك.

وقوله: ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا ﴾. أى هينًا، وقيل فى اليسير: هو أن يقبل الحسنات، ويتجاوز عن السيئات. وقد ثبت برواية أبى مليكة[١] عن عائشة أن النبى ﷺ قال: «من نوقش فى الحساب هلك، قلت: يارسول الله، فإن الله عز وجل يقول: ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا ﴾ قال: ذلك العرض»[٢] قال رضى الله عنه أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسين ابن النقور، أخبرنا أبو طاهر (بن)[٣] المخلص، أخبرنا أبو محمد يحيى بن صاعد،[٤] أخبرنا الحسن بن الحسين المروزى، عن عبد الله بن المبارك، عن عثمان بن الأسود، عن ابن أبى مليكة الخبر.

وأورد أبو عيسى برواية (ابن عمر)[٥] أن النبى ﷺ قال: «من حوسب عذب»[٦]، وهو بإسناد غريب. وفى رواية ثالثة عن عائشة – رضى الله عنها– أن النبى ﷺ رآها، وقد رفعت يديها وهى تقول: اللهم حاسبنى حسابًا يسيرًا. فقال: «ياعائشة، أتدرين

---

(١) كذا فى «الأصل و ك»، والصواب ابن أبى مليكة، وهو عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة من رجال التهذيب، وهوالراوى عن عائشة –رضى الله عنها– وسيأتى على الصواب فى إسناد المصنف للحديث.

(٢) تقدم تخرجه.

(٣) كذا، وهو أبو طاهر المخلص، وقد سبق التنبيه عليه.

(٤) فى «الأصل، وك»: أبو محمد بن يحيى ..والصواب أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد بن كاتب الإمام الحافظ المجود المشهور، فهو يروى عن المروزى، وعنه أبو طاهر المخلص كما فى ترجمته من سير الأعلام (١٤ / ٥٠١ – ٥٠٧).

(٥) كذا، وإنما هو عن أنس بن مالك.

(٦) رواه الترمذى (٥ / ٤٠٦ رقم ٣٣٣٨) وقال: غريب، وابن عدى فى الكامل (٥ / ١٨٢) عن أنس به. وعزاه فى كشف الخفاء أيضا للضياء فى المختارة (٢ / ٣٣٨).

وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾

ما ذلك الحساب؟ قالت عائشة: فقلت ذكر الله فى كتابه: ﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا﴾ فقال رسول الله ﷺ: من حوسب خصم، وذلك الممر بين يدى الله تعالى». وذكر الحاكم أبو عبد الله الحافظ فى المستدرك على الصحيحين بإسناده عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابًا يسيرًا، وأدخله الجنة برحمته. قال أبو هريرة: قلت يارسول الله، لمن ذلك؟ قال: «أن تصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطى من حرمك»(1).

وقوله: ﴿وينقلب إلى أهله مسرورًا﴾ أى: فرحًا مستبشرًا، ويجوز أن ينقلب إلى أهله من الحور العين، ويجوز أن يكون المعنى ينقلب إلى أهله الذين كانوا له فى الدنيا، وقيل: نزلت فى أبى سلمة بن عبد الأسد، وكان زوج أم سلمة، وهو أول من هاجر إلى المدينة.

وقوله: ﴿وأما من أوتى كتابه وراء ظهره﴾ نزلت فى الأسود بن عبد الأسد.

قوله تعالى: ﴿وأما من أوتى كتابه وراء ظهره﴾ قال مجاهد: يخلع يده اليمنى، ويجعل يده اليسرى وراء ظهره، فيوضع كتابه فيها.

وقال الكلبى: تغل يده اليمنى، ويوضع كتابه فى شماله من وراء ظهره. وروى أبو

(1) رواه البزار (٢ / ٢٤٦ رقم ١٧٩٥-مختصره)، وابن أبى الدنيا فى مكارم الأخلاق (رقم٢١)، والطبرانى فى الأوسط (٥ / ١٦٦-١٦٧ رقم ٢٨٥٦-مجمع البحرين)، وابن عدى(٣ / ٢٧٦-٢٧٧)،والحاكم (٢ / ٥١٨) وصححه ،وتعقبه الذهبى بقوله: سليمان - يعنى ابن داود اليمامى- ضعيف، والبيهقي (١٠ / ٥٣٤) .قلت: وأعله الحافظ ابن حجر فى مختصر البزار بسليمان بن داود وقال: ليس بالقوى، ولايتابع على حديثه، ومثله الهيثمى فى المجمع (٨ /١٥٧). وقال: سليمان بن داود متروك وكذلك المنذرى فى الترغيب(٣ / ٣٠٨) وقال: سليمان واه.

فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾

موسى الأشعرى -وهو عبد الله بن قيس -أن النبىﷺقال: «يكون فى القيامة ثلاث عرضات: فعرضتان جدال ومعاذير ،والعرضة الثالثة عند تطاير الصحف، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله»(١) .وذكر النقاش فى تفسيره بإسناده أن النبىﷺ قال: «من حاسب نفسه فى الدنيا هون الله عليه الحساب فى الآخرة».

﴿فسوف يدعو ثبوراً﴾ معناه: يقول واثبوراه، ومعنى قوله :واثبوراه: واهلاكاه. يقال: رجل مثبور أى: هالك.

وقوله: ﴿ويصلى سعيراً﴾ أى: يقاسى النار، ويقال: يدخل، ومنه قوله تعالى ﴿اصلوها﴾(٢) أى: ادخلوها، وقرئ: «ويُصلى سعيراً» أى: يكثر عذابه بنار جهنم، ذكره الأزهرى.

قوله تعالى: ﴿إنه كان فى أهله مسرورا﴾ **أى**: لم يحزن للتقصير فى أوامر الله تعالى، ولم يتعب، ولم ينصب فى العمل بطاعة الله، ذكره القفال. ويقال: كان فى أهله مسرورًا، أى: راكبًا هواه، متبعًا شهوته.

وقوله ﴿إنه ظن أن لن يحور﴾ أى: أن لن يرجع إلى الله تعالى، وهو إخبار عن إنكاره بالبعث.

وقوله: ﴿يحور﴾ يرجع، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «أعوذ بالله من الحُور بعد الكور»(٣) أى: النقصان بعد الزيادة. وفى رواية: «من الحَوْر بعد الكور» أى: من انتشار أمره بعد أن كان مجتمعًا، أو من فساد أمره بعد أن كان صالحًا.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) يس: ٤٦، الطور:١٦.

(٣) رواه مسلم (٩ / ١٥٩-١٦٠ رقم ١٣٤٣)، والترمذى (٥ / ٤٦٤ رقم ٣٤٣٩) وقال: حسن صحيح، والنسائى (٨ / ٢٧٢ رقم ٥٤٩٨، ٥٤٩٩)، وابن ماجه (٢ / ١٢٧٩ رقم ٣٨٨٨)، وأحمد (٥ / ٨٣)، وابن خزيمة (٤ / ١٣٨ رقم ٢٥٣٣) جميعهم عن عبد الله بن سرجس به.

بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾

وقال الشاعر:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئِه يحورُ رماداً بعد إذ هو ساطع

وقوله: ﴿ بلى إن ربه كان به بصيراً ﴾ أى: عالمًا.

وقوله تعالى: ﴿ فلا أقسم بالشفق ﴾ أى: أقسم بالشفق، قال مجاهد: هو النهار كله(١). والمعروف أن الشفق هو الحمرة من عند غروب الشمس إلى العشاء الآخرة. قال الفراء: سمعت العرب تقول على فلان ثوب كأنه الشفق، وكان عليه ثوب مصبوغ بالحمرة. وفى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «الشفق هو الحمرة»(٢). وهو قول جماعة من الصحابة وجماعة من التابعين منهم: ابن عمر، وسعيد بن المسيب، وغيرهما.

وعن أبى هريرة: أن الشفق هو البياض، وهو قول عمر بن عبد العزيز.

قوله: ﴿ والليل وماوسق ﴾ أى: وما جمع ولف، وضم الأشياء بعد انتشارها، وإنما قال ذلك؛ لأنه إذا كان الليل آوى كل شىء إلى مأواه، ورَجَعَ كل إنسان إلى منزله، وإذا كان النهار انتشروا فى التصرف.

وقوله: ﴿ والقمر إذا اتسق ﴾ أى: إذا اجتمع ضوءه، ويقال: امتلأ نوراً، وهو ليلة الثالث عشر من الشهر والرابع عشر والخامس [عشر](٣).

---

(١) فى «الأصل»: وكله.

(٢) رواه الدار قطنى (١ / ٢٦٩)، والبيهقى (١ / ٣٧٣) عن ابن عمر مرفوعا وموقوفا به. وقال البيهقى: والصحيح موقوف.

(٣) من «ك».

لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾

قال الشاعر:

إن لنا قلائصا حقائقا مستوسقات (لو)[1] يجدن سائقًا

وقوله ﴿لَتَرْكَبُنَّ طبقا عن طبق﴾ وقرئ: «**لَتَرْكَبُنَّ**» على الوحدان، فمن قرأ على الجمع فمعناه: لتركبن أيها الناس حالاً بعد حال، والحال هو بمعنى الطبق.

قال الشاعر:

فبينا المرء فى عيش لذيذ ناعم خفض أتاه طبق يومًا على منقلب دحض

ومعنى حال بعد حال: هو أنه يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم ينفخ فيه الروح، وبعد ذلك تتبدل أحواله، ويختلف على المعهود المعلوم من طفولية، وشباب، وهرم، وغير ذلك. ويقال: لتركبن طبقًا عن طبق أى: شدة على شدة، والمعنى: أنه حياة ثم موت ثم بعث ثم جزاء.

فأما القراءة على الوحدان ففيه قولان:

أحدهما: أن المراد منه السماء، والمعنى: أنه ينشق ويكون مرة كالدهان، ومرة كالمهل، ومرة مشقوقة، ومرة صحيحة، وهو مروى عن ابن مسعود وغيره.

والقول الثانى: أنه خطاب للنبى ﷺ، والمعنى لتركبن أطباق السماء طبقًا على طبق، وذلك ليلة الإسراء، ويقال: لتركبن طبقًا عن طبق يعنى: أصلاب الآباء، وذلك للرسول ﷺ. قال العباس فى مدح النبى ﷺ:

من قبلها طبت فى الصلاب وفى مستودع حين يخصف الورق.

تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق

(١) فى «ك»: لم.

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

وقوله ﴿ فما لهم لايؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون ﴾ فى التفسير :أن النبى ﷺ سجد وأصحابه، والكفار على رؤوسهم يصفقون ويصفرون فأنزل الله تعالى ﴿ فما لهم لايؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون ﴾ وقد ثبت برواية أبى هريرة «أن النبى ﷺ سجد سجد فى هذا الموضع»(١) .

وقوله ﴿ بل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون ﴾ أى : يكتمون ويجمعون فى صدورهم .

قوله ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ أى أجعل لهم النار موضع البشارة للمؤمنين بالجنة .

وقوله ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ﴾ أى غير منقوص ولامقطوع . ويقال : لايمتن عليهم أحد غير الله تعالى فيكدره عليهم المنة والله أعلم .

---

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٢ / ٢٩٢ رقم ٧٦٦ وأطرافه٧٦٨، ١٠٧٤، ١٠٧٨)ومسلم (٥ / ١٠٦ - ١٠٩ رقم ٥٧٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾﴾

تفسير سورة البروج

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿والسماء ذات البروج﴾ أى: النجوم العظام. قال عكرمة: ذات القصور. ويقال: ذات الخلق الحسن، ويقال: ذات المنازل، وهى منازل القمر، وهى ثمانية وعشرون منزلا ذكرناها من قبل.

وقوله: ﴿واليوم الموعود﴾ وهو يوم القيامة بالاتفاق.

وقوله: ﴿وشاهد ومشهود﴾ فيه أقوال: روى أبو إسحاق، عن الحارث، عن على- رضى الله عنه -أن الشاهد هو يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة. قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الأثر أبو محمد عبد الله بن محمد الصريفينى، أخبرنا أبو القاسم بن حبابة أخبرنا أبو القاسم البغوى، عن على بن الجعد، عن شريك، عن [أبى][1] إسحاق

الأثر. والقول الثانى: الشاهد يوم النحر، والمشهود يوم عرفة، قاله إبراهيم النخعى. والقول الثالث: أن الشاهد هو الملائكة، والمشهود هو الإنسان، قاله السدى، والقول الرابع: أن الشاهد هو محمد ﷺ، والمشهود يوم القيامة، وهو مروى عن الحسن بن على، وابن عمر، وابن الزبير – رضى الله عنهم- والقول الخامس: الشاهد هو الله،

(١) فى «الأصل و ك»: ابن، وهو تحريف، وهوابو إسحاق الهمدانى عمرو بن عبد الله بن عبيد السبيعى الراوى عن الحارث الأعور، كما فى ترجمته من تهذيب الكمال، وقد سبق على الصواب فى أول الأثر.

قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴿٤﴾

والمشهود هو يوم القيامة، والقول السادس: أن الشاهد هو عيسى ابن مريم، والمشهود يوم القيامة، والقول السابع: أن الشاهد هو الجوارح، والمشهود هو نفس الإنسان، والقول الثامن: أن الشاهد يوم الاثنين، والمشهود يوم الجمعة، وشهادة الأيام شهادتها على الأعمال ومعنى المشهود فى الأيام هو أنه يشهدها الناس، وهو فى يوم القيامة على معنى أنه تشهده الملائكة وجميع الخلائق.

قوله تعالى: ﴿ قتل أصحاب الأخدود ﴾ والأخدود جمع خد، وهو شق فى الأرض، واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية؟. قال على: فى قوم من الحبشة، وعن مجاهد: فى قوم من نجران، وعن ابن عباس: فى قوم من اليمن، وعن بعضهم قوم بالروم، وقيل غير ذلك.

وفى التفسير: أنه كان بنجران قوم على شريعة عيسى بن مريم - صلوات الله عليه- يدينون بالتوحيد، فجاءهم ذو نواس وأحضرهم - وهو ملك من ملوك اليمن - وخيرهم بين اليهودية والإحراق بالنار، فاختاروا الإحراق بالنار ،فخدَّ لهم أخدوداً، وأضرم فيها النار، وأمرهم بالتهود أو يلقوا أنفسهم فيها، فألقوا أنفسهم فيها حتى احترقوا.

وفى بعض التفاسير: أنه كان فى آخرهم امرأة ومعها صبى رضيع، فلما بلغت النار توقفت فتكلم الصبى وقال: يا أماه، سيرى ولا تنافقى، فإنما هى غميضة. وقد ذكر مسلم فى الصحيح فى هذا قصة طويلة، وكذلك أبو عيسى على غير هذا الوجه الذى ذكرنا، وذكرا فيه حديث الملك والراهب والساحر، وهو ما روى عن ثابت البنانى، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن صهيب قال: « كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر همس، والهمس فى بعض قولهم تحرك شفتيه كأنه يتكلم، فقيل له: إنك يا رسول الله إذا صليت العصر همست قال: إن نبيا من الأنبياء كان أعجب بأمته،مَنْ يقوم لهؤلاء؟ فأوحى الله إليه أن خيرهم بين أن أنتقم منهم وبين أن أسلط

عليهم عدوهم، فاختاروا النقمة، فسلط عليهم الموت فمات منهم في يوم سبعون ألفا قال: وكان إذا حدث بهذا الحديث حَدَّثَ بهذا الحديث الآخر، قال: كان ملك من الملوك، وكان لذلك الملك كاهن يكهن له، فقال (الكاهن)[1]: انظروا لي غلاما (فهما)[2] - أو قال فَطِنًا لَقِفًا - فأعلمه علمي هذا، فإني أخاف أن أموت فينقطع منكم هذا العلم، ولا يكون فيكم من يعلمه. قال: فنظروا له على ما وصف، وأمروه أن يحضر ذلك الكاهن وأن يختلف إليه. قال: فجعل يختلف إليه، وكان على طريق الغلام راهب في صومعةٍ - قال معمر: أحسب أن أصحاب الصوامع كانوا يومئذ مسلمين- قال: فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلَّما مر به، فلم يزل به حتى أخبره، فقال: إنما أعبدُ اللهَ. قال: فجعل الغلام يمكث عند الراهب، ويبطئ عن الكاهن، فأرسل الكاهن إلى أهل الغلام إنه لا يكاد يحضرني، فأخبر الغلام الراهب بذلك، فقال له الراهب: إذا قال لك الكاهن: أين كنت؟ فقل: عند أهلي، فإذا قال لك أهلك: أين كنت؟ (فأخبرهم أنك)[3] كنت عند الكاهن. قال فبينما الغلام على ذلك إذ مر بجماعة من الناس كثير قد حبستهم دابة- وقال بعضهم: إن الدابة كانت أسدا- قال: فأخذ الغلام صخراً وقال: اللهم إن كان ما يقول الراهب حقًّا فاسألك أن أقتله، ثم رمى فقتل الدابة. فقال الناس: من قتلها؟ فقالوا: الغلام، ففزع الناس وقالوا: قد علم هذا الغلام علماً لم يعلمه أحد. قال: فسمع به أعمى، وقال له: إن أنت رددت بصري فلك كذا كذا. فقال له: لا أريد منك هذا، ولكن إن أنت شرطت إن رجع إليك بصرك أن تؤمن بالذي رده عليك فعلت؟ قال: فدعا الله فرد عليه بصره، فآمن الأعمى، فبلغ الملك أمرهم، فبعث إليهم، فأُتيَ بهم فقال: لأقتلن كل واحد منكم قتلة لا أقتل [بها][4] صاحبه، فأمر بالراهب والرجل الذي كان أعمى فوضع المنشار على مفرق أحدهما فقتله، وقتل الآخر بقتلة أخرى، ثم أمر بالغلام فقال: انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا فألقوه من رأسه، فلما انتهوا إلى ذلك المكان الذي أرادوا أن يلقوه منه جعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ويتردَّون، حتى لم يبق منهم إلا

---

(١) في «ك»: للملك.

(٢) في «ك»: فيهما.

(٣) في «ك»: فقل.

(٤) في «الأصل وك»: به.

الغلام. قال: ثم رجع، فأمر به الملك أن ينطلقوا به إلى البحر فيلقوه فيه، فانطلقوا إلى البحر، فغرَّق الله الذين كانوا معه وأنجاه، فقال الغلام: إنك لا تقتلني حتى تصلبني وترميني، وتقول إذا رميتني: باسم الله ربِّ هذا الغلام. قال: فأمر به فصلب ثم رماه، وقال: باسم الله رب هذا الغلام. قال: فوضع الغلام يده على صدغه حين رمى به ثم مات، فقال الناس: لقد علم هذا الغلام علماً ما علمه أحد، فإنا نؤمن برب الغلام. قال: فقيل للملك: [أجزعت][1] إن خالفك ثلاثة، فهذا العالم كلهم قد خالفوك. قال: فخدَّ أخدوداً، ثم ألقى فيها الحطب والنار، ثم جمع الناس. فقال: من رجع عن دينه تركناه، ومن لم يرجع ألقيناه في هذه النار، فجعل يُلقيهم في تلك الأخدود. قال: يقول الله تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود﴾ حتى بلغ ﴿ذو العرش المجيد﴾ قال: فأما الغلام فإنه دفن. قال: فذكر أنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب، وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل»[2]. قال أبو عيسى: حديث حسن غريب (صحيح)[3]. قال رضي الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو عبد الرحمن ابن عبد الله بن أحمد، أخبرنا أبو العباس بن سراج، أخبرنا أبو العباس [المحبوبي][4]، أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر... الخبر. وذكر مسلم هذا الخبر في كتابه، وخالف في مواضع أخر منه.

وفي بعض الروايات: أن اسم ذلك الغلام كان عبد الله بن التامر. قال محمد بن إسحاق: حفر في زمن عمر -رضي الله عنه- حفيرة، فوجدوا عبد الله بن التامر، ويده على صدغه فكان كلما أخروا يده عن ذلك الموضع (انثعب)[5] دما، وإذا تركوا

(١) في «الأصل وك»: أفزعمت، وهو خطأ والتصويب من جامع الترمذي (٥ / ٤٠٨) وهي الرواية التي ينقل عنها المصنف هذا الحديث.

(٢) رواه مسلم (١٨ / ١٧٧-١٨٠ رقم ٣٠٠٥)، والترمذي (٥ / ٤٠٧-٤٠٩ رقم ٣٣٤٠) وقال: حسن غريب، والنسائي في الكبرى (٦ / ٥١٠-٥١٢ رقم ١١٦٦١)، وأحمد (٦ / ١٧-١٨)، وعبد الرازق (٥ / رقم ٩٧٥١)، والطبراني في الكبير (٨ / ٤١-٤٥رقم ٧٣١٩، ٧٣٢٠).

(٣) كذا، ولعلها مقمحة، فالذي في تحفة الأشراف(٤ / ١٩٩) وفي سنن الترمذي: حسن غريب.

(٤) في «الأصل وك»: محبوب، وهو خطأ، وهو أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب المحبوبي المروزي.

(٥) في «ك»: انتقب.

النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾

اليد ارتدت إلى مكانها، وكان فى أصبعه خاتم حديد مكتوب عليه: ربى الله، فأمر عمر أن يرد إلى ذلك الموضع كما وجد.

وعن الحسن البصرى أن النبى ﷺ كان إذا ذكر هذه القصة قال: «اللهم إنى أعوذ بك من جهد البلاء» [1]. وقد ذكر بعض أهل المعانى أن قوله: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ هو جواب القسم.

قوله: ﴿النار ذات الوقود﴾ على قول البدل من الأخدود كأنه قال: «قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود، والوقود» ما يوقد به النار، وقيل: ذات الوقود أى: ذات التوقد، وهو الأصح.

قوله: ﴿إذ هم عليها قعود﴾ أى: جلوس، وفى القصة: أن الملك وأصحابه كانوا قد قعدوا على كراسى عند الأخاديد.

وقوله: ﴿وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾ فعل ما فعل بالمؤمنين بحضورهم.

وقوله: ﴿وما نقموا منهم﴾ قال ابن عباس: وما كرهوا. وعن غيره: وما عابوا. وذكر الزجاج: ما أنكروا. قال عبد الله بن قيس (بن) [2] الرقيات:

ما نقموا من بنى أمية إلا ... أنهم يحلمون إن غضبوا

وأنهم سادة الملوك ... فلا يصلح إلا عليهم العرب

وقوله: ﴿إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ والمعنى أنهم ما أنكروا عليهم إلا إيمانهم بالله.

---

(١) رواه ابن أبى شيبة (١٣ / ٢٢٧ رقم ١٦١٨٠)، وعبد بن حميد-كما فى الدر(٦ / ٣٧١) عن الحسن بنحوه.

(٢) كذا، والصواب أن الرقيات لقب لعبد الله بن قيس كما فى الألقاب لابن حجر (١ / ١٢٨-٣٢٩) وغيره.

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ

وقوله: ﴿العزيز الحميد﴾ أى: الغالب بقدرته، الحميد فى أفعاله.

قوله تعالى: ﴿الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء شهيد﴾ ظاهر المعنى. قال الزجاج: والمراد من الآية أن الله تعالى ذكر قومًا بلغت بصيرتهم فى الدين أن خيروا بين الكفر وبين الإحراق بالنار، فصبروا حتى أحرقوا بالنار. وقد ورد فى بعض الأخبار عن النبى ﷺ قال: «لا تشرك بالله وإن قتلت وأحرقت»(١).

قوله تعالى: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ أى: أحرقوا، يقال: فتنت الذهب بالنار إذا أدخلته فيها، ويقال: حرة فتين إذا كانت سوداء كالمحترقة (﴿ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾)(٢) بكفرهم ونوعا من العذاب بإحراقهم المؤمنين. وعن الربيع بن أنس: أن النار التى أحرقوا المؤمنين فيها ارتفعت من الأخدود، فأحرقت الملك وأصحابه، فهو معنى قوله: ﴿ولهم عذاب الحريق﴾.

قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير﴾ أى: العظيم، وهذا على ما جرى أمر القرآن، فإنه إذا ذكر الوعد للكفار يذكر الوعد للمؤمنين بجنبه، وهو ظاهر فى أكثر القرآن.

قوله تعالى: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ البطش هو الأخذ بعنف وشده.

قوله تعالى ﴿إنه هو يبدئ ويعيد﴾ أى: يبدئ الخلق فى الدنيا، ثم يعيدهم فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وهو الغفور الودود﴾ الغفور هو الستور بذنوب عباده، الودود هو

---

(١) رواه ابن ماجه (٢ / ١٣٣٩رقم ٤٠٣٤) عن أبى الدرداء. وقال الحافظ فى تلخيص الحبير (٢ / ٢٣٩رقم ٨١٠): وفى إسناده ضعف وفى الباب عن معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وثوبان، وأم أيمن. ضعف .وأميمة مولاة النبى ﷺ . وراجع تلخيص الحبير.

(٢) سقط تفسير آخر الآية، وهى من قوله: ﴿ثم لم يتوبوا.....الحريق﴾.

الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾

المحب للمؤمنين، وقيل: المتودد إلى المؤمنين بجميل أفعاله وكثير إحسانه. وذكر الأزهرى: أنه يجوز أن يكون الودود، بمعنى المودود كالحلوب والركوب بمعنى المحلوب والمركوب، فعلى هذا فى قوله: ﴿ الودود ﴾ معنيان: أحدهما: أنه المحب لعباده المؤمنين. والآخر: الذى يحبه المؤمنون.

وقوله: ﴿ ذو العرش المجيد ﴾ قرأ أكثر القراء بالرفع، وقرأ حمزة والكسائى بالخفض. والعرش هو السرير فى اللغة، وأما فى القرآن هو العرش المعروف فوق السماوات. وفى التفسير: أنه لا يقدر قدره. وعن بعضهم: ذو العرش ذو الملك، يقال: كل عرش فلان أى: ملك فلان، ويقال: تبوأ فلان على سرير ملكه أى: استقر ملكه، وإن لم يكن ثم سرير فى ذلك الوقت، حكاه القفال، والقول الصحيح الأول. وأما قراءة الرفع فهو صفة الله تعالى، وذلك بمعنى العلو والعظمة، وأما قراءة الخفض ففيه أقوال: أحدهما: أنه صفة العرش، ومعنى المجيد فيه العالى الرفيع، والقول الثانى: أنه صفة الله تعالى إلا أنه خفض بالجوار، والقول الثالث: أنه راجع إلى قوله: ﴿ إن بطش ربك ﴾ كأنه قال: إن بطش ربك المجيد لشديد، أورده النحاس. وعن بعضهم: أن جواب القسم قوله: ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ وهو قول الأكثرين.

وقوله تعالى: ﴿ فعال لما يريد ﴾ أى: ما يشاء ويختار.

وفى بعض الآثار أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه مرض فدخل القوم يعودونه فقالوا له: ألا ندعو لك طبيبا؟ فقال: قد دعوته. فقالوا: فماذا قال؟ قال أبو بكر: فقال أنا فاعل لما أريد.

قوله تعالى ﴿ هل أتاك حديث الجنود ﴾ أى قد آتيك حديث الجنود.

وقوله ﴿ فرعون وثمود ﴾ أى جنود فرعون وثمود. وذكر النقاش أن فرعون لما أتبع بنى إسرائيل كانوا خمسة آلاف وخمسمائة ألف.

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

وقوله ﴿ بل الذين كفروا فى تكذيب ﴾ أى فى تكذيب الرسل.

وقوله ﴿ والله من وراءهم محيط ﴾ أى محيط بأفعالهم وأقوالهم.

وقوله ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ فى بعض التفاسير أن الرسول لما قرأ عليهم ما ذكرنا من الآيات قالوا له : لعلك غلطت أو سهوت؟ ولعل الذى ينزل عليك ليس من قبل الله؟ فأنزل الله تعالى ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ هو المتجمع بخصال الخير. وقرأ محمد اليمامى : « بل هو قرآن مجيد » على الإضافة معنى قرآن رب مجيد.

وقوله ﴿ فى لوح محفوظ ﴾ قرئ بالرفع والخفض مع التنوين فيهما، ففى الرفع ينصرف إلى القرآن، وفى الخفض ينصرف إلى اللوح. وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن اللوح المحفوظ من درة بيضاء دفتاه ياقوت أحمر كتابته نور وقلمه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يميت ويحيى، ويعز ويذل، ويفقر ويغنى، ويفعل ما يشاء.

وفى بعض الأخبار : أنه مكتوب فى صدره لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله إلا الله محمد رسول الله. وذكر الحفظ هاهنا ليبين أن ما يوحى إليه من القرآن هو محفوظ من السهو والغلط، وأن ما يقوله النبى ﷺ يقوله عن الله سبحانه وتعالى. وعن فرقد السبخى : أن قوله : ﴿ فى لوح محفوظ ﴾ هو قلب المؤمن، وهو قول ضعيف، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾

تفسير سـورة الطارق
وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ والسماء والطارق ﴾ الطارق هاهنا هو النجم، وأما فى لغة العرب فالطارق هو كل ما يطرق ليلا، وقد قيل: هو الذى يطرق ليلا كان أو نهاراً.

وأما قول القائل:

نحن بنـات طـارق

أى: بنات النجوم شرفًا وعلواً.

وقال جرير:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت المقـامة فارجعى بسـلام

وقوله: ﴿ وما أدراك ما الطارق ﴾ إنما قال ذلك؛ لأن الطارق يتناول النجم وغيره، فذكر هاهنا قوله: ﴿ وما أدراك ما الطارق ﴾ لأن الرسول ﷺ لم يدر أى طارق أراد.

وقوله: ﴿ النجم الثاقب ﴾ قال ابن عباس: المضىء. وعن مجاهد: هو المتوهج. وعن بعضهم: هو المستدير. وعن بعضهم: الثاقب النجم الذى يثقب الشياطين بالنار. وذكر الفراء: أنه زحل، وهو أكبر النجوم. وقد حكى هذا القول عن على. وعن بعضهم: أنه نجم خلقه الله فى السماء السابعة، لم يخلق فيها غيره، يطرق

إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾

السموات ثم يرجع إلى مكانه. وعلى القول الذى قلنا [أن زحل هو الثاقب][1]، يعنى أنه يثقب السموات بضيائه. وعن ابن زيد: أنه الثريا. والعرب إذا أطلقت النجم عنت به الثريا.

وقوله: ﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾ هو جواب القسم. وقد قرئ بالتشديد والتخفيف، فمعنى التشديد: إلا عليها حافظ، ومعنى التخفيف: لعلها حافظ، و«ما» زائدة، والحافظ: هو الملك، وعن بعضهم: قرينه الذى يحفظ عليه عمله، وقيل: الحافظ هو الله تعالى يحفظ عليهم أعمالهم.

وقوله تعالى: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾ أى: من أى شيء خلق.

وقوله: ﴿خلق من ماء دافق﴾ أى: مدفوق مثل قوله تعالى: ﴿فى عيشة راضية﴾[2] أى: مرضية، وقيل: ﴿ماء دافق﴾ أى: منصب جار.

وقوله: ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ أى: من صلب الرجل، وترائب المرأة. وفى الخبر: أنه يخرج من كل خرزة من صلبه، والترائب ثمانية أضلاع: أربعة يمنة، وأربعة يسرة، وقيل: هو الصدر، وقيل: بين الثديين، وقيل: ما دون الترقوة.

وقوله: ﴿إنه على رجعه لقادر﴾ فيه أقوال: أحدها: على رد النطفة فى الإحليل لقادر، قاله مجاهد وإبراهيم وعكرمة، والقول الثانى: هو قادر أن يرده إلى حالة الطفولية، وقيل: يرد من (الشيخوخية)[3] إلى الكهولة، ومن الكهولة إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصغر، ومن الصغر إلى الطفولية، ومن الطفولية إلى رحم المرأة، ومن الرحم إلى الصلب، فهو معنى قوله: ﴿إنه على رجعه لقادر﴾.

والقول الثالث – وهو أولى الأقاويل– أن المراد منه، أنه على إحيائه بعد الإماتة لقادر، ذكره الفراء والزجاج وغيرهما.

---

(١) فى «الأصل، ك»: الذى زحل معنى الثاقب!

(٢) الحاقة: ٢١.

(٣) فى «ك»: الشيخوخة.

يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿يوم تبلى السرائر﴾ أى: تختبر وتمتحن، وقيل: تظهر، وهو الأولى. وفى التفسير: أنه يظهر سر كل إنسان ،ويبدو أثره على وجهه، فتبيض بعض الوجوه، وتسود بعض الوجوه.

وقوله: ﴿فما له من قوة ولا ناصر﴾ أى: قوة يتقوى بها، وناصر ينصره، فيدفع به العذاب عن نفسه.

وقوله تعالى: ﴿والسماء ذات الرجع﴾ أى: المطر، وهو القول المعروف، وسمى المطر رجعًا؛ لأنه يرجع مرة بعد أخرى.

والقول الثانى : أنه الشمس والقمر والنجوم، وسميت رجعًا؛ لأنها تطلع وتغيب، وترجع من المغرب إلى المشرق.

وقوله: ﴿والأرض ذات الصدع﴾ أى: النبات، وهو قول الجميع، وسمى صدعًا؛ لأن الأرض تنصدع به.

وقوله: ﴿إنه لقول فصل﴾ أى: ذو فصل، وهو الفصل بين الحق والباطل.

وقوله: ﴿وما هو بالهزل﴾ أى: باللعب والعبث، والمعنى: أنه قول جد.

قوله تعالى: ﴿إنهم يكيدون كيدًا﴾ أى: يمكرون مكرًا، والكيد فى اللغة هو صُنع يصل به إلى الشىء على الخفية والاستتار.

﴿وأكيد كيداً﴾ الكيد من الله هو الاستدراج من حيث لا يعلمون الكفار، والاستدراج هو الأخذ قليلا قليلا، وقيل: هو الأخذ من حيث يخفى عليهم، وقيل: ﴿وأكيد كيداً﴾ أى: أعاقبهم عقوبة كيدهم.

وقوله: ﴿فمهل الكافرين﴾ أى: أمهل الكافرين، وهذا قبل آية السيف.

فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

وقوله: ﴿أمهلهم رويداً﴾ أى: أمهلهم قليلا، والعرب تقول: رويدك يا فلان أى: كن على أودة ورفق، وأما هاهنا فهو بمعنى القليل على ما بينا. وقد أخذهم يوم بدر بالسيف، وسيأخذهم بعذاب الآخرة عن قريب.

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴿١﴾

تفسير سورة الأعلى

وهى مكية

وفى رواية الضحاك أنها مدنية، والأصح هو الأول، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ أى: عظم ربك الأعلى، وقيل: نزه، وتنزيه الله - عز اسمه - ألا يوصف بوصف لا يليق به. وروى أبو صالح، عن ابن عباس أن معناه: صل بأمر ربك، وقيل: صل لربك المتعالى. وفى الآية دليل أن الاسم والمسمى واحد؛ لأن المعنى سبح اسم ربك الأعلى وفى قراءة أُبَى: «سبحان ربك الأعلى».

وقال الشاعر:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

أى: ثم السلام عليكما. وروى إسرائيل، عن ثوير بن أبى فاختة، عن أبيه، عن على - رضى الله عنه - «أن النبى ﷺ كان يحب سورة سبح اسم ربك الأعلى»[1].

قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابى، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حمويه، أخبرنا إبراهيم بن خزيم الشاشى، أخبرنا عبد ابن حميد، أخبرنا وكيع، عن إسرائيل الخبر.

---

(١) رواه أحمد (١/٩٦)، والبزار (٣/٢٧-٢٨ رقم ٧٧٥، ٧٧٦)، وابن عدى فى الكامل (٢/١٠٦) من حديث ثوير به. وقال الهيثمى فى المجمع (٧/١٣٩): رواه أحمد وفيه ثوير، وهو متروك.

الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾

وفى حديث عائشة - رضى الله عنها - «أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى الركعة الأولى من الوتر ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾، وفى الثانية: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ وفى الثالثة: سورة الإخلاص والمعوذتين»(١).

وعن على وابن عباس وابن عمر أنهم كانوا إذا قرءوا سبح اسم ربك الأعلى قالوا: سبحان ربى الأعلى امتثالا للأمر. [والأولى](٢) أن يقول كذلك.

[و]من المعروف عن عقبة بن عامر أنه قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ قال النبى ﷺ: «اجعلوه فى سجودكم، ولما نزل قوله: «سبح اسم ربك العظيم» قال: اجعلوه فى ركوعكم»(٣).

وقوله: ﴿الذى خلق فسوى﴾ أى: خلقك وجعلك رجلا سويا. وهو فى معنى قوله: ﴿الذى خلقك فسواك﴾(٤) على ما بينا.

وقوله: ﴿والذى قدر فهدى﴾ قال السدى: قدر خلق الذكر والأنثى، وهدى أى:

---

(١) رواه أبو داود (٢/٦٣ رقم ١٤٢٤)، والترمذى (٢/٣٢٦- ٣٢٧ رقم ٤٦٣) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (١/٣٧١ رقم ١١٧٣)، وابن حبان (٦/١٨٨ رقم ٢٤٣٢)، والعقيلى (٤/٣٩٢)، والدارقطنى (٢/٣٥)، والطحاوى فى شرح معانى الآثار (١/٢٨٥)، والبيهقى (٣/٣٧، ٣٨) وفى الشعب (٥/٤٦٥ رقم ٢٢٩٦)، والبغوى فى تفسيره (٤/٤٧٧).

وفى الباب عن على بن أبى طالب، وأبى بن كعب، وابن مسعود، وابن عباس، وأبى أمامة وغيرهم، وانظر تفسير ابن كثير (٤/٤٩٩).

(٢) فى «الأصل وك»: الأول.

(٣) رواه أبو داود (١/٢٣٠ رقم ٨٦٩)، وابن ماجه (١/٢٨٧ رقم ٨٨٧)، وأحمد (٤/١٥٥)، والطيالسى (١٣٥ رقم ١٠٠٠)، والدارمى (١/٣٤١ رقم ١٣٥)، وابن خزيمة (١/٣٠٣ رقم ٦٠٠، ٦٠١، ٦٧٠)، وابن حبان (٥/٢٢٥ رقم ١٨٩٨)، والطبرانى فى الكبير (١٧/ رقم ٨٨٩ - ٨٩١)، والحاكم (١/٢٢٥) وصححه وتعقبه الذهبى بأن فى إسناده إياس - يعنى ابن عامر - وليس بالمعروف، والبيهقى (٢/٨٦).

(٤) الانفطار: ٧.

وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾

هدى الذكر إلى الأنثى. وقيل: قدر خلق كل شيء، وهداه إلى ما يصلحه، وهذا فى الحيوانات. وقيل: هداه إلى رزقه، كالطفل يهتدى إلى الثدى، ويفتح فاه حين يولد طلبا للثدى، والفرخ يطلب الرزق من أمه وأبيه، وكذلك كل شيء. وقال مجاهد: هدى الإنسان لسبيل الخير ،والشر والسعادة والشقاوة. ويقال: فى الآية حذف، والمعنى: وهدى وأضل.

وقوله: ﴿والذى أخرج المرعى﴾ أى: مرعى للأنعام. قال الشاعر:

وقد ينبت المرعى على دِمنِ الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وقوله: ﴿فجعله غثاء أحوى﴾ فى الآية تقديم وتأخير، والمعنى: أخرج المرعى أحوى.

﴿فجعله غثاء﴾ أى: يابسًا. والغثاء هو ما حمله السيل من النبات اليابس والحشيش، والطفاط ما ألقاه القدر من الزبد، والأحوى الأسود، والحوة (السواد)[1]. وإنما سماه أحوى؛ لأن كل أخضر يضرب إلى السواد إذا اشتدت خضرته.

قال ذو الرمة:

لميـــاء فى شفتيها حـوة لعس وفى اللثات وفى أنيابها شنب

ويقال: أخرج المرعى أخضر، ثم جعله أحوى، ثم جعله غثاء.

قوله: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ ذكر [ابن][2] أبى نجيح بروايته عن ابن عباس أن النبى ﷺ: «كان إذا قرأ عليه جبريل سورة من القرآن فيحرك شفتيه بقراءتها مخافة أن

(١) فى «ك»: السواد.

(٢) سقط من «الأصل وك».

إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾

يتفلت منه، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾»[١] . والمعنى: أنك كفيت النسيان، (فلم ينس)[٢] بعد ذلك.

وقوله: ﴿ إلا ما شاء الله ﴾ يعني: إلا ما شاء الله أن ينساه، والمراد منه نسخ التلاوة، وقيل: النسيان هاهنا بمعنى الترك، أي: لا يترك إلا ما شاء الله أن يترك بالنسخ. وعن بعضهم: أن قوله: ﴿ إلا ما شاء الله ﴾ ذكر مشيئته على التعليم حتى يقرن لفظ المشيئة بجميع أقواله مثل قوله: ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله [آمنين][٣] ﴾[٤] قد قال: ﴿ إلا ما شاء الله ﴾ يعني: أن تنسى، ولم يشأ. مثل قوله تعالى: ﴿ خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ﴾[٥] ولم يشأ، ذكره ابن فارس.

وقوله: ﴿ إنه يعلم الجهر وما يخفى ﴾ أي: السر والعلن، ويقال: ما في القلب، وما على اللسان.

وقوله: ﴿ ونيسرك لليسرى ﴾ اليسرى فُعْلَى من اليسر، ومعناه: للأيسر من الأمور.

وقوله: ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ﴾ فإن قال قائل: كيف قال: إن نفعت الذكرى، وهو مأمور بالتذكير على العموم نفعت أو لم تنفع؟

والجواب من وجهين: أحدهما: أن معنى قوله: ﴿ إن نفعت الذكرى ﴾ إذ نفعت الذكرى، مثل قوله تعالى: ﴿ وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾[٦] ومعناه: إذ كنتم مؤمنين.

---

(١) رواه الطبراني (١٢/ ١٢٠ رقم ١٢٦٤٩)، وابن مردويه - كما في الدر (٦ /٣٧٨)- عن ابن عباس مرفوعا بنحوه، وأعله الهيثمي في المجمع (٧/ ١٣٩) بأن في إسناده جويبر وهو ضعيف. وأصل الحديث في الصحيحين، وقد تقدم تفسير سورة القيامة.

(٢) في «ك» : فلا تنس.

(٣) في «الأصل» : تعالى، والمثبت من «ك».

(٤) سورة الفتح : ٢٧ .

(٥) هود : ١٠٧، ١٠٨ .

(٦) آل عمران : ١٧٥ .

سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ

والوجه الثانى: ذكر بكل حال، فقد نفعت الذكرى، فهو تعليق بمتحقق والمعنى: إن نفعت، وقد نفعت.

قوله تعالى: ﴿سيذكر من يخشى﴾ يقال: نزل هذا فى عبد الله بن أم مكتوم. وقيل: هو على العموم والمعنى: من يخشى الله.

وقوله: ﴿ويتجنبها الأشقى الذى يصلى النار الكبرى﴾ يقال: هو الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة.

وقوله: ﴿يصلى النار الكبرى﴾ أى: يدخل النار الكبرى. قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: هو الطبق الأسفل من جهنم.

وقوله: ﴿ثم لا يموت فيها ولا يحيى﴾ أى: لا يموت فيستريح، ولا يحيا حياة فيها راحة، ويقال: لا يموت، ولا يجد (روح الحياة)(١).

قوله تعالى: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ أى: تطهر بالعمل الصالح، ويقال: فلان تزكى بقول لا إله إلا الله.

وقال سعيد بن جبير: آمن ووحد ربه. وعن عطاء: أى أعطى زكاة ماله.[و] قال ابن مسعود من لم يزك لم تقبل الصلاة منه. وعن ابن عمر: أنها صدقة الفطر. وهو قول عمر بن عبد العزيز. وكان ابن عمر يقول لنافع حين يصبح يوم العيد: أخرجت زكاة الفطر؟ فإن قال: نعم، توجه إلى الصلاة، وإن قال: لا، يأمره بالإخراج، ثم يتوجه، وهذا على القول الذى قلنا أن السورة مدنية، فأما إذا قلنا: مكية، وهو الأصح، فلا يرد هذا القول؛ لأن صدقة الفطر لم تكن واجبة بمكة، وإنما وجبت بالمدينة، وكذلك صلاة العيد، إنما صليت بالمدينة.

وقوله: ﴿وذكر اسم ربه فصلى﴾ أى: ذكر ربه فصلى، ويقال: الذكر هو التكبير،

(١) فى «ك»: راحة.

﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

والصلاة هى الصلاة المعروفة، وقيل: صلاة العيد.

قوله تعالى: ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا ﴾ أى: تختارون. قال ابن مسعود: عجلت لهم الدنيا، وغيبت عنهم الآخرة، فاختاروا الدنيا على الآخرة، ولو عاينوا الآخرة ما اختاروا عليها شيئًا. وروى أبو موسى الأشعرى عن النبى ﷺ أنه قال: «من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى»(١).

وقوله: ﴿ والآخرة خير وأبقى ﴾ أى: أدوم [وأبقى](٢).

وقوله: ﴿ إن هذا لفى الصحف الأولى ﴾ أى: ما ذكره الله فى هذه السورة، وقيل: من قوله - تعالى -: ﴿ قد أفلح من تزكى ﴾ إلى قوله: ﴿ وأبقى ﴾ قال قتادة: فى جميع كتب الأولين أن الآخرة خير وأبقى.

وقوله: ﴿ صحف إبراهيم وموسى ﴾ أى: الكتب التى أنزلها الله تعالى على إبراهيم وموسى، وقد أنزل على إبراهيم صحفًا، وأنزل على موسى التوراة، فهى المراد بالآية، والله أعلم.

---

(١) رواه أحمد (٤ / ٤١٢)، وابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا (رقم ٨)، وابن أبى عاصم فى الزهد (رقم ٤٥١)، وابن حبان (٢ / ٤٨٦ رقم ٧٠٩)، والحاكم (٤ / ٣٠٨، ٣١٩) وصححه وأعل الذهبى الموضع الأول بالانقطاع، والبيهقى (٣ / ٣٧٠)، وفى الزهد (رقم ٤٥١)، وفى الآداب (رقم ٩٩٣)، والقضاعى فى مسند الشهاب (١ / ٢٥٨-٢٥٩ رقم ٤١٨) عن أبى موسى به، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠ / ٢٥٢): رواه أحمد والبزار والطبرانى ورجالهم ثقات.

(٢) من « ك ».

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾

تفسير سورة الغاشية

وهى مكية بالإجماع

قوله تعالى: ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ أى: القيامة، وسميت غاشية؛ لأنها تغشى كل شىء بالأهوال، ويقال: تغشى كل كافر وفاجر بالعذاب، والغاشية هى المجللة، ومعنى هل أتاك: قد أتاك.

وقوله: ﴿وجوه يومئذ خاشعة﴾ أى: ذليلة لما ترى من سوء العاقبة، والمعنى: ركبها الذل.

وقوله: ﴿عاملة ناصبة﴾ أى: عملت فى الدنيا لغير الله، فنصبت وتعبت فى الآخرة بعذاب الله. وعن السدى وجماعة: أنهم الرهبان وأصحاب الصوامع من النصارى واليهود. وقد روى عن عمر أنه لما قدم الشام فمر بصومعة راهب فناداه، فاطلع عليه، وقد تنحل من الجوع والضر والعبادة، وعليه برنس، فبكى عمر - رضى الله عنه - فقالوا: يا أمير المؤمنين، ومايبكيك؟! فقال: مسكين طلب أمرًا، ولم يصل إليه، وسلك طريقًا وأخطأه، ثم قرأ قوله: ﴿عاملة ناصبة﴾ الآية.

وقوله: ﴿تصلى نارًا حامية﴾ أى: تقاسى حرها.

وقوله ﴿تسقى من عين آنية﴾ أى: انتهت فى الحر.

قال الحسن البصرى: أوقدت عليها جهنم منذ خلقت، فدفعوا إليها وردًا، أى: عطاشًا.

تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ

قال النابغة:

ويخضب نحبة (غدرت)[1] وهانت بأحمر من جميع الجوف آنِ

وفى بعض التفاسير: أنهم إذا دنوا ذلك من وجوهم سلخت وجوههم، فإذا شربوا منها قطعت أمعاءهم.

وقوله: ﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع﴾ هو شجر يسمى بالحجاز: الشبرق، له شوك كثير، فإذا يبس يسمى الضريع. قال ابن قتيبة: الضريع شيء إذا وقعت عليها الإبل فأكلته هلكت هزلا. ويقال: الضريع هو الحجارة، وهو مروى عن سعيد بن جبير وغيره، وهو قول غريب. ويقال: نبت فيه سم.

وفى التفسير: أن أهل النار سلط الله عليهم الجوع حتى يعدل بما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بالضريع، ثم يستغيثون فيغاثون بطعام [ذى][2] غصة، ثم يذكرون أنهم كانوا فى الدنيا يدفعون الغصة بالماء، فيستغيثون فيتركون ألف سنة يستسقون ثم يسقون الحميم.

وقوله: ﴿لا يسمن ولا يغنى من جوع﴾ روى أن المشركين قالوا: إن إبلنا تسمن على الضريع، وقد كذبوا فى ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿لا يسمن ولا يغنى من جوع﴾.

قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾ أى: ذات نعمة.

وقوله: ﴿لسعيها راضية﴾ أى: مرضية.

وقوله: ﴿فى جنة عالية لاتسمع فيها لاغية﴾ أى: لغواً فاعلة بمعنى المصدر، وهو

---

(١) فى «ك»: عذرى.

(٢) فى «الأصل وك»: ذا.

﴿١٠﴾ لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلا

في معنى قوله: ﴿لاتسمع فيها لغواً ولا تأثيماً﴾(١).

وقوله: ﴿فيها عين جارية﴾ قد بينا من قبل.

وقوله: ﴿فيها سرر مرفوعة﴾ أى: مرتفعة عن أرض الجنة. ويقال في التفسير: السرر مرتفعة، عليها فرش محشوة، كل فرش كجنبذ(٢). وفيه أيضًا أنها تتطامن للمؤمن، فإذا صعد عليها ارتفعت.

وقوله: ﴿وأكواب موضوعة﴾ قد بينا معنى الأكواب، وهى الأباريق التى لاخراطيم لها.

وقوله: ﴿ونمارق مصفوفة﴾ أى: وسائد صف بعضها إلى بعض، قال الشاعر:

وإنا لنجرى الكأس بين شروبنا وبين أبى قابوس فوق النمارق

وقوله: ﴿وزرابى مبثوثة﴾ أى: بسط، واحدها زُرْبية.

وقوله: ﴿مبثوثة﴾ متفرقة، ومعنى المتفرقة: أنها قد فرقت فى المجالس، وفرشت المجالس بها.

وقوله تعالى: ﴿أفلا ينظرون﴾ فإن قيل: كيف يليق هذا بالأول؟

والجواب: أن النبى ﷺ لما ذكر لهم ما أوعده الله للكفار، ووعده للمؤمنين، استبعدوا ذلك غاية الاستبعاد.

وقالوا: لا نفهم حياة بعد الموت، ولاندرى وعداً ولاوعيداً، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وذكر لهم من الدلائل ماهى مجرى أبصارهم. قال أبو سليمان الخطابى - رضى الله عنهم - ذكر الله تعالى هذه الأربع وهى الإبل، والسماء، والأرض، والجبال، وخصها بالذكر من بين سائر الأشياء؛ لأن الأعرابى إذا ركب بعيره، وخرج إلى البرية،

(١) الواقعة: ٢٥.

(٢) الجنبذة: هو ما ارتفع من الشيء واستدار كالقبة، انظر لسان العرب (٣/١٨٢) مادة: جنبذ.

يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلاَّ مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ

فلا يرى إلا بعيره الذى هو راكبه، والسماء التى فوقه، والأرض التى تحته، والجبال التى هى نصب عينه.

وقوله: ﴿إلى الإبل كيف خلقت﴾ فى الإبل من أعجوبة الخلق ماليس فى غيرها؛ لأنها مع كبرها وعظمها تنقاد لكل واحد يقوده، وأيضا فإنها تبرك ويحمل عليه الحمل الثقيل، وتقوم من بروكها، ولايوجد هذا فى غيره، والطفل الصغير يقوده فينقاد، وينخه فيستنخ. وفى بعض الحكايات: أن فارة جرت بزمام بعير، ودخلت جحرها، فنزل البعير، وجَرَّت الفأرة الزمام، فوضع فاها على الجحر.

قوله تعالى: ﴿وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت﴾ أى: بسطت. وعن أبى عمرو بن العلاء: أن قوله: ﴿إلى الإبل كيف خلقت﴾ أنها السحاب، وهو قول شاذ، ويجوز أن يحمل هذا على هذا إذا شدد ومد. وقرئ فى الشاذ بالتشديد. وقال المبرد: قد قيل الإبل: القطع العظام من السحاب، يقال: فلان يوبل على فلان أى: يكبر عليه ويعظم.

قوله تعالى: ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾ فى التفسير: أنه عظة للمؤمن، وحجة على الكافر، ويقال: ذَكِّر أى: اذكر دلائل توحيد الله تعالى، وما أنعم عليه من النعمة.

وقوله: ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ أى: بمسلط، وقيل: إن هذا قبل آية السيف، فأما بعد نزولها فقد سلط عليهم.

وقوله: ﴿إلا من تولى وكفر﴾ استثناء منقطع كأنه قال: لكن من تولى وكفر ﴿فيعذبه الله العذاب الأكبر﴾.

وقوله: ﴿إن إلينا إيابهم﴾ أى: رجوعهم، يقال: آب يَئُوب إذا رجع، قال الشاعر:

وكل ذى غيبة يئوب ... وغائب الموت لايؤوب

الْعَذَابَ الأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

وقوله: ﴿ ثم إن علينا حسابهم ﴾ أى: فى القيامة.

فإن قيل: قال: ﴿ ليس لهم طعام إلا من ضريع ﴾، وقال فى موضع آخر: ﴿ فليس له اليوم هاهنا حميم ولاطعام إلا من غسلين ﴾(١) فكيف وجه الجمع بينهما؟

والجواب من وجوه: أحدها: أن الضريع والغسلين واحد.

والوجه الثانى: أن هذا لقوم، وذاك لقوم آخرين.

والوجه الثالث: أن الغسلين طعام لاينفع، ولايغنيهم من شىء، فوضع الضريع موضع ذلك؛ لأن الكل بمعنى واحد، ذكره النحاس، والله أعلم.

(١) الحاقة: ٣٥-٣٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾

تفسير سورة الفجر

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿والفجر﴾ روى أبو صالح عن ابن عباس: أنه فجر المحرم، وذلك أول يوم منه، وفى رواية أخرى عنه: أنه فجر يوم النحر، ويقال: هو الفجر فى كل الأيام.

وقوله: ﴿وليال عشر﴾ أكثر الأقاويل: أنها عشر ذى الحجة، وعن ابن عباس فى رواية: أنها العشر الأخير من رمضان، وعن مسروق: أنها العشر التى قال الله تعالى فى قصة موسى: ﴿وأتممناها بعشر﴾(١) وعن بعضهم: أنها العشر الأول من المحرم.

وقوله: ﴿والشفع والوتر﴾ روى عمران بن حصين عن النبى ﷺ: «(أنه)(٢) الصلاة، منها شفع، ومنها وتر» رواه أبو عيسى فى جامعه(٣).

والقول الثانى: أن الشفع هو يوم نحر، والوتر يوم عرفة، وروى بعضهم هذا مرفوعًا

(١) الأعراف: ١٤٢.

(٢) فى «ك»: أنها.

(٣) رواه الترمذى (٥/٤٠٩ رقم ٣٣٤٢) وقال: غريب، لا نعرفه إلا من حديث قتادة، وأحمد (٤/٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤٢)، وابن جرير (٣٠/١٠٩)، والطبراني (١٨/٢٣٢- ٢٣٣ رقم ٥٧٨، ٥٧٩)، والحاكم (٢/٥٢٢) وصححه. وزاد السيوطي فى الدر أيضا (٦/٣٨٦): عبد بن حميد، وابن أبى حاتم، وابن مردويه.

وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾

إلى النبى ﷺ (١) . وهو مروى عن ابن عباس أيضاً . وهو قول معروف . وعن ابن الزبير: أن الشفع هو قوله تعالى : ﴿ فمن تعجل فى يومين ﴾(٢) فاليومان الأولان من أيام الرمى شفع، واليوم الثالث وتر.

وروى هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم أن الشفع هو الزوج، والوتر هو الفرد. قال مجاهد : هو العدد كله، منه الشفع، ومنه الوتر، وهو قريب من قول إبراهيم . وعن عطاء قال : الشفع هو عشر ذى الحجة، والوتر أيام التشريق . وعن جماعة أنهم قالوا : الشفع هو الخلق، والوتر هو الله تعالى .

ويقال : الشفع هو آدم وحواء، والوتر هو الله . وقرئ : « والوتر » بالفتح، وقال أهل اللغة : بالفتح والكسر بمعنى واحد .

وقوله : ﴿ والليل إذا يسر ﴾ قال أبو العالية : إذا أقبل، وقال إبراهيم : إذا استوى، وعن بعضهم : « إذا يسر » يعنى : إذا يُسرى فيه، فيذهب بعضه فى إثر بعض، وقيل : يُسرى فيه . وقد أول بليلة جمع، وهى ليلة يوم النحر.

وقوله : ﴿ هل فى ذلك قسم لذى حجر ﴾ أى : لذى عقل .

وقال الفراء : « لذى حجر » أى : لمن كان ضابطًا لنفسه قاهرًا لهواه . ويقال : « لذى حجر » أى : لذى حكم، والحَجْر فى اللغة : هو المنع، والحِجْر مأخوذ منه، وسمى

---

(١) رواه النسائى فى الكبرى (٦ / ٥١٤ رقم ١١٦٧٢، ١١٦٧٣)، وأحمد (٣ / ٣٢٧)، وابن جرير الطبرى (٣٠ / ١٠٨)، والحاكم (٤ / ٢٢٠) وصححه على شرط مسلم، جميعهم عن جابر به.

وقال الهيثمى فى المجمع (٧ / ١٤٠) : رواه البزار وأحمد ورجالهما رجال الصحيح غير عياش بن عقبة وهو ثقة.

وقال ابن كثير (٤ / ٥٠٥) : وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم، وعندى أن المتن فى رفعه نكارة، والله أعلم.

(٢) البقرة : ٢٠٣ .

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾

العقل حِجرًا؛ لأنه يمنع الإنسان من القبائح، وهذا لتأكيد القسم، وليس بمقسم عليه.

قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم﴾ هو أبو عاد؛ لأنهم قالوا: هو عاد ابن إرم بن عوص بن سام بن نوح، ومنهم من قال: هو اسم بلدة، ولهذا لم يصرف، فإن قلنا: هو اسم رجل، فلم نصرفه؛ لأنهاسم أعجمى.

وعن مالك بن أنس: أن إرم كورة دمشق.

وعن محمد بن كعب القرظى: أنه الإسكندرية.

وقوله: ﴿ذات العماد﴾ أى: ذات البناء الرفيع، هذا إذا قلنا: إن إرم اسم بلدة.

والقول الثانى: أن قوله: ﴿ذات العماد﴾ أى: ذات الأجسام الطوال. يقال: رجل معمد إذا كان طويلا، فعلى هذا عاد اسم القبيلة، فقوله: ﴿ذات العماد﴾ منصرف إلى القبيلة. وفى القصة: أن طول الطويل منهم كان خمسمائة ذراع، والقصير ثلثمائة. وعن أبى هريرة قال: كان الواحد منهم يتخذ المصراع من الحجر، فلا ينقله خمسمائة نفر منكم، وقال مجاهد: ذات عماد أى: ذات عمود، والمعنى: أنهم أهل خيام لايقيمون فى موضع واحد، بل ينتجعون لطلب الكلأ أى: ينتقلون من موضع إلى موضع، وقال الضحاك: ذات العماد أى: ذات القوة، مأخوذ من قوة الأعمدة. وفى القصة: أن عاج بن عوج كان منهم. وذكر النقاش: أن طول موسى كان سبعة أذرع، وعصاه سبعة أذرع، ووثب سبعة أذرع، فأصاب كعب عاج بن عوج فقتله.

وفيما نقل فيه أيضًا فى القصص: أن ضلعًا من أضلاعه جسر أهل مصر كذا كذا سنه أى: كان جسرًا لهم وهو على النيل، وفى التفسير: أن عادًا اثنان: عادًا الأولى، وعادًا الأخرى، فعاد الأولى عاد إرم، وعاد الثانية هو عاد المعروفة، وهو الذى أرسل إليهم هود النبى عليه السلام. قال ابن قيس الرُّقَيات:

الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

مجداً تليداً بناه أوله — أدرك عاداً وقبله إرما

وقوله: ﴿ التى لم يخلق مثلها فى البلاد ﴾ أى: لم يخلق مثل (أجسامهم)[1] فى البلاد. وفى رواية أبى بن كعب وابن مسعود: «الذين لم يخلق مثلهم فى البلاد».

وقوله: ﴿ وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ﴾ قطعوا ونقبوا، وهو فى معنى قوله تعالى: ﴿ وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين ﴾[2].

وقوله: ﴿ وفرعون ذى الأوتاد ﴾ يقال: كان له أربعة أوتاد، فإذا غضب على إنسان وعذبه زند يديه ورجليه على الأرض بتلك الأوتاد. فى القصة: أنه عذب امرأته آسية[3] بمثل هذا العذاب، ووضع على صدرها صخرة حتى ماتت، وعن بعضهم: أنه كان له أربع أساطين، يشد الرجل بيديه ورجليه بها.

وقيل: ذى الأوتاد أى: ذى الملك الشديد، قال الشاعر:

فى ظل ملك ثابت الأوتاد

وقوله: ﴿ الذين طغوا فى البلاد ﴾ أى: جاوزوا الحد بالمعاصى، ويقال: تمادوا فيها.

وقوله: ﴿ فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ﴾ أى: عذبهم، وقيل: إنه جعل عذابهم موضع السوط فى العقوبات، وعن بعضهم: أنهم كانوا يعدون الضرب بالسياط إلى أن يموت أشد العذاب، فذكر العذاب بذكر السوط هاهنا، على معنى أنه بلغ النهاية فى عذابهم.

وقوله: ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ أى: إليه مرجع الخلق ومصيرهم، والمعنى: أنه

---

(١) فى «ك»: أجسادهم.

(٢) الحجر: ٨٢.

(٣) فى «الأصل»: آيسية، وما أثبتناه من «ك».

فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾

لايفوت منه أحد، وعن الحسن: أنه بمرصاد أعمال العباد، وعن ابن عباس أن قوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ أى: يسمع ويرى، وعنه أيضا: أن على جهنم سبع قناطر، فيسأل على القنطرة الأولى عن الإيمان، وعلى الثانية عن الصلاة، وعلى الثالثة عن الزكاة، وعلى الرابعة عن صيام رمضان، وعلى الخامسة عن الحج والعمرة، وعلى السادسة عن صلة الرحم، وعلى السابعة عن المظالم.

وقوله: ﴿إن ربك لبا لمرصاد﴾ وقع القسم.

قوله تعالى: ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن﴾ نزلت الآية فى أمية بن خلف الجمحى، ويقال: هذا على العموم.

وقوله: ﴿فيقول ربى أكرمن﴾ أى: أنا كريم عليه حيث أعطانى هذه النعم.

وقوله: ﴿وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه﴾ أى: ضيق عليه.[وقوله](١) ﴿فيقول ربى أهانن﴾ أى: فعل مافعل بى لهوانى عليه، والمعنى: أنهم زعموا أن الله يكرم بالغنى، ويهين بالفقر.

وقوله: ﴿كلا﴾ رد لما قالوا، يعنى: أن الله لايكرم بالغنى، ولايهين بالفقر، وإنما يكرم بالطاعة، ويهين بالمعصية، وعن كعب الأحبار قال: إني لأجد فى بعض الكتب أن الله تعالى يقول: لولا أنه يحزن عبدى المؤمن، لكللت رأس الكافر بالأكاليل، فلا يصدع، ولا ينبض منه عرق بوجع.

وقوله: ﴿بل لاتكرمون اليتيم﴾ ذكر مايفعله الكفار، واستحقوا به العذاب فى قوله: ﴿لاتكرمون اليتيم﴾ فيه قولان: أحدهما: هو أكل مالهم أى: اليتامى.

والقول الثانى: أنه ترك الإحسان إليهم.

وقوله: ﴿ولايحضون على طعام المسكين﴾ أى: لايحثون، وقرئ: «ولاتحاضون

---

(١) من «ك».

﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾

على طعام المسكين» أى: لايحض بعضهم بعضاً.

وقوله: ﴿وتأكلون التراث أكلالـمًا﴾ التراث والوراث بمعنى واحد، وهو الميراث.

وقوله: ﴿أكلا لـمًّا﴾ أى: بخلط الحلال بالحرام. وقال مجاهد: ﴿لـمًّا﴾ أى: سفًّا، فيجمع البعض إلى البعض ويسف سفا.

وقوله: ﴿وتحبون المال حبا جما﴾ أى: كثيراً، وقرئ بالتاء والياء، فمن قرأ بالياء فعلى الخبر، ومن قرأ بالتاء فهو على الخطاب.

قوله تعالى: ﴿كلا إذا دكت الأرض دكا دكا﴾ أى: فتت ودقت.

وقوله: ﴿وجاء ربك﴾ وهو من المتشابه الذى يؤمن به ولايفسر، وقد أول بعضهم: وجاء أمر ربك، والصحيح ماذكرنا.

وقوله: ﴿والملك صفا صفا﴾ أى: صفوفاً.

وقوله: ﴿وجىء يومئذٍ بجهنم﴾ وفى بعض الأخبار عن النبىﷺ: «أنه يجاء بجهنم مزمومة بسبعين ألف زمام، ويقودها الملائكة، فتقام على سائر العرش فحينئذٍ يجثوا الأنبياء على ركبهم، ويقول كل واحد: نفسى، نفسى». والخبر غريب، وهو معروف عن غير الرسول.

قوله: ﴿يومئذٍ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى﴾ أى: يتعظ، وأنى له الاتعاظ، أى: نفع الاتعاظ.

وقوله: ﴿يقول ياليتنى قدمت لحياتى﴾ أى: لآخرتى، وهو فى معنى قوله: ﴿وإن الدار الآخرة لهى الحيوان﴾(١) أى: الحياة الدائمة، والمعنى هاهنا: لحياتى فى الآخرة.

وقوله: ﴿فيومئذٍ لايعذب عذابه أحد ولايوثق وثاقه أحد﴾ بالكسر، وهو الأشهر

(١) العنكبوت: ٦٤.

فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾

من القراءتين، ومعناه: لايعذب أحد فى الدنيا بمثل مايعذبه الله فى الآخرة، ولايوثق أحد فى الدنيا مثل ما يوثقه الله فى الآخرة، وقرئ: «فيومئذٍ لايُعَذَّب عذابه أحد» بفتح الذال، ومعناه: لايعذب أحد مثل عذاب هذا الكافر، أو لايعذب أحد مثل عذاب هذا الصنف من الكفار، وكذلك قوله: ﴿يوثَق﴾ بفتح الثاء.

قوله تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ أى: المؤمنة الساكنة، ويقال: المطمئنة إلى وعد ربها، وقيل: إن المراد بالنفس هو الروح هاهنا، ويقال: هو جملة الإنسان إذا كان مؤمناً.

وقوله: ﴿ارجعى إلى ربك راضية مرضية﴾ أى: رضيت عن الله، وأرضاها الله تعالى عن نفسه. وفى بعض الآثار: أن ملكين يأتيان المؤمن عند قبض روحه، فيقولان: أخرج أيها الروح إلى روح وريحان، ورب غير غضبان.

وقوله: ﴿فادخلى فى عبادى﴾ أى: مع عبادى.

﴿وادخلى جنتى﴾ وهذا القول يوم القيامة.

وقرئ فى الشاذ: «فادخلى فى عبدى» أى: يقال للنفس – أى: الروح – ادخلى فى عبدى أى: فى جسده، وادخلى فى جنتى، وذلك عند البعث. وعن عكرمة: أنه لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر: إن هذا لخير كثير، فقال النبى ﷺ: «أما إن الملك سيقولها لك»(١). وعن (أبى بريدة)(٢): أن الآية نزلت فى حمزة بن عبد المطلب.

(١) رواه ابن أبى حاتم – كما فى تفسير ابن كثير (٤ / ٥١٠) – وابن مردويه (الدر٦ / ٣٩٠) كلاهما عن ابن عباس مرفوعا به.

وروى عن سعيد بن جبير مرسلا، رواه عبد بن حميد، وابن جرير – (٣٠ / ١٢٢) – وابن أبى حاتم، وابن مردويه، وأبو نعيم فى الحلية – كما فى الدر (٦ / ٣٩٠) – وقال ابن كثير فى تفسيره: وهذا مرسل حسن.

(٢) كذا! والصواب: بريدة، وهو ابن الحصيب الأسلمى الصحابى الجليل، وعزاه السيوطى فى الدر لابن المنذر وابن أبى حاتم عن بريدة قوله. الدر (٦ / ٣٩١).

وعن بعضهم: أنها نزلت فى خُبَيْبٍ بن عدى، وهو الذى أسر وصلب بمكة، وهو أول من سن الصلاة ركعتين عند الصلب، وهو القائل:

فلست أبالى حين أقتل مسلماً ... على أى جنب كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذاتِ الإلـه وإن يشأ ... (يبارك فى شلو الأديم الممزع)[1]

وعن عامر بن قيس: أنه وفد على عثمان – رضى الله عنه – فجلس على بابه، فخرج عليه عثمان فرأى أعرابيًّا فى بَتٍّ، فلم يعرفه، فقال: أين ربك يا أعرابى؟ قال: بالمرصاد. فافحم عثمان، وهذا على قوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ والله أعلم.

(١) كذا.

بسم الله الرحمن الرحيم

لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾

تفسير سورة البلد

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾ معناه: أقسم، و «لا» صلة. قال الفراء: وهو على مذهب كلام العرب، يقولون: لاو الله لا أفعل كذا. أى: والله، وكذلك لا والله لأفعلن كذا، أى: والله، فيجوز أن تكون «لا» صلة، ويجوز أن يكون ردا لقول سابق، وابتداء القسم من قوله والله، فكذلك قوله: ﴿ لاأقسم ﴾ يجوز أن يكون «لا» صلة، ويجوز أن يكون ردا لزعمهم من إنكار البعث أو إنكار نبوة الرسول ﷺ، والقسم من قوله: ﴿ أقسم ﴾ وقال الفراء: هذا الثانى أولى.

وقوله: ﴿ بهذا البلد ﴾ هو مكة فى قول الجميع، ذكره مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم.

وقوله ﴿ وأنت حل بهذا البلد ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أى: حلال لك أن تقاتل فى هذا البلد، ولم يحل لأحد قبلك، وقد ثبت أن النبى ﷺ قال: «إن مكة حرام، حرمها الله يوم خلق السموات والأرض، لم تحل لأحد قبلى، ولاتحل لأحد بعدى، وإنما أحلت لى ساعة من نهار»(١).

والقول الثانى: أن قوله: ﴿ وأنت حل بهذا البلد ﴾ أى: استحلوا منك ما حرمه الله من الأذى، وإيصال المكروه إليك مع اعتقادهم حرمة الحرم، ذكره القفال.

والقول الثالث: ﴿ وأنت حل بهذا البلد ﴾ أى: نازل بهذا البلد، وهو إشارة إلى زيادة حرمة وشرف للبلد لمكان النبى ﷺ فيه.

---

(١) تقدم تخريجه.

ووالد وما ولد ﴿٣﴾

وقوله: ﴿ووالد وما ولد﴾ قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وأبو صالح معناه: آدم وولده، وعن أبي عمران [الجوني](١): هو إبراهيم وولده. وروى عكرمة عن ابن عباس أن قوله: ﴿ووالد وماولد﴾ هو الوالد والعاقر، معنى الذى يلد، والذى لايلد، فتكون ما للنفى.

وقوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان فى كبد﴾ على هذا وقع القسم، (ومعنى القسم)(٢) ومعنى الكبد: الشدة.

وروى شريك، عن عاصم، عن زر عن، على فى قوله: ﴿ووالد وماولد﴾ آدم وذريته، على ما ذكرنا. قال رضى الله عنه: أخبرنا بذلك أبو محمد الصريفينى، أخبرنا أبو القاسم بن حبابة، أخبرنا أبو القاسم البغوى، أخبرنا على بن الجعد، عن شريك ... الأثر.

وأما الكبد بينا أنه الشدة. وروى على بن الجعد، عن على بن على الرفاعى، عن الحسن البصرى قال: ليس أحد يكابد من الشدة ما يكابده الإنسان. وقال سعيد: «خلقنا الإنسان فى كبد» أى: فى مضائق الدنيا وشدائد الآخرة. قال رضى الله عنه: أخبرنا بما ذكرنا عن الحسن: الصريفينى، عن [ابن](٣) حبابة، عن البغوى، عن على ابن الجعد. وقيل فى تفسير الكبد: هو أنه يكابد ضيق الرحم، وعسر الخروج من بطن الأم، ثم يكون فى الرباط والقماط، ثم نبات الأسنان، ثم الختان، ثم إذا بلغ التكليفات والأوامر والنواهى، ثم يكابد أمر معيشته، والأحوال المنقلبة عليه إلى أن

---

(١) فى «الأصل وك»: الجزي، وهو تحريف، وهو أبو عمران الجونى عبد الملك بن حبيب من رجال التهذيب، وقد أخرج هذا الأثر عنه ابن جرير وابن أبى حاتم، كما فى الدر المنثور (٦/٣٩٣).

(٢) كذا! ولعلها وأظنها مقحمة من الناسخ.

(٣) فى «الأصل وك»: عن أبى، والصواب ما أثبتناه، وهو أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن إسحاق بن سليمان بن حبابة البغدادى البزاز، وهو يتكرر فى إسناد المصنف كثيراً كما فى الإسناد السابق. وانظر ترجمته فى السير (١٦/٥٤٨).

لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾

يموت، ثم بعد ذلك مايعود إلى أهوال القبر وأهوال القيامة، إلى أن يستقر فى إحدى المنزلتين.

وقال لبيد فى الكبد:

ياعين هلابكيت أربد إذ قمنا وقام الخصوم فى كبد

أى: فى شدة.

وقال إبراهيم ومجاهد وعبد الله بن شداد: فى كبد أى: فى انتصاب، والمعنى: أنه خلق منتصبًا فى بطن أمه، غير منكب على وجهه بخلاف سائر الحيوانات. وفى تفسير النقاش: أن الله تعالى وكل ملكًا بالولد فى بطن الأم، فإذا قامت المرأة، أو اضطجعت رفع رأس الولد؛ لئلا يغرق فى الدم.

قوله تعالى: ﴿أيحسب الإنسان أن لن يقدر عليه أحد﴾ نزلت الآية فى [أبى](1) الأشدين، فكان رجلا من بنى جمح من أقوى قريش وأشدهم، وكان يبسط له الأديم العكاظى، فيقوم عليه، ويجتمع القوم على الأديم، فيجذبونه من تحت قدمه فينقطع ولاتزول قدمه، وكان شديداً فى عداوة النبى ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية فيه. ومعناه: أيظن أن لن يقدر عليه الله، وقال ذلك لأنه كان مغتراً بقوته وشدته.

وقوله: ﴿يقول أهلكت مالا لبدا﴾ أى: أنفقت مالا كثيراً فى عداوة محمد، و«لبداً» أى: بعضه على بعض. قال الكلبى: وكان يكذب فى ذلك، فقال الله تعالى: ﴿أيحسب أن لم يره أحد﴾ أيحسب أن الله لم ير ما أنفقه، ويقال: أيحسب أن لم يطلع الله على فعله فيكذب، ولايعلم الله كذبه.

قال معمر: قرئت هذه الآية عند قتادة، فقال: أيحسب أن لن يسأله الله تعالى من أين جمعه، وأين أنفقه؟. وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «يؤتى بالعبد يوم

(1) فى «الأصل وك»: ابن، والمثبت من تفسير ابن جرير الطبرى (٣٠/١٢٦)، وسماه فى الكشاف: أبو الأشد.

أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾

القيامة، فيقال له: ماذا عملت بمالك؟ فيقول: أنفقت، وزكيت طلبًا لرضاك، فيقول: كذبت إنما أنفقت وأعطيت، ليقال: فلان سخى، وقد قيل ذلك، فجروه إلى النار»(١). والخبر طويل صحيح خرجه مسلم.

ومن المعروف أن النبى ﷺ قال: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربعة: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين كسبه وأين وضعه؟»(٢).

قوله تعالى: ﴿ألم نجعل له عينين﴾ قال أهل التفسير: ثم إن الله تعالى ذكر نعمه عليه وعظيم قدرته، ليعرف أن الله تعالى قادر على إعادته يوم القيامة خلقًا جديداً، وأنه مسئول عما يفعل.

وقوله: ﴿ولسانا وشفتين﴾ ظاهر المعنى.

وقوله: ﴿وهديناه النجدين﴾ قال ابن مسعود: سبيل الخير وسبيل الشر. وروى عكرمة عن ابن عباس أن قوله: ﴿وهديناه النجدين﴾ أى: اليدين. والقول الأول أشهر، وهو قول أكثر المفسرين. وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إنما هما نجدان، نجد خير، ونجد شر، فلا تجعل نجد الشر أحب السبيل من نجد الخير»(٣).

---

(١) رواه مسلم (١٣/٧٥-٧٦ رقم ١٩٠٥)، والترمذى (٤/٥١٠-٥١٢ رقم ٢٣٨٢) وقال: حسن غريب، والنسائى (٦/٢٣-٢٤ رقم ٣١٣٧)، وابن حبان (٢/١٣٥-١٣٦ رقم ٤٠٨)، والبيهقى فى السنن (٩/١٦٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير (٨/٢٦١-٢٦٢ رقم ٨٠٢٠)، والقضاعى فى مسند الشهاب (٢/٢٣٥-٢٣٦ رقم ١٢٦٣) عن أبى أمامة مرفوعا به. وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٢٥٩): رواه الطبرانى من حديث فضال، عن أبى أمامة، وفضال ضعيف.

وفى الباب عن أنس، والحسن وقتادة كلاهما مرسلا، وانظر الدر (٦/٣٩٤).

فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾

وقوله: ﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾ أى: فهلا أنفق ماله الذى أنفقه فى عداوة محمد فى اقتحام العقبة، ويقال: ﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾ أى: لم يقتحم العقبة، ومعناه: لم يجاوزها، وقيل: إن العقبة جبل فى النار، ويقال: هبوط وصعود، مصعد سبعة آلاف سنة، ومهبط ألف سنة.

وقيل: مصعد ألف عام، وفيها غياض ممتلئة من الأفاعى والحيات والعقارب. قال الحسن البصرى فى العقبة: إنها مجاهدة النفس والهوى والشيطان. فعلى هذا ذكر العقبة تمثيل؛ لأن العقبة يشق صعودها، كذلك الإنسان يشق عليه مجاهدة النفس والشيطان.

وقوله: ﴿ وما أدراك ما العقبة ﴾ أى: فما أدراك (ما تجاوز بها)[1] العقبة، ثم فسَّر فقال: ﴿ فك رقبة ﴾ وفك الرقبة اعتاقها. وروى عقبة بن عامر: أن النبى ﷺ قال: «من أعتق رقبة، كانت فكاكه من النار»[2]. ومن المعروف أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال: «يا رسول الله، علمنى عملا يدخلنى الجنة، فقال: لئن أقصرت الخطبة فقد أعرضت فى المسألة، أعتق النسمة، وفك الرقبة، فقال: أوليسا واحداً يارسول؟ قال: لا، عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين فى ثمنها، وعليك بالفىء على ذى الرحم الظالم، فإن لم يكن ذلك، فأطعم الجائع، واسق الظمآن، وأْمُرْ بالمعروف، وانه

(١) فى «ك»: ما تجاوزها.

(٢) رواه أحمد (٤/١٤٧)، والطيالسى (١٣٦ رقم ١٠٠٩)، وأبو يعلى (٣/٢٩٦-٢٩٧ رقم ١٧٦٠)، والطبرانى فى الكبير (١٧/٣٣٢-٣٣٣ رقم ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠)، والحاكم (٢/٢١١) وصححه.
وقال الهيثمى فى المجمع (٤/٢٤٥): رواه أحمد، أبو يعلى والطبرانى، ورجاله رجال الصحيح خلا قيس الجذامى، ولم يضعفه أحد.
وقال المنذرى فى الترغيب (٣/٣٠): رواه أحمد بإسناد صحيح.

أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾

عن المنكر، فإن لم تطق ذلك، فكف لسانك إلا من خير»(١).

وورد – أيضًا – عن النبى ﷺ أنه قال: «من أعتق رقبة مسلمة، أعتق الله بكل عضوٍ منها عضواً منه من النار»(٢). والخبر صحيح.

وقرئ: «فكَّ رقبةً»، فمن قرأ بالرفع فمعناه: هى فك رقبة، ومن قرأ بالنصب فمعناه: لا يقتحم العقبة إلا من فكَّ رقبة.

وقوله ﴿أو إطعام فى يوم ذى مسغبة﴾ أى: إطعام مسكين فى يوم ذى جوع، والسغب: الجوع، والمسغبة: المجاعة.

قال الشاعر:

فلو كنت جاراً يابن قيس بن عاصم ... لما بت شبعانًا وجارك ساغب

أى: جائع.

وقوله تعالى: ﴿يتيماً ذا مقربة﴾ أى: ذا قرابة، واليتيم هو الذى لاوالد له، ويقال: هو الذى ليس له أبوان.

قال قيس بن الملوح:

إلى الله أشكو فقد ليلى كما شكا ... إلى الله فقد الوالدين يتيم

وقوله: ﴿أو مسكينًا ذا متربة﴾ أى: لصق بالتراب من الفقر. قال مجاهد: لايحول بينه وبين التراب شىء. وقيل: ذا متربة، أى: ذا زمانة، وقيل: ذا متربة أى: ليس له أحد من الناس.

---

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد (رقم ٦٩)، وأحمد (٤ / ٢٩٩)، والطيالسى (١٠٠ رقم ٧٣٩)، وابن حبان فى صحيحه (كما فى موارد الظمآن)، والدارقطنى (٢ / ١٣٥)، والحاكم (٢ / ٢١٧) وصححه، والبيهقى (١٠ / ٢٧٢ – ٢٧٣)، والبغوى فى تفسيره (٤ / ٢٩٠) عن البراء بن عازب مرفوعا به.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٥ / ١٧٤ رقم ٢٥١٧ وطرفه: ٦٧١٥)، ومسلم (١٠ / ٢١٢ – ٢١٣ رقم ١٥٠٩).

أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾

وقوله: ﴿ثم كان من الذين آمنوا﴾ يعني: يقتحم العقبة من فَعَلَ هذه الأشياء، فكان من الذين آمنوا. فإن قيل: كلمة «ثم» للتراخى باتفاق أهل اللغة، فكيف وجه المعنى فى الآية، وقد ذكر الإيمان متراخيًا عن هذه الأشياء؟

والجواب: قال النحاس: هو مشكل، وأحسن ماقيل فيه أن معناه: ثم أخبركم أنه كان من الذين آمنوا حين فعل هذه الأشياء، وقد قيل: إن «ثم» بمعنى الواو، وليس يصح.

وقوله: ﴿وتواصوا بالصبر﴾ أى: بالصبر عن معاصى الله، وقيل: بالصبر على طاعة الله، وقيل: بالصبر عن لذات الدنيا وشهواتها.

وقوله: ﴿وتواصوا بالمرحمة﴾ أى: مرحمة بعضهم على بعض، وتواصوا بالمرحمة هو وصية البعضِ البعضَ.

وقوله: ﴿أولئك أصحاب الميمنة﴾ أى: أصحاب اليمين، وهم الذين استخرجوا من شق آدم الأيمن، ويقال: الذين [يعطون][1] الكتاب بأيمانهم، وقيل: الميامين على أنفسهم.

وقوله: ﴿والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة﴾ أى: المشائيم على أنفسهم، ويقال: هم الذين يعطون الكتاب بشمالهم، وكذلك القول الأول.

وقوله: ﴿عليهم نار مؤصدة﴾ أى: مطبقة، يقال: وصدت الباب، وأصدته إذا أطبقته، ويقال: مؤصدة أى: مبهمة لاباب لها.

قال الشاعر:

قوم يصالح شدة أبنائهم ... وسلاسلا حلقًا وبابًا مؤصدًا

أى: مطبقًا.

---

(١) فى «الأصل وك»: يعطى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا

تفسير سورة والشمس

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿والشمس وضحاها﴾ أى: وضوئها، وقيل: هو النهار كله.

وقوله: ﴿والقمر إذا تلاها﴾ أى: تبعها، وهو قول مجاهد وقتادة وعامة المفسرين، وهو مروى أيضًا عن ابن عباس، ومعنى تبعها: يعنى أن الشمس إذا غربت يليها القمر فى الضوء، ويقال: هو فى الأيام البيض إذا غربت الشمس طلع القمر، وقيل: هو فى أول ليلة من الشهر، إذا غربت الشمس رئى الهلال، وعلى الجملة القمر أحد النيرين، وهو يتلو الشمس إذا استدار واستتمه فى إضاءة الدنيا.

وقوله: ﴿والنهار إذا جلاها﴾ فيه قولان: أحدهما: جلا الظلمة فكنى عن الظلمة من غير ذكرها، وهو كثير فى كلام العرب، والقول الآخر: جلاها أى: جلا الشمس؛ لأن النهار إذا ارتفع أضاءت الشمس وانبسطت.

وقوله: ﴿والليل إذا يغشاها﴾ يعنى: إذا يغشى الشمس أى: يستر ضوءها.

وقوله: ﴿والسماء وما بناها﴾ معناه: ومن بناها، وقيل: والذى بناها. وعن ابن الزبير أنه سمع صوت الرعد فقال: سبحان ما سبحت له، أى: الذى سبحت له، ويقال: وما بناها أى: وبنائها.

وقوله: ﴿والأرض وما طحاها﴾ أى: ومن بسطها، وقيل: الأرض وطحوها أى: وبسطها.

وقوله: ﴿ونفس وما سواها﴾ أى: ومن سواها، وقد بينا معنى التسوية، وقيل: هو

سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾

اعتدال القامة.

وقوله: ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ أى: عرفها وأعلمها، وقال مجاهد والضحاك وغيرهما: جعل فى قلبه فجورها وتقواها، وهو أولى من القول الأول؛ لأن الإلهام فى اللغة فوق التعريف والإعلام. وقال الزجاج: عدلها للفجور، ووفقها للتقوى ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ على هذا وقع القسم، والمعنى: قد أفلحت نفس زكاها الله.

وقوله: ﴿ وقد خاب من دساها ﴾ أى: وخاب نفس دساها الله، وقيل: أفلح من زكى نفسه وأصلحها، وخاب من أخمد نفسه ودسها، فعلى هذا قوله: ﴿ دساها ﴾ أى: دسيها.

يقول الشاعر:

يقضى البازى إذا البازى انكسر

أى: يقضض البازى. قال الفراء: العامل بالفجور خامل عند الناس غامض الشخص، منكسر الرأس، والمتقى عال مرتفع. وقال ثعلب: «من دساها» أى: أغواها، وعنه أنه قال: دساها أى: دس نفسه فى أهل الخير وليس منهم. قال الشاعر:

وأنت الذى دسيت عمرا فأصبحت حلائله منه أرامل ضُيَّعا

وقوله: «دساها» ها هنا: أهلكت، فعلى هذا معنى قوله: ﴿ وقد خاب من دساها ﴾ أى: أهلكها بالمعاصى.

وروى نافع بن عمر الجمحى، عن ابن أبى مليكة قال: قالت عائشة - رضى الله عنها - انتبهت ليلة فوجدت رسول الله ﷺ وهو يقول: «أعط نفس تقواها، وزكِّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»(١). قال رضى الله عنه: أخبرنا بذلك أبو

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده (٦/٢٠٩). وقال الهيثمى فى المجمع (٢/١٣١): رواه أحمد ورجاله ثقات. وقال أيضا (١٠/١١٣): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، غير صالح بن سعيد الراوى، عن عائشة وهو ثقة.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا

الغنائم عبد الصمد بن على العباسى، أخبرنا أبو القاسم عيسى بن على بن عيسى، أخبرنا البغوى، أخبرنا داود بن عمرو الضبى، عن نافع بن عمر . . . الحديث.

وقوله: ﴿ كذبت ثمود بطغواها ﴾ أى: بطغيانها، ويقال: بأجمعها.

وقوله: ﴿ إذا انبعث أشقاها ﴾ هو قدار بن سالف، وقد بينا من قبل. وروى رشدين، عن يزيد بن عبد الله بن سلامة، عن عثمان بن صهيب، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لعلى: «من أشقى الأولين؟ قال: عاقر الناقة، قال: صدقت، قال: فمن أشقى الآخرين؟ قال: قلت: لا أعلم يا رسول الله. قال: الذى يضربك على هذه، وأشار بيده إلى يافوخه»(١).

قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا كريمة بنت أحمد قالت: أخبرنا أبو على زاهر بن أحمد، أخبرنا محمد بن إدريس [السامى](٢)، أخبرنا سويد بن سعيد، عن رشدين. . الخبر وهو غريب.

وقوله: ﴿ فقال لهم رسول الله ﴾ ﷺ، وهو صالح.

وقوله: ﴿ ناقة الله وسقياها ﴾ أى: ذروا ناقة الله وسقياها، ومعنى سقياها: شربها على ما قال فى موضع آخر: ﴿ لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ﴾(٣).

وقوله: ﴿ فكذبوه فعقروها ﴾ أى: فكذبوا صالحًا، وعقروا الناقة.

---

(١) رواه أبو يعلى (١/٣٧٧-٣٧٨ رقم ٤٨٥)، والطبرانى فى الكبير (٨/٣٨ رقم ٧٣١١) عن صهيب به.
وقال الهيثمى فى المجمع (٩/١٣٩): رواه الطبرانى وأبو يعلى، وفيه رشدين بن سعد وقد وثق، وبقية رجاله ثقات. وله شواهد عن عمار وعلى بن أبى طالب، وجابر بن سمرة وغيرهم.

(٢) فى «الأصل، وك»: الشافعى، وهو تحريف، وهو محمد بن إدريس السامى أبو لبيد السرخسى شيخ زاهر بن أحمد السرخسى ويروى عن سويد بن سعيد، كما في ترجمته من السير (١٤/٤٦٤ - ٤٦٥).

(٣) الشعراء: ١٥٥.

فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

وقوله: ﴿ فدمدم عليهم ربهم بذنبهم ﴾ عن ابن الزبير: أنه « فرمرم عليهم ربهم »، وهو معنى القراءة المعروفة، ويقال: دمدم أى: غضب عليهم ربهم، يقال: فلان يدمدم إذا كان يتكلم بغضب. والقول المعروف أن معنى قوله: ﴿ فدمدم عليهم ﴾ أى: أطبق عليهم بالعذاب يعنى: عمهم ولم يبق منهم أحداً، ويقال: الدمدمة هو الهلاك باستئصال.

وقوله: ﴿ بذنبهم فسواها ﴾ أى: سواهم بالأرض، فلم يبق منهم أحداً صغيراً ولا كبيراً. ويقال: سوى بينهم بالعذاب.

وقوله: ﴿ ولايخاف عقبيها ﴾ وقرئ: « فلا يخاف عقباها » وفيه قولان: أحدهما: أن الله تعالى لايخاف أن يتبعه أحد بما فعل، قاله الحسن وغيره، والقول الثانى: لم يخف عاقر الناقة عاقبة فعله، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾

تفسير سورة والليل

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿والليل إذا يغشى﴾ قال قتادة: يغشى الأفق بظلمته، وفى رواية عنه: يغشى مابين السماء والأرض بظلمته. وقيل: ﴿والليل إذا يغشى﴾ أى: أظلم. ويقال: يغشى النهار.

وقوله: ﴿والنهار إذا تجلى﴾ معناه: إذا أضاء وانكشف، ويقال: جل الظلمة فكأنه قال: تجلت الظلمة بها.

وقوله: ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ قرأ ابن مسعود وأبو الدرداء: «والذكرِ والأنثى» وقد صح هذا بروايتهما عن النبى ﷺ أنه قرأ كذلك[1]، وأما القراءة المعروفة: ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ وفيه قولان: أحدهما: وماخلق الذكر والأنثى مثل قوله: ﴿والسماء وما بناها﴾[2] أى: فمن بناها.

والقول الثانى: وماخلق من الذكر والأنثى. وذكر الفراء والزجاج: أن الذكر والأنثى هو آدم وحواء. وقد قيل: إنه على العموم، ولله أن يقسم بما شاء من خلقه، وقد ذكرنا أن القسم على تقديره ذكر الرب، وكأنه قال: ورب الليل، ورب النهار إلى آخره.

وقوله: ﴿إن سعيكم لشتى﴾ على هذا وقع القسم، والمعنى: إن عملكم

---

(١) متفق عليه من حديث أبى الدرداء مرفوعا، رواه البخارى (٨/٥٧٧ رقم ٤٩٤٣، ٤٩٤٤)، ومسلم (٦/١٥٦ - ١٥٩ رقم ٨٢٤).

(٢) الشمس: ٥.

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾

مختلف، وقيل: إن سعيكم لشتى أى: منكم المؤمن والكافر، والصالح والطالح، والشكور والكفور، وأمثال هذا.

قال الشاعز:

سعى الفتى لأمور ليس يدركها ... فالنفس واحدة والهم منتشر

والمرء ماعاش ممدود له أثر ... لاينتهى العمر حتى ينتهى الأثر

قوله تعالى: ﴿ فأما من أعطى واتقى ﴾ ذهب أكثر المفسرين إلى أن هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق، رضى الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿ أعطى واتقى ﴾ أى: بذل المال بالصدقة، وحاذر من الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿ وصدق بالحسنى ﴾ أى: بالخلق من الله تعالى [قاله][1] عكرمة عن ابن عباس، وهو أشهر الأقاويل.

والقول الثانى: وصدق بالحسنى أى: بالجنة، قاله مجاهد.

وقيل: بالثواب، وقال أبو عبد الرحمن السلمى وعطاء: صدق بالحسنى أى: بلا إله إلا الله.

وقوله: ﴿ فسنيسره لليسرى ﴾ أى: للحالة اليسرى والمعنى: يسهل عليه طريق (الطاعات)[2]، والأعمال الصالحة. قال الأزهرى: ييسر عليه ما لا ييسر إلا على المسلمين.

قوله تعالى: ﴿ وأما من بخل واستغنى ﴾ يقال: نزلت الآية فى أمية بن خلف، وقيل: فى أبى سفيان بن حرب.

---

(١) فى «الأصل وك»: قال. وانظر الدر (٦/ ٤٠٠).

(٢) فى «ك»: الطاعة.

وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾

وقوله: ﴿ بخل ﴾ أى: بخل بماله، واستغنى أى: عن ثواب ربه.

وقوله: ﴿ وكذب بالحسنى ﴾ هو ما بينا.

وقوله: ﴿ فسنيسره للعسرى ﴾ أى: يسهل عليه طريق الشر، وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: يحول بينه وبين الإيمان بالله وبرسوله. قال الفراء: فإن سأل سائل قال: كيف يستقم قوله: ﴿ فسنيسره للعسرى ﴾ وكيف ييسر العسير؟ أجاب عن هذا: أن هذا مثل قوله تعالى: ﴿ فبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴾ فوضع البشارة موضع الوعيد بالنار، وإن لم تكن بشارة على الحقيقة، كذلك وضع التيسير فى هذا الموضع، وإن كان تعسيراً فى الحقيقة.

وقد ذكر عطاء الخراسانى أن الآية نزلت فى رجل من الأنصار كان له حائطٌ، وله نخلة تتدلى فى دار جاره، ويأكل جاره مما يسقط من ثمارها، فمنعه الأنصارى، فشكى ذلك الفقير إلى رسول الله ﷺ، فقال النبى للأنصارى: «بِعْنى هذه النخلة بنخلة لك فى الجنة، فأبى أن يبيع، فاشتراها منه أبو الدحداح بحائط له، وأعطاها ذلك الفقير، فأنزل الله تعالى فيهما هذه الآيات[1]. والأصح أن الآية نزلت فى أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - لأن السورة مكية على قول الجميع، فلا يستقيم أن تكون الآية منزلة فى أحد من الأنصار. وقد (ورد)[2] فى الآيتين خبر صحيح، وهو ماروى منصور بن المعتمر، عن سعد بن عبيدة، عن أبى عبد الرحمن السلمى، عن على بن أبى طالب قال: «كنا فى جنازة بالبقيع، فأتى النبى ﷺ فجلس وجلسنا معه، ومعه عود ينكت به فى الأرض، فرفع رأسه إلى السماء وقال: مامن نفسٍ منفوسة إلا وقد كتب مدخلها، فقال القوم: يارسول الله، أفلا نتكل على كتابنا، فمن كان من أهل السعادة فإنما يعمل للسعادة، ومن كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء، قال:

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى «ك»: روى.

وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ

بل اعملوا فكلٌ ميسر، أما من كان من أهل السعادة فإنه ييسر لعمل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فإنه ييسر بعمل الشقاء، ثم قرأ: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾»(١).

قال رضى الله عنه: أخبرنا بذلك أبو على الشافعى بمكة، أخبرنا أبو الحسن بن فراس، أخبرنا الديبلى أخبرنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومى، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن منصور الحديث.

قوله تعالى: ﴿وما يغنى عنه ماله إذا تردى﴾ معناه: إذا هلك، يقال: تردى أى: سقط فى النار، وهو الأصح؛ لأن التردى فى اللغة هو السقوط، يقال: تردى من مكان كذا أى: سقط.

وقوله: ﴿إن علينا للهدى﴾ قال الزجاج: علينا بيان الحلال والحرام، والطاعة والمعصية. ويقال: من سلك سبيل الهدى، فعلينا هداه مثل قوله: ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾(٢) أى: بيان السبيل لمن قصد.

وقوله: ﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾ أى: ملك الآخرة والأولى، وقيل: ثواب الآخرة والأولى.

وقوله: ﴿فأنذرتكم ناراً تلظى﴾ أى: تتلظى، ومعناه: تتوهج.

وقوله: ﴿لايصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى﴾ أى: كذب بالله، وأعرض عن طاعته. وفى الآية سؤال للمرجئة والخوارج، فإن الله تعالى قال: ﴿لايصلاها إلا الأشقى﴾ أى: لايقاسى حرها، ولايدخلها إلا الأشقى الذى كذب وتولى، فدل أن

---

(١) متفق عليه، رواه البخارى (٣/٢٦٧ رقم ١٣٦٢ وأطرافه: ٤٩٤٥ - ٤٩٤٩، ٦٢١٧، ٦٦٠٥، ٧٥٥٢)، ومسلم (١٦/٢٩٩ - ٣٠٢ رقم ٢٦٤٧).

(٢) النحل: ٩.

﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾

المؤمن وإن ارتكب الكبائر لايدخل النار، هذا للمرجئة، وأما الخوارج قالوا: قد وافقتمونا أن صاحب الكبائر يدخل النار، فدل أنه كفر بارتكاب الكبيرة، والتحق بمن كذب وتولى حيث قال الله تعالى: ﴿ لايصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى ﴾.

والجواب من وجوه: أحدها: أن معناه: لايصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى، فالأشقى هم أصحاب الكبائر، والذى كذب وتولى هم الكفار. والعرب تقول: أكلت خبزاً لحماً تمراً. أى: ولحماً وتمراً، وحذفوا الواو، وكذلك هاهنا، وأنشد أبو زيد الأنصارى:

كيف أصبحت كيف أمسيت فما ... يثبت الود فى فؤاد الكريم

أى: وكيف أمسيت؟

والوجه الثانى: أن للنار دركات، والمراد من الآية دركة بعينها، لايدخلها إلا الكفار، قال الله تعالى: ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ﴾[١] دلت الآية أنه مخصوص للمنافقين، وهذا جواب معروف.

والوجه الثالث: أن المعنى: لا يصلاها، لايدخلها خالداً فيها إلا الأشقى الذى كذب وتولى، وصاحب الكبيرة وإن دخلها لايخلد فيها.

وقوله: ﴿ وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى ﴾ أى: يعطى ماله ليصير زاكيا طاهراً، وهو وارد فى أبى بكر الصديق على قول أكثر المفسرين، ويقال: إن الآية الأولى نزلت فى أمية بن خلف، وأما إيتاؤه المال فهو أنه أعتق سبعة نفر كانوا يعذبون فى الله، منهم بلال الخير، وعامر بن فهيرة، والنهدية، وزنيرة، وغيرهم. وروى أنه لما اشترى الزنيرة وأعتقها - وكانت قد أسلمت - عميت عن قريب، فقال المشركون: أعماها اللات والعزى، فقالت: أنا أكفر باللات والعزى، فرد الله عليها بصرها.

ومن المعروف أن النبى ﷺ مر على بلال، وهو يعذب فى رمضاء مكة، وهو يقول: أحد أحد، فقال النبى ﷺ: «سينجيك أحد، ثم إنه أتى أبا بكر وقال: رأيت بلالا

---

(١) النساء: ١٤٥.

وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

يعذب في الله، فذهب أبو بكر إلى بيته، وأخذ رطلا من ذهب، وجاء إلى أمية بن خلف واشتراه منه وأعتقه، فقالت قريش: إنما أعتقه ليَدٍ له عنده، فأنزل الله تعالى: ﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ﴾ أي: إلا طلب رضاء ربه المتعالي.

وقوله: ﴿ ولسوف يرضى ﴾ أي: يرضى ثوابه في الآخرة، والمعنى: يعطيه الله حتى يرضى. وذكر النقاش في تفسيره: «أن جبريل - عليه السلام - أتى النبي ﷺ فقال: قل لأبي بكر يقول الله تعالى: أنا عنك راضٍ، فهل أنت عني راضٍ؟، فذكر ذلك لأبي بكر [فبكى] [1] وخر ساجداً، وقال: أنا عن ربي راضٍ، أنا عن ربي راضٍ» [2].

وروى عليٌّ أن النبي ﷺ قال: «رحم الله أبا بكر، زوجني ابنته، وحملني إلى دار الهجرة، واشترى بلالا وأعتقه» [3].

---

(١) في «الأصل»: ويكي.

(٢) تقدم.

(٣) رواه الترمذي (٥/ ٥٩٢ رقم ٣٧١٤) وقال: غريب، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٦٣ رقم ١٢٣٢)، والعقيلي (٤/ ٢١٠ - ٢١١)، وابن حبان في المجروحين (٣/ ١٠)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٤٤٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾

تفسير سورة الضحى

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ والضحى ﴾ أقسم بالنهار كله، وقيل: بوقت الضحوة، وهو وقت ارتفاع الشمس. قال مجاهد: سجى: استوى، وقال عكرمة: سكن الخلق فيه، وقيل: استقرت ظلمته. قال الأصمعى: سجو الليل: تغطية النهار، يقال: ليل داج، وبحر ساج، وسماء ذات أبراج، قال الراجز:

ياحبذا القمراء والليل (الداج)[١] وطـرق مثـل ملاء النَّسَّـاج

وقال آخر:

فما ذنبنا أن جاش بحر ابن عمكم وبحرك سـاج (ما)[٢] يوارى الدعامصا

وقوله: ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾ قال أهل التفسير: أبطأ جبريل عن الرسول ﷺ مرةً؛ فقالت قريش: ودعه ربه وقلاه. وروى أن امرأة قالت له: يا محمد، أرى شيطانك قد تركك؛ فأنزل الله تعالى هذه السورة، وأقسم بما ذكرنا أنه ما ودَّعه وما قلاه.

وروى زهير، عن الأسود بن قيس، عن جندب البجلى قال: كنت مع النبى ﷺ فى غازية، فدميت أصبعه، فقال النبى ﷺ:

---

(١) أورده ابن منظور فى لسان العرب (١٤/ ٣٧١ – مادة: سجا) ونسبه للحارثى، وفيه: الساج، ومثله فى ابن جرير الطبرى (٣٠/١٤٧).

(٢) فى اللسان: «لا» (١٤/٣٧١).

«هل أنت إلا أصبع دُميت　　　وفى سبيل الله ما لقيت»

قال: فأبطأ جبريل – عليه السلام – فقال المشركون: قد وُدع محمد ﷺ؛ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾»(١) قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو محمد المكى بن عبد الرزاق الكشميهنى، أخبرنا جدى أبو الهيثم الفربرى، أخبرنا البخارى، أخبرنا أحمد بن يونس، عن زهير بن معاوية بن حديج الحديث.

وذكر بعضهم: أن الآية نزلت حين سأل اليهود رسول الله ﷺ عن خبر أصحاب الكهف وعن ذى القرنين، وعن الروح فقال: سأخبركم غداً، ولم يقل: إن شاء الله، فتأخر جبريل – عليه السلام – سبعة عشر يوماً، وقيل: أقل أو أكثر، فقال المشركون: قد ودعه ربه وقلاه؛ فأنزل الله تعالى هذه السورة»(٢).

وقد قرئ فى الشاذ بالتخفيف، والمعروف بالتشديد أى: ما قطع عنك الوحى، (وقيل)(٣): ما أعرض عنك. وبالتخفيف معناه: ما تركك، تقول العرب: دع هذا، وذر هذا، واترك هذا بمعنى واحد.

وقوله: ﴿وما قلى﴾ أى: ما قلاك بمعنى: ما أبغضك، (وقيل)(٣): ما تركك منذ قبلك، وما أبغضك منذ أحبك. قال الأخطل:

المهديات هو من بيته　　　والمحسنات لمن قلين مقالاً

أى: أبغضن.

---

(١) رواه الترمذى (٥/٤١١–٤١٢ رقم ٣٣٤٥)، وقال: حسن صحيح. والحديث قسمه البخارى ومسلم إلى قسمين: فالأول: رواه البخارى (٦/٢٣ رقم ٢٨٠٢ وطرفه ٦١٤٦)، ومسلم (١٢/٢١٥–٢١٦ رقم ١٧٩٦).

والثانى: رواه البخارى (٨/٥٨٠ – ٥٨١ رقم ٤٩٥٠، ٤٩٥١)، ومسلم (١٢/ ٢١٦ – ٢١٨ رقم ١٧٩٧).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) فى «ك»: أى.

وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾

وقوله: ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾ يعني: ثواب الله خير لك من نعيم الدنيا، وقد روى أن عمر - رضى الله عنه - دخل على النبى ﷺ فرآه مضجعًا على حصير، قد أثر الحصير فى جنبه، فبكى عمر - رضى الله عنه - فقال رسول الله ﷺ: « وما يبكيك يا عمر؟ فقال: ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من النعيم، وذكرت حالك وأنت رسول الله. فقال له النبى ﷺ: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا »(١).

وقوله: ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ أى: من الثواب والكرامة والمنزلة حتى [ترضى](٢)، وفى بعض التفاسير: هو ألف قصر من اللؤلؤ وترابها المسك، والقول الثالث: أنه الشفاعة لأمته، وعن محمد بن على الباقر قال: إنكم تقولون: إن أرجى آية فى كتاب الله تعالى قوله: ﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾(٣) الآية، ونحن نقول: أرجى آية فى كتاب الله تعالى هو قوله: ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ يعنى: أنه يشفعه فى أمته حتى يرضى.

قوله تعالى: ﴿ ألم يجدك يتيما فآوى ﴾ سماه يتيمًا؛ لأن أباه توفى وهو حَمْل، وقيل: بعد ولادته بشهرين، وتوفيت أمه وهو ابن ست سنين، وكفله جده عبد المطلب، ثم مات وهو ابن ثمان سنين، وكفله عمه أبو طالب، ومعنى قوله: ﴿ فآوى ﴾ أى: جعل لك مأوى، وهو أبو طالب، والمعنى: يأوى إليه، وتوفى أبو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين.

وقوله: ﴿ ووجدك ضالا فهدى ﴾ أى: عن الشرائع والإسلام فهداك إليها، ويقال: عن النبوة، وقيل: ووجدك ضالا أى: غافلا عما يراد بك فهداك إليه، وهو أحسن

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فى « الأصل وك » : ترى.

(٣) الزمر: ٥٣.

وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ﴿٩﴾

الأقاويل. وقيل: ضالا عن طريق الحق فهداك إليه. وعن بعضهم: وجدك فى قوم ضالٍ، وأولى الأقاويل أن يكون محمولا على الشرائع، وما أنزل الله مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان﴾(١) أو يكون المعنى وجدك ضالا أى: غافلا عن النبوة والوحى الذى أنزل إليه مثل قوله فى قصة موسى – صلوات الله عليه –: ﴿قال فعلتها إذًا وأنا من الضالين﴾(٢) أى: من الغافلين.

وقوله: ﴿ووجدك عائلاً فأغنى﴾ أى: فقيراً فأغناك بمال خديجة.

[وقال الكلبى(٣) ومقاتل]: أغناك بالرضا والقناعة بما أعطاك، وهو أولى القولين، وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى القلب»(٤)، وأنشد بعضهم:

فما يدرى الفقير متى غناه ... وما يدرى الغنى متى يعيل

أى: يفتقر. ويقال: ﴿ووجدك عائلا﴾ أى: ذا عيال، فأغنى أى: كفاك مؤنتهم، ومن المعروف أن النبى ﷺ قال: «يارب، إنك اتخذت إبراهيم خليلا وموسى كليماً، وسخرت مع داود الجبال، وفعلت كذا وكذا، فما فعلت بى؟ فأنزل الله تعالى ﴿ألم يجدك يتيمًا فآوى﴾ والسورة الأخرى، وهى قوله تعالى: ﴿ألم نشرح لك

(١) الشورى: ٥٢.

(٢) الشعراء: ٢١.

(٣) فى «الأصل، وك»: الكبرى ومقاتل ويقال، والصواب ما أثبتناه، وانظر القرطبي (٢٠ / ٩٩).

(٤) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (١١ /٢٧٦ رقم ٦٤٤٦)، ومسلم (٧/ ١٩٨ رقم ١٠٥١).

وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

صدرك ﴾[١] وفى هذا الخبر أن الرسول ﷺ قال: «وددت أنى لم أقل ما قلت»[٢].

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر ﴾ أى لاتحتقره، والمعروف: لا تظلمه أى: تأخذ حقه وتتقوى به، وقد كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك فى أموال اليتامى. وقرأ ابن مسعود: «فلا تكهر» أى: لا تزجره.

وقوله: ﴿ وأما السائل فلا تنهر ﴾ أى: رد برفق ولين، فإما أن تعطيه، وإما أن ترده بالرفق وتدعو له، وحكى عن الحسن البصرى أنه قال: محمول على سائل العلم دون سائل الطعام، وعن أبى الدرداء - رضى الله عنه - أنه كان إذا جاءه طالب علم قال: مرحبًا بأحبة رسول الله ﷺ، وعن إبراهيم بن أدهم - قدس الله روحه - قال: إنى أظن أن الله تعالى يصرف العقوبة عن أهل الدنيا برحلة أصحاب الحديث فى طلب العلم.

وقوله تعالى: ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ أى: بالنبوة. وقوله: ﴿ فحدث ﴾ أى: ادع الناس إليها، وقد كان يكتم زمانًا ثم أظهرها، وقيل: هو القرآن فعلى هذا قوله: ﴿ فحدث ﴾ أى: اتله على الناس، ويقال: جميع النعم. وقوله: ﴿ فحدث ﴾ أى: أظهر بالشكر، وعن الحسن بن على - رضى الله عنهما - أنه قال: إذا أصبت خيرًا أو نعمةً فحدث به الثقات من إخوانك. وعن عمرو بن ميمون أنه قال: من قام لورده فى الليل فلا بأس أن يحدث به الثقة من إخوانه، ويقول: رزقنى الله كذا وكذا. وفى

---

(١) الشرح: ١.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير (١١ / ٤٥٥ رقم ١٢٢٨٩)، وفى الأوسط (٦ / ١٤٧ - ١٤٨ رقم ٣٥١٣ مجمع البحرين)، والحاكم (٢ / ٥٢٦) وصححه، والبيهقى فى الدلائل (٧ / ٦٢-٦٣)، والبغوى فى تفسيره (٤ / ٤٩٩) عن ابن عباس مرفوعا به.

وقال الهيثمى فى المجمع (٨ / ٢٥٧): رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط.

بعض الأخبار: «أن إظهار النعمة شكر، والسكوت عنها كفر»[1] والله أعلم.

وقرأ ابن كثير – رحمه الله عليه – من هذا الموضع بالتكبير فى خواتم السور إلى آخر القرآن، وذكر أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وقرأ مجاهد على ابن عباس – رضى الله عنهما – فأمره بذلك، وقرأ ابن عباس على أبى بن كعب – رضى الله عنهما – فأمره بذلك، وقرأ (ابن مسعود) على النبى ﷺ فأمره بذلك[2]. والتكبير هو قوله: الله أكبر، قالوا: وسبب هذا أن المشركين لما قالوا للنبى ﷺ إن ربه ودعه وقلاه، وفى رواية أنهم قالوا: قد هجره شيطانه، فلما أنزل الله تعالى هذه السورة وفيها قوله تعالى: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾ كبر النبى ﷺ فرحا بنزول هذه السورة، فصار سنة إلى آخر القرآن. والله أعلم.

---

(١) روى مرفوعا عن النعمان بن بشير، ولفظه «والتحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر». رواه الإمام أحمد فى مسنده (٤/ ٢٧٨)، وعبد الله ابنه فى زوائده (٤/ ٣٧٥)، وابن أبى الدنيا فى الشكر (رقم ٦٣)، والبغوى فى تفسيره (٤/ ٥٠٠)، وضعف إسناده ابن كثير فى تفسيره (٤/ ٥٢٣)، والسيوطى فى الدر (٦/ ٤٠٥).

(٢) رواه أبو يعلى الخليلى فى الإرشاد (١/ ٤٢٧ – ٤٢٨)، وابن شاهين فى الأفراد (الجزء الخامس رقم ٨٣)، والحاكم (٣/ ٣٠٤) وصححه، وتعقبه الذهبى وقال: البزى قد تكلم فيه، والبيهقى فى الشعب (٥/ ٤٣– ٤٤ رقم ١٩١٣، ١٩١٤)، والبغوى فى تفسيره (٤/ ٥٠٠– ٥٠١) من حديث ابن عباس عن أبى مرفوعا.
وقال أبو حاتم فى العلل (٢/ ٧٧): هذا حديث منكر، وكذا استنكره الذهبى فى الميزان (١/ ١٤٤ – ١٤٥)، وانظر النشر لابن الجزرى (٢/ ٤١٢ – ٤١٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾

تفسير سورة ألم نشرح
وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ معناه: ألم نفتح لك صدرك؟ وقيل: ألم نوسع لك صدرك، والقول الأول، قاله مجاهد والحسن. وقال السدى: ألم نلين لك قلبك، وقال الحسن فى رواية أخرى: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ معناه: أنه ملىء حكمة وإيمانًا. وقد ورد فى الأخبار برواية قتادة، عن أنس، [عن](١) مالك بن صعصعة، أن نبى الله ﷺ قال: «بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلا يقول: هو بين الثلاثة، فأتيت بطست من ذهب فيه ماء زمزم، فشرح الله صدرى إلى كذا وكذا. قال قتادة: قلت: ما تعنى؟ قال: إلى أسفل بطنى، فاستخرج قلبى وغسله بماء زمزم، ثم أعاده إلى مكانه، ثم حشاه إيمانًا وحكمةً». وفى الحديث قصة طويلة، قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث القاضى الإمام أبو الدرداء، أخبرنا أبو العباس بن سراج، أخبرنا أبو العباس بن محبوب أخبرنا أبو عيسى الحافظ، أخبرنا محمد بن بشار، أخبرنا محمد بن جعفر، وابن أبى عدى، عن سعيد بن أبى (عروبة)(٢)، عن قتادة، عن أنس بن مالك الحديث. وهو حديث صحيح(٣).

وورد أيضًا فى الأخبار أن النبى ﷺ قال: «إذا دخل النور فى قلب المؤمن انشرح وانفسح. فقيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة؟ قال التجافى عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل حلول الموت»(٣).

---

(١) فى «الأصل، وك»: بن، وهو تحريف، والحديث متفق عليه من حديث قتادة، عن أنس، عن مالك بن صعصعة به مرفوعًا.

(٢) فى الأصل: «عروة» وهو تحريف.

(٣) تقدم تخريجه.

وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾

وقوله: ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ قال مجاهد: أى: غفرنا لك، وهو فى معنى قوله تعالى ﴿ليغفر لك الله ما تقدم ما ذنبك وما تأخر﴾[1]

وقوله: ﴿وزرك﴾ قال مجاهد: أى: ثقلك. وعن بعضهم: ووضعنا عنك وزرك، أى: حططنا عنك ثقلك. وفى رواية ابن مسعود: وحللنا عنك وقرك.

وقوله: ﴿الذى أنقض ظهرك﴾ قال الزجاج: أى: أثقلك ثقلا، يسمع منه نقيض ظهرك، وهذا على طريق التشبيه والتمثيل، يعنى: لو كان شيئًا يثقل، يسمع من ثقله نقيض ظهرك. فإن قال قائل: وأيش كان وزره؟ وهل كان على دين قومه قبل النبوة أو لا؟

والجواب: قد ورد فى التفسير: أنه كان على دين قومه قبل ذلك، ومعنى ذلك: أنه كان يشهد مشاهدهم، ويوافقهم فى بعض أمورهم من غير أن يعبد صنماً أو يعظم وثنًا، وقد كان الله عصمه عن ذلك، فما ذكرنا هو الوزر الذى أنقض ظهره.

وقوله ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ فيه أقوال: أحدها: ورفعنا لك ذكرك بالنبوة والرسالة.

والآخر: رفعنا لك ذكرك أى: جعلت طاعتك طاعتى، ومعصيتك معصيتى، والقول المعروف فى هذا أنى لا أذكر إلا ذكرت معى، قال ابن عباس: فى الأذان والإقامة والتشهد وعلى المنابر فى الجمع والخطب فى العيدين ويوم عرفة وغير ذلك.

وقال قتادة: ما من متشهد ولا خطيب ولا صاحب صلاة إلا وهو ينادى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

وقد ورد فى بعض الأخبار هذا مرفوعًا إلى جبريل - عليه السلام - برواية أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال لى: «إن جبريل قال: قال الله عز وجل: إذا ذكرتُ ذكرتَ معى».[2]

---

(١) الفتح: ٢

(٢) رواه أبو يعلى (٢ / ٥٢٢ رقم ١٣٨٠)، وابن جرير (٣٠ / ١٥١)، وابن حبان (٨ / ١٧٥ رقم ٣٣٨٢)، والخلال فى السنة (٢٦٢ رقم ٣١٨)، والبغوى (٤ / ٥٠٢). وقال الهيثمى فى المجمع (٨ / ٢٥٧): رواه أبو يعلى، وإسناده حسن.

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾

و قال حسان بن ثابت يمدح النبى ﷺ :

أغـر عليـه للنبـوة خـــــاتم ... من الله مشهـود يلوح ويشهـد

وضم الإله اسم النبى مع اسمـــه ... إذا قال فى الخمس المؤذن أشهـد

وشـق له من اسمـه ليجلـــه[١] ... فذو العرش محمود وهذا محمـد

قوله تعالى : ﴿ فإن مع العسر يسرا ﴾ أى : مع العسر يسراً . فى التفسير : أن المشركين عيروا النبى ﷺ وأصحابه، وقالوا : لو شئت جمعنا لك شيئًا من المال لترجع عن هذا القول، فأكربه ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

والمعنى : إن مع الفقر غنى، ومع الضيق سعة، وإن مع الحزونة سهولة، ومع الشدة رخاء . وقد حقق الله ذلك فى الدنيا بما فتح على النبى - عليه الصلاة والسلام - وعلى أصحابه، فإن الله تعالى فتح للنبى ﷺ الحجاز، وتهامة، وما والاها، وعامة بلاد اليمن، وكثيراً من البوادى إلى [قريب][٢] من العراق والشام، وفتح على أصحابه ما فتح وأغنمهم كنوز كسرى وقيصر، وقد صار حال النبى ﷺ فى آخر أمره أنه كان يهب المائين من الإبل، والألوف من الغنم، ويدخر لعياله قوت سنة، فهذا الذى ذكرناه هو معنى الآية . وقد روى معمر (عن أيوب)[٣] عن الحسن « أن النبى ﷺ خرج يوماً مسروراً إلى أصحابه وقال : أبشروا لن يغلب عسر يسرين، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً ﴾ »[٤] قال رضى الله عنه : أخبرنا بهذا الحديث أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد، أخبرنا سهل بن عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أخبرنا العذافرى، أخبرنا الدبرى، عن عبد الرزاق، عن معمر . . . الحديث .

(١) فى « الأصل » : كى يجله .

(٢) فى « الأصل، ك » . قريباً .

(٣) ليست فى « ك » .

(٤) رواه بن جرير (٣٠ / ١٥١) والحاكم (٢ / ٥٢٨) عن الحسن مرسلا، وزاد السيوطى فى الدر (٦ / ٤٠٧) : عبد بن حميد، وبن مردويه .

فإن قال قائل: ما معنى قوله: لن يغلب عسر يسرين، وقد كرر كلاهما؟

والجواب عنه: أن الفراء ذكر أن النكرة إذا كررت نكرة، فالثانى غير الأول، والنكرة إذا أعيدت معرفة فالثانى هو الأول تقول العرب: كسبت اليوم درهمًا، وأنفقت الدرهم. فالثانى هو الأول. ونقول: وعلى معنى هذا ورد قوله تعالى: ﴿ كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول ﴾(١) وعن ابن مسعود قال: لو دخل العسر فى جحر لتبعه اليسر حتى يستخرجه. وفى معنى اليسرين قولان: أحدهما: يسر الدنيا، والآخر يسر الآخرة، فعلى هذا معنى الخبر، إن غلب العسر يسر الدنيا، فلا يغلب يسر الآخرة.

والقول الثانى: أن اليسر الأول هو للرسول ﷺ، واليسر الثانى لأصحابه. قال رضى الله عنه: أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن عبد العزيز الجنوجردى قال: أخبرنا أبو إسحاق الثعلبى الحسن بن محمد النيسابورى قال: سمعت محمد بن عامر البغدادى قال سمعت عبد العزيز بن يحيى قال: سمعت عمر قال العتبى يقول: كنت ذات ليلة فى البادية، فألقى فى روعى بيت من شعر، فقلت:

أرى الموت لمن أصبـــ ـــح مغمومًا أروح

فلما جن الليل سمعت هاتفًا يهتف من الهواء:

ألا أيهـا المــرء الـــ ـــذى الهـم به يبـرح

وقـد أنشـد بيتـا لم يزل فى فكـره يسنـح

إذا اشتـدت بك العسـرى ففكـر فى ألـم نشـرح

فعسـر بين يسـرين إذا أبصـرته فافـرح

قال: فحفظت الأبيات، وفرج الله غمى.

قال رضى الله عنه: وأنشدنا أبو بكر قال: أنشدنا أبو إسحاق قال أنشدنا الحسن بن محمد بن الحسن قال: أنشدنا أحمد بن محمد بن إسحاق الحيرى قال: أنشدنا

---

(١) المزمل: ١٥ - ١٦.

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾

إسحاق بن بهلول القاضى :

فلا تيأس وإن أعسرت يوما	فقد أيسرت فى دهر طويل
ولا تظنن بربك ظن سوء	فإن الله أولى بالجميل
وإن العسر يتبعه يسار	وقول الله أصدق كل قيل

قال رضى الله عنه : وأنشدنا أبو بكر قال : أنشدنا أبو إسحاق قال : أنشدنا الحسن قال : أنشدنا الحسن بن محمد قال : أنشدنى محمد بن سليمان بن معاذ (الكرخى)[1] قال أنشدنا أبو بكر بن الأنبارى :

إذا بلغ العسر مجهوده	فثق عند ذاك بيسر سريع
ألم تر نحس الشتاء النطيع	يتلوه سعد الربيع البديع

قال رضى الله عنه : وأنشدنا أبو بكر، أنشدنا أبو إسحاق، أنشدنى عيسى بن زيد الطفيلى أنشدنى سليمان بن أحمد الرقى :

توقع إذا ما عدتك الخطوب	سروراً يسردها عندك فسرا
ترى الله يخلف ميعاده	وقد قال إن مع العسر يسرا

قوله تعالى ﴿ فإذا فرغت فانصب ﴾ قال مجاهد وقتادة والضحاك و الكلبى ومقاتل : إذا فرغت من الصلاة فانصب للدعاء، وارغب إلى الله فى المسألة. وقال الشعبى : إذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك. وروى نحو ذلك عن الزهرى وعن ابن مسعود : إذا فرغت من الفرائض فانصب لقيام الليل.

وعن بعضهم إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب لجهاد الكفار.

وقوله : ﴿ وإلى ربك فارغب ﴾ هو الحث على الدعاء [و] المسألة. وقال الزجاج : إلى ربك فارغب وحده، ولا تكن رغبتك إلى أحد سواه. والله أعلم.

---

(١) فى «ك» : الكوفى.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾

تفسير سـورة التين

وهى مكية

وقد ثبت برواية البراء بن عازب أن النبى ﷺ قرأ هذه السورة فى صلاة المغرب خرجه مسلم فى كتابه.

قوله تعالى: ﴿ والتين والزيتون ﴾ قال مجاهد والحسن: هو التين الذى يؤكل والزيتون الذى يعصر. والمعنى: ورب التين والزيتون. وقال قتادة: التين هو الجبل الذى عليه دمشق، والزيتون هو الجبل الذى عليه بيت المقدس. وقال كعب: هو دمشق وبيت المقدس. وحكى الفراء أنهما جبلان مابين حلوان إلى همذان. ويقال: أراد منابت التين والزيتون. قال النحاس: وهذا قول يخالف ظاهر الآية، ولم ينقل عمن يكون قوله حجة.

وقوله: ﴿ وطور سنين ﴾ أكثر المفسرين أنه الجبل الذى كلم الله عليه موسى. وقد ثبت عن عمر أنه قرأ: «وطور سَيْنَاء»، وفى حرف ابن مسعود: «وطور سِيْنَاء» بكسر السين. وقال الحسن: الطور هو الجبل، وسنين: المبارك. وعن الأخفش: طور: اسم الجبل وسنين: اسم الشجر.

وقوله ﴿ وهذا البلد الأمين ﴾ هو مكة بالإجماع، ومعنى الأمين أى: آمن من فيه.

وقوله ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ﴾ هو جواب القسم. قال مجاهد وإبراهيم وجماعة: فى أحسن تقويم أى: فى أحسن صورة. وقيل: فى أحسن تقويم: هو أعتداله واستواؤه.

وقوله: ﴿ ثم رددناه أسفل سافلين ﴾ قال مجاهد والحسن: إلى النار إلا من آمن. فعلى هذا تكون الآية فى الكفار. وقد قيل: إنه ورد فى كافر بعينه فيقال: إنه أبو

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾

جهل. وقيل: إنه الوليد بن المغيرة. وقيل غيرهما. وقال إبراهيم والضحاك وجماعة: ثم رددناه أسفل سافلين: هو أرذل العمر، والسافلون هم الضعفاء والمرضى والشيوخ العجزة.

وقوله: ﴿ إلا الذين آمنوا ﴾ الاستثناء مشكل فى هذه السورة، فعلى قول الحسن ومجاهد يكون الاستثناء ظاهراً والمعنى: رد الناس إلى النار إلا من آمن وعمل صالحًا فإنه لايرد إلى النار، ومعنى الإنسان: الناس. وأما على قول إبراهيم والضحاك فالاستثناء مشكل على هذا القول، قاله النحاس. والمعنى على هذا إلا الذين آمنوا فلا يردون إلى أرذل العمر، ومعناه: أنه يكتب لهم أعمالهم الصالحة بعد الهرم على ماكانوا يعملونها فى حالة الشباب وإن عجزوا عنها، فكأنهم لم يردوا إلى أرذل العمر، وقد حكى معنى هذا عن إبراهيم، وروى ذلك مرفوعا فى بعض الأخبار إلى الرسول ﷺ.

وقوله ﴿ فلهم أجر غير ممنون ﴾ فيه قولان: أحدهما: لايمتن به عليهم أحد - سوى الله - مِنَّة تكدر النعمة عليهم. والقول المعروف: غير مقطوع وهو مؤيد لما ذكرناه من التأويل.

قوله تعالى: ﴿ فما يكذبك بعد بالدين ﴾ المعنى: فما يكذبك أيها الشاك بيوم الحساب بعد ما شاهدت من قدرة الله تعالى ما شاهدت، هذا هو القول المعروف. وفى الآية قول آخر: أن معناه: فمن يكذبك بعد بالدين على خطاب النبى ﷺ أى: من الذى يكذبك بيوم الحساب بعد أن ظهر من البراهين والآيات ماظهر، ذكره أبو معاذ النحوى، القول الأول أولى؛ لأن ما بمعنى من، يبعد فى اللغة.

وقوله: ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ هو استفهام بمعنى التحقيق وهو مثل قول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

أى: أنتم كذلك. وقد ورد عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا إذا ختموا السورة قالوا: اللهم بلى، وفى رواية: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين؛ منهم أبو هريرة وابن عباس رضى الله عنهما.



اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾

تفسير سورة العلق

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ أكثر أهل العلم [أن] هذه السورة أول سورة أنزلت من القرآن، وهو مروى عن على، وابن عباس، وعائشة، وابن الزبير. وروى محمد بن إسحاق، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة «أن أول سورة أنزلت من القرآن، سورة اقرأ باسم ربك الذى...» قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث الحاكم أبو عمرو ومحمد بن عبد العزيز القنطرى، أخبرنا أبو الحارث على بن القاسم الخطابى أخبرنا أبو لبابة محمد بن المهدى، أخبرنا أبو عماد بن الحسين بن بشر، عن [سلمة][1] بن الفضل عن محمد بن إسحاق. الخبر.

وعن جابر: أن أول سورة أنزلت سورة المدثر، [و] قد بينا، والأصح هو القول الأول، وقد ثبت برواية عائشة - رضى الله عنها - قالت: «أول مابدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا (الصادقة)[2] فى النوم، فكان لايرى رؤيا إلاجاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يأتى حراء فيتحنث فيه الليالى ذوات العدد- وهو التعبد - ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها، حتى (فجئه)[3] الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال النبى ﷺ قلت: ما أنا بقارئ. قال:

(١) فى «الأصل، وك»: مسلمة، وهو تحريف والصواب سلمة وهو ابن الفضل الأبرش الأنصارى، يروى عن بن إسحاق، كما فى ترجمتيهما من تهذيب الكمال (١١ / ٣٠٥ - ٣٠٧، ٢٤ / ٤٠٥ - ٤١١).

(٢) فى«ك» : الصالحة.

(٣) فى«ك»: جاءه.

﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ ﴾

فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم، أرسلنى، فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى، فقال اقرأ، فقلت ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى، فقال: اقرأ باسم ربك الذى خلق... حتى بلغ مالم يعلم». والخبر طويل مذكور فى الصحيحين.(١)

وقوله: ﴿ باسم ربك ﴾ أى: اقرأ مفتتحًا باسم ربك، وقيل: اقرأ اسم ربك، والباء زائدة، قاله أبو عبيدة، ومثله قول الشاعر:

هن الحرائر لاربات أخمرة ... سود المحاجر لايقرأن بالسور

أى: السور، والباء زائدة. وقيل: اقرأ على اسم ربك، كما يقال: سر باسم الله أى: على اسم الله، والقولان الأولان هما المعروفان.

وقوله: ﴿ الذى خلق ﴾ يعنى: خلق الناس.

وقوله: ﴿ خلق الإنسان من علق ﴾ أى: العلقة وهى الدم، وذكرها هنا العلقة؛ لأنها من الأمشاج، فدل بها على غيرها.

وقوله: ﴿ اقرأ وربك الأكرم ﴾ أى كريم، ومن كرمه أن يحلم عن ذنوب العباد، ويؤخر عقوبتهم، وعن بعضهم: من كرمه أن يعبد الآدمى غيره، ولايقطع عنه رزقه.

وقوله: ﴿ الذى علم بالقلم ﴾ أى: الكتابة بالقلم ،وهى نعمة عظيمة، قال قتادة: القلم نعمة من الله عظيمة، لولا ذلك لم يقم دين، ولم يصلح عيش ،واختلف القول فى المراد بالتعليم، فأحد القولين هو آدم صلوات الله عليه،والقول الآخر: كل آدمى يخط بالقلم.

وقوله: ﴿ علم الإنسان مالم يعلم ﴾ قد بينا، وهو ظاهر المعنى.

قوله: ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى ﴾ نزل فى أبى جهل، وقد ورد فى بعض الأخبار

(١) وقد تقدم.

أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ

عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لكل أمة فرعون، وفرعون هذه الأمة أبو جهل»(١). وهو خبر غريب. وقوله: ﴿ليطغى﴾ أي: يجاوز الحد في العصيان، قال الكلبي: من الطغيان أن يتنقل من منزلة إلى منزلة في اللباس والطعام. وفي بعض التفاسير: هو أنه إذا كثر ماله زاد في طعامه وشرابه وثيابه (ومركبه)(٢). وعن ابن مسعود أنه قال: منهومان لايشبعان، طالب علم، وطالب مال لايستويان، أما طالب العلم فيبتغي رضا الرحمن، وأما طالب المال فيطلب رضا الشيطان.

وقوله: ﴿أن رآه استغنى﴾ أي: رأى نفسه غنيًا.

وقوله: ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ أي: الرجوع والمرجع.

وقوله تعالى: ﴿أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى﴾ هو أبو جهل أيضًا، والعبد الذي يصلي هو الرسول ﷺ، وقد ثبت برواية ابن عباس(٣) أن أبا جهل قال: إن رأيت محمداً يصلي لأطأنَّ على رقبته، فذكر له أنه يصلي فجاء ليطأ على رقبته، فلما قرب منه نكص على عقبيه، فقيل له: ما لك يا أبا الحكم؟ فقال: رأيت بيني وبينه خندقًا من نار، وهؤلاء ذوو أجنحة، فقال النبي ﷺ: «لو دنى مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» خرجه مسلم في كتابه(٤). وقوله: ﴿أرأيت﴾ هو تعجيب للسامع، وقيل

(١) رواه الشاشي في مسنده (٢/ ٣٣١ – ٣٣٢ رقم ٩٢٢) عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه به. وقد رواه الإمام أحمد (١/ ٤٠٣) في قصة قتل بن مسعود لأبي جهل بنحوه.

(٢) في «ك»: ومركوبه.

(٣) رواه البخاري (٨/ ٥٩٥ رقم ٤٩٥٨)، والترمذي (٥/ ٤١٣ رقم ٣٣٤٨) وقال: حسن صحيح غريب. والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٠٨ رقم ١١٠٦١، ١١٦٨٥)، وأحمد (١/ ٢٤٨، ٣٦٨) وغيرهم.

(٤) كذا قال، وإنما خرجه مسلم من رواية أبي هريرة، وحديث أبي هريرة، رواه مسلم (١٧/ ٢٠٣ – ٢٠٤ رقم ٢٧٩٧)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٥١٨ رقم ١١٦٨٣)، وأحمد (٢/ ٣٧٠)، وبن حبان (١٤/ ٥٣٢ – ٥٣٣ رقم ٦٥٧١) وغيرهم.

﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾

معناه: أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى، كيف يأمن عذابى؟ وقيل معناه أمصيب هو؟ يعنى: ليس بمصيب، وفى قول سيبويه معناه: أرأيت من كان هذا عمله، أخبرنى عن أمره فى الآخرة؟ وهو إشارة إلى أنه يصير إلى عقوبة الله فى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى﴾ يعنى: محمداً ﷺ.

وقوله: ﴿أرأيت إن كذب وتولى﴾ يعنى: أبا جهل، والمعنى: أن من كذب وتولى ونهى عبداً إذا صلى، كيف يكون كمن آمن بربه واتقى وصلى!

وقوله: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ هو تهديد ووعيد.

قوله تعالى: ﴿كلا لئن لم ينته لنسفعًا بالناصية﴾ أى: لَنَجُرَّن بناصيته إلى النار، وقيل: لنسودنَّ وجهه، وذكر الناصية ليدل على الوجه، وقيل: لنسمنَّ موضع الناصية بالسواد، فاكتفى به من سائر الوجه. وفى اللغة: الأسفع: الثور الوحشى الذى فى خديه سواد، وأنشدوا على القول:

قوم إذا سمعوا الصريخ رأيتهم ... من بين ملجم مهره أوسافع

أراد وآخذ بناصيته .

وأنشدوا على القول الثانى:

وكنت (إلى)[1] نفس الغوى نزت به ... سفعت على العرنين منه بميسم

أراد وسمته على عرنينه.

وقوله: ﴿ناصية كاذبة خاطئة﴾ أى: ناصية صاحبها كاذب خاطئ.

وقوله تعالى: ﴿فليدع ناديه﴾ روى: «أن أبا جهل لما أنكر على النبى ﷺ صلاته،

(١) فى «ك»: على. وقد أورده بن منظور فى لسان العرب (٨/١٥٨) مادة: (سفع) وفيه: وكنت إذا نفس الغوى...

انتهره النبى – عليه الصلاة والسلام – فقال له أبو جهل: أتنهرنى يامحمد، وما بها أكثر ناديًا منى؛ أعمر مجلسًا وأكثر قومًا، فأنزل الله تعالى: ﴿ فليدع نادية ﴾ »(١) أى قومه الذى يتعزز بهم، وهم أهل مجلسه.

وقوله: ﴿ سندع الزبانية ﴾ هم الملائكة الذين قال الله تعالى فى وصفهم: ﴿ عليها ملائكة غلاظ شداد ﴾(٢) وقيل: هم أعوان ملك الموت. (وواحد الزبانية زبنية فى قول الكسائى زبانى، وعن بعضهم: زبان)(٣).

وقوله: ﴿ كلا لا تطعه واسجد واقترب ﴾ أى: واسجد لله واقترب منه بالطاعة، وقيل: واسجد يامحمد واقترب يا أبا جهل، لترى عقوبة الله، وهو قول غريب.

(١) رواه الترمذى (٥/٤١٤ رقم ٣٣٤٩) وقال: حسن غريب صحيح، والنسائى (٦/٥١٨ رقم ١١٦٨٤ – الكبرى) وأحمد (١/٢٥٦، ٣٢٩)، وابنه عبد الله (١/٢٥٦)، والطبرى (٣٠/١٦٤) عن بن عباس بنحوه.

(٢) التحريم: ٦.

(٣) كذا فى «الأصل وك» والذى فى لسان العرب أن واحد الزبانية عند الكسائى زِبْنىٌّ، وعند الزجاج زِبْنية، وقال الأخفش: قال بعضهم: واحد الزبانية زَبَانىّ، وقال بعضهم: زابنٌ، وقال بعضهم: زبنية مثل عفْرية» انظر اللسان (١٣/١٩٤).



إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)

تفسير سورة القدر

وهى مدنية

قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ أى: القرآن، وقد ذكرنا أن الله تعالى أنزل جميع القرآن فى ليلة القدر إلى السماء الدنيا، ثم أنزله تفاريق على الرسول ﷺ، بعضه فى إثر بعض، والهاء كناية عن القرآن، وإن لم يكن القرآن مذكوراً، وصح ذلك لأنه معلوم. وليلة القدر: هى ليلة الحكم. قال مجاهد فى التفسير: إن الله تعالى يقسم فيها [الأرزاق](١) والأعمال.

واختلفوا فى ليلة القدر، فحكى عن بعضهم: أنها رفعت حين توفى النبى ﷺ، وليس بصحيح، بل هى باقية إلى قيام الساعة. وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال: فى الحول، ومن يقم حولا يصيبها. والصحيح أنها فى العشر الأخير من رمضان، وقد ثبت برواية زر بن حبيش أنه قال لأبى بن كعب: «إن أخاك عبد الله بن مسعود يقول: إنها فى الحول، فقال أبى بن كعب: يرحم الله أبا عبد الرحمن! لقد علم أنها فى العشر الأخير من رمضان، وعلم أنها ليلة السابع والعشرين، ولكن أراد أن لايتكل الناس على ذلك، ثم حلف أبى بن كعب، ولم يستثنِ أنها ليلة السابع والعشرين، قال زر: فلما رأيته يحلف، قلت: يا أبا المنذر، بم تعرف ذلك؟ قال بالعلامة التى ذكرها لنا رسول الله ﷺ، وهى أن تطلع الشمس فى صبيحتها ولاشعاع لها»(٢).

---

(١) فى «الأصل»، «ك» أرزاق.

(٢) رواه مسلم (٦/ ٦٢ - ٦٤ رقم ٧٦٢، ٨/ ٩١ - ٩٣ رقم ٧٦٢)، وأبو داود (٢/ ٥١ رقم ١٣٧٨)، والترمذى (٥/ ٤١٥ رقم ٣٣٥١).

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾

وقد ثبت أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: «تحروها في العشر الأواخر من رمضان»[(١)]. أي: اطلبوها، وفي بعض الروايات: «اطلبوها في الأفراد»[(٢)]، وفي رواية أبي سعيد الخدري: «أنها ليلة الحادي والعشرين»[(٣)]. وقيل غير ذلك، وأصح الأقاويل وأشهرها أنها ليلة السابع والعشرين، ومن قام العشر أدركها قطعا وحقيقة.

وقوله: ﴿وما أدراك ماليلة القدر﴾ قد بينا أن ماورد في القرآن على هذا اللفظ، فقد أعلمه الله تعالى.

وقوله: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ أي: ثواب العمل فيها أكثر من ثواب العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وذكر أبو عيسى الترمذي في جامعه برواية يوسف بن سعد، أن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - لما بايع معاوية، وسَلَّمَ إليه الخلافة، قال له رجل: يامسود وجوه المؤمنين، أو يامذل المؤمنين، فقال: لاتقل بها، فإن رسول الله ﷺ أُرِيَ بني أمية على منبره، فساءه ذلك، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾[(٣)]، وأنزل أيضًا: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾، وقال: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ أي: خير من ألف شهر يملك فيها بنو أمية»[(٤)]. قال أبو عيسى: وهو غريب. وفي بعض التفاسير: أن النبي ﷺ قال: «إن رجلا من بني

---

(١) متفق عليه من حديث بن عمر، رواه البخاري (٤ / ٣٠١ رقم ٢٠١٥)، ومسلم (٨ / ٨٢-٨٥ رقم ١١٦٥).

ومن حديث عائشة، رواه البخاري (٤ / ٣٠٥ رقم ٢٠١٧) وطرفاه ٢٠١٩، ٢٠٢٠)، ومسلم (٨ / ٩١ رقم ١١٦٩).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (٢ / ٣٤٧ رقم ٨١٣ وطرفاه ٢٠١٦، ٢٠١٨)، ومسلم (٨ / ٨٦ - ٩٠ رقم ١١٦٧) وفيه قصة.

(٣) الكوثر: ١.

(٤) رواه الترمذي (٥ / ٤١٤) وقال: غريب، وابن جرير (٣٠ / ١٦٧)، والطبراني (٣ / ٨٩ - ٩٠ رقم ٢٧٥٤)، والحاكم (٣ / ١٧٠ - ١٧١، ١٧٥) وصححه، والبيهقي في الدلائل (٦ / ٥٠٩ - ٥١٠).

وقال الحافظ بن كثير (٤ / ٥٣٠): هذا الحديث على كل تقدير منكر جدا، قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج المزي: هو حديث منكر. وقال الذهبي في تلخيص المستدرك: ما أدرى آفته من أين.

تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾ .

إسرائيل جاهد أعداء الله ألف شهر، وكان مع ذلك يقوم بالليل، ويصوم النهار، فاغتم من ذلك لقصر أعمار أمته، وقلة أعمالهم، فأنزل الله تعالى هذه السورة، وأخبر أنه أعطاه ليلة يكون العمل فيها خيراً من عمل ذلك الرجل ألف شهر»(١). وقد ثبت فى فضلها عن النبى ﷺ أنه قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ماتقدم من ذنبه»(٢).

وقوله: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ أى: جبريل فيها.

وقوله: ﴿بإذن ربهم من كل أمر﴾ أى: لكل أمر، وهو ماذكرنا من مقادير الأشياء.

وقوله: ﴿سلام هى﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن المراد منه تسليم الملائكة على من يذكر الله تعالى فى تلك الليلة.

والقول الثانى: ﴿سلام﴾ أى: سلامة، والمعنى: أنه لا يعمل فيها داء ولا سحر ولا شىء من عمل الشياطين والكهنة.

وقوله: ﴿حتى مطلع الفجر﴾ وقرئ: «مطلِع الفجر» بكسر اللام، فالبفتح على المصدر وبالكسر على وقت الطلوع.

---

(١) رواه الواحدى فى أسباب النزول (٣٣٩ - ٣٤٠) عن مجاهد مرسلا. وعزاه السيوطى فى الدر (٦/٤١٥) لابن المنذر، وابن أبى حاتم، والبيهقى.

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، رواه البخارى (٤/٣٠٠ رقم ٢٠١٤)، ومسلم (٦/٦٠ رقم ٧٦٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ

تفسير سورة لم يكن

وهى مكية فى قول بعضهم،

(مدنية فى قول بعضهم، والله أعلم)[(١)]

قوله تعالى: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ قرأ أبى بن كعب: «ماكان الذين كفروا» وهو شاذ، والمعروف هو الأول.

وقوله تعالى: ﴿من أهل الكتاب والمشركين منفكين﴾ أى: منتهين، ومعناه: أن الكفار من أهل الكتاب والمشركين ماكانوا منتهين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة أى: حتى أتاهم الرسول، مستقبل بمعنى الماضى، وقيل: البينة هى القرآن، وهذا قول معروف معتمد، والقول الثانى: أن أهل الكتاب والمشركين الذين سمعوا منهم لم يزالوا على إقرار بالنبى ﷺ قبل ظهوره، فلما ظهر اختلفوا، فأقر بعضهم، وأنكر البعض، وقوله: ﴿رسول من الله﴾ أى: هو رسول من الله، وقيل: حتى أتاهم رسول من الله.

وقوله: ﴿يتلو صحفا مطهرة﴾ أى: مافى الصحف، وقوله: ﴿مطهرة﴾ أى: من التغيير والتبديل والإدناس والإنجاس.

وقوله: ﴿فيها كتب قيمة﴾ أى: أحكام مستقيمة عادلة، والكتاب يأتى بمعنى الحكم، والكتب بمعنى الأحكام، وفى قصة العسيف أن النبى ﷺ قال: «لأقضين بينكما بكتاب الله»[(٢)] أى: بحكم الله.

(١) ليست فى «ك».

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة، وزيد بن خالد، رواه البخارى (٤/٥٧٤ رقم ٢٣١٤، ٢٣١٥، وأطرافه: ٢٦٤٩، ٢٦٩٥، ٢٦٩٦، ٢٧٢٤، ٢٧٢٥، ٦٦٣٣، ٦٦٣٤ وغيرهم)، ومسلم (١٠/٢٩٣ - ٢٩٥ رقم ١٦٩٧ - ١٦٩٨).

أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

وقوله: ﴿ وما تفرق الذين أوتوا الكتاب ﴾ أى: فى أمر النبى ﷺ وما جاء به.

وقوله: ﴿ إلا من بعد ما جاءتهم البينة ﴾ أى: البينات والبراهين والدلائل.

قوله تعالى: ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾ قد ذكرنا معني الحنيف، وقيل: إذا كان مسلماً فهو الحاج، وإذا كان غير مسلم فهو الإسلام، والمعنى: أمروا أن يكونوا حنفاء، فإن كان الخطاب مع المسلمين فالمراد منه أن يكونوا حجاجاً وإن كان الخطاب مع الكفار فالمراد أن يكونوا مسلمين.

وقوله: ﴿ ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ أى: ذلك الملة القيمة، وقيل: دين الأمة المستقيمة على الحق، وقيل: دين الملة القيمة.

قوله تعالى: ﴿ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ﴾ قرئ بالهمز وترك الهمز، فالقراءة بالهمز من برأ الله الخلق، وبترك الهمزة من البَرَى، وهو التراب أى: شَرُّ مَنْ خَلَقَ مِنَ البَرَى، والعرب تقول: بفيك البرى والثرى.

وقوله: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصلحات أولئك هم خير البرية ﴾ قد ذكرنا، وروى سفيان الثورى، عن المختار بن فلفل، عن أنس بن مالك: «أن رجلا قال للنبى ﷺ ياخير البرية قال: ذاك إبراهيم – صلوات الله عليه »[1] أورده أبو عيسى الترمذى فى جامعه، وقال: هو صحيح غريب.

---

(١) رواه مسلم (١٥ /١٧٨ – ١٧٧ رقم ٢٣٦٩)، وأبو داود (٤ /٢١٨ رقم ٤٦٧٢)، والترمذى (٥ /٤١٥ – ٤١٦ رقم ٣٣٥٢) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦ /٥٢٠ رقم ١١٦٩٢)، وأحمد (٣/ ١٧٨، ١٨٤).

جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾ ﴾

وقوله: ﴿ جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى ﴾ قال ابن عمر: خلق الله أربعة أشياء بيده: القلم، والعرش، وجنة عدن، وآدم - صلوات الله عليه، وقال لسائر الأشياء: كونى فكانت.

وقوله: ﴿ تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ أى: رضى أعمالهم، ورضوا ثوابه.

وقوله: ﴿ ذلك لمن خشى ربه ﴾ أى: خاف ربه.

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾

تفسير سورة إذا زلزلت

وهى مكية، وقيل: مدنية.

وقد روى أنس أن النبى ﷺ قال: « من قرأ: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ عدلت له بنصف القرآن، ومن قرأ: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾[1] عدلت له بربع القرآن، ومن قرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾[2] عدلت له بثلث القرآن »[3] أورده أبو عيسى فى جامعه وقال: هو حديث غريب.

وأورد - أيضا - برواية سلمة بن وردان عن أنس بن مالك قال: إن النبى ﷺ قال لرجل من أصحابه: « هل تزوجت يا فلان؟ قال: لا والله، ولا عندى ما أتزوج به، فقال: أليس معك ﴿قل هو الله أحد﴾[2]؟ قال: بلى، قال: ثلث القرآن، قال: أليس معك ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾[4]؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: أليس معك ﴿قل يا أيها الكافرون﴾؟ قال: بلى. قال: ربع القرآن، قال: أليس معك ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: تزوج تزوج »[5].

---

(١) الكافرون : ١ . (٢) الإخلاص : ١ .

(٣) رواه الترمذى (٥ / ١٥٢ رقم ٢٨٩٣) وقال: غريب، لانعرفه إلا من حديث هذا الشيخ الحسن بن سلم، والعقيلى (١ / ٢٤٣)، والبيهقى فى الشعب (٥/ ٤٥٤ - ٤٥٥ رقم ٢٢٨٦) وقال: هذا العجلى مجهول. وقال الذهبى فى الميزان (١ / ٤٩٣): هذا منكر، والحسن لايعرف.

(٤) النصر : ١ .

(٥) رواه الترمذى (٥ / ١٥٣ رقم ٢٨٩٥) وحسنه، وأحمد (٣ / ٢٢١)، وابن حبان فى المجروحين (١ / ٣٣٢ - ٣٣٣)، وابن عدى فى الكامل (٣ /٣٣٣ - ٣٣٤)، والبيهقى فى الشعب (٥ /٤٥٣ - ٤٥٤ - رقم ٢٢٨٥)، وأعله الهيثمى فى المجمع (٧ / ١٥٠) بقوله: رواه أحمد، وسلمة ضعيف.

وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ قال ابن عباس: حركت من أسفلها. والزلزال هو التحريك الشديد، وعن ابن عباس أنه عقيب النفخة الأولى. وفى التفسير: أن إسرافيل إذا نفخ فى الصور النفخة الأولى يكسر كل شيء على وجه الأرض من شدة نفخته، ويدخل فى جوف الأرض، فإذا نفخ النفخة الثانية أخرجت جميع ما فى جوفها، وألقتها على (وجهها)[1].

وقوله: ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ هو ما ذكرنا، وذلك عقيب النفخة الثانية، قال مجاهد وقتادة: كنوزها وموتاها.

وقوله: ﴿وقال الإنسان ما لها﴾ أى: وقال الكافر ما لها؟ يعنى: ما للأرض أخرجت أثقالها. وإنما قال الكافر ذلك؛ لأنه لم يكن يؤمن بالبعث.

وقوله: ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ أى: تحدث بما عمل عليها من خير وشر - يعنى الأرض - وروى سعيد بن أبى أيوب، عن يحيى بن أبى سليمان، عن سعيد المقبرى، عن أبى هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ قال: أتدرون ما أخبارها؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا فى يوم كذا وكذا، قال: فهذه أخبارها»[2]. قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسين بن النقور، أخبرنا أبو طاهر (بن)[3] المخلص، أخبرنا يحيى بن محمد بن صاعد، أخبرنا [الحسين

(١) فى «ك»: وجه الأرض.

(٢) رواه الترمذى (٤/ ٥٣٥ رقم ٢٤٢٩) وقال: حسن غريب، (٥/ ٤١٦ رقم ٣٣٥٣) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٥٢٠ رقم ١١٦٩٣)، وأحمد (٢/ ٣٧٤)، وابن حبان (١٦/ ٣٦٠ رقم ٧٣٦٠)، والحاكم (٢/ ٢٥٦، ٥٣٢) وصححه، وتعقبه الذهبى بأن فى إسناده يحيى وهو منكر الحديث، والبغوى فى تفسيره (٤/ ٥١٥).

(٣) كذا، وهو أبو طاهر المخلص، وقد سبق التنبيه عليه.

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

بن الحسن](٤) المروزى، أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن سعيد بن أبى أيوب .. الحديث، ويقال: المعنى: وقال الإنسان ما لها؟ أى: ما للأرض تحدث أخبارها.

قوله: ﴿ بأن ربك أوحى لها ﴾ أى: أوحى إليها أن تحدث. قال الشاعر:

أوحى لها القرار فاستقرت

أى: إليها. والمعنى: أن الأرض أخبرت بوحى الله إليها. قال أبو جعفر النحاس: الوحى على وجهين: أحدهما: وحى الله إلى أنبيائه عليهم السلام، والآخر: بمعنى الإلهام، مثل قوله تعالى: ﴿ وأوحى ربك إلى النحل ﴾[٢]، ومثل هذه الآية، وهو قوله تعالى: ﴿ بأن ربك أوحى لها ﴾ أى: ألهمها أن تحدث.

قوله تعالى: ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتا ﴾ أى: متفرقين.

يقال: شتان ما بين فلان وفلان أى: ما أشد التفرقة بينهما.

وقوله: ﴿ ليروا أعمالهم ﴾ أى: أعمالهم التى عملوها.

وقوله: ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ قال ابن مسعود: هذه الآية أحكم آية فى القرآن.

وروى أن عمر بن الخطاب سأل قومًا: أى آية فى كتاب الله أحكم؟ فقالوا: ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ فقال: أفيكم ابن أم عبد؟ فقالوا: نعم، وأراد أن هذا جائز منه. وروى أن صعصعة عم الفرزدق أتى النبى ﷺ فأسلم، فسمع هذه الآية: ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ قال: حسبى لا أبالى ألا أسمع من القرآن غيرها. رواه الحسن مرسلا.

(١) فى «الأصل» و «ك»: الحسن بن الحسين، وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه وهو الحسين بن الحسن بن حرب أبو عبد الله المروزى صاحب ابن المبارك. انظر ترجمته فى التهذيب، وسير أعلام النبلاء (١٢ / ١٩٠) وغيرهما.

(٢) النحل: ٦٨.

وروى المغيرة بن قيس عن ابن الزبير، عن جابر قال: «قلت يا رسول الله، إلى ما ينتهي الناس يوم القيامة؟ قال: إلى أعمالهم؛ من عمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن عمل مثقال ذرة شرا يره»[1].

وفي الذرة قولان: أحدهما: أنها النملة الحمراء الصغيرة – وهو قول معروف، والآخر: هي ما يعلق بيد الإنسان إذا وضع يده على الأرض، وقيل: هي الذرة التي ترى في الكوة منبثًا في الهواء في ضوء الشمس، وذكر النقاش عن بعضهم: أن الذرة جزء من ألف وأربعة و(عشرين)[2] جزءاً من شعيرة. وعن بعضهم: أنه بسط ذرات كثيرة على وجه إحدى كفتي الميزان، فلم تمل عين الميزان.

وعن ابن عباس قال: [يرى المؤمن حسناته وسيئاته فيرد عليه حسناته وتأخر سيئاته][3]. وعن بعضهم: أن ذكر الذرة على طريق التمثيل والتشبيه، والمعنى أنه يلقى عمله الصغير والكبير، فما أحب الله أن يغفر غفر، وما أحب الله أن يؤاخذ به أخذ والله أعلم.

(١) عزاه الحافظ في المطالب (٣ / ٢١ رقم ٢٧٦٦) للحارث بن أبي أسامة عن طريق داود بن المحبر.

(٢) في « ك »: عشرون، وهو خلاف الجادة.

(٣) كذا في « الأصل، وك » وفي العبارة سقط وخطأ، وقد روى هذا الأثر ابن جرير في تفسيره (٣٠ / ١٧٣)، والبيهقي في البعث (رقم: ٥٩) عن ابن عباس قال: ليس مؤمن ولا كافر عمل خيراً ولا شراً في الدنيا إلا أراه الله إياه، وأما المؤمن فيريه حسناته وسيئاته، فيغفر له من سيئاته، ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فيريه حسناته وسيئاته فيرد عليه حسناته، ويعذبه بسيئاته » واللفظ للبيهقي.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾

تفسير سورة العاديات

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ والعاديات ضبحا ﴾ قال على وابن مسعود: هى الإبل. قال على: لم يكن يوم بدر إلا فرسان: أحدهما للمقداد، والآخر للزبير. وقال ابن عباس: هى الخيل. وهذا القول أظهر. وأقسم بالخيل العادية فى سبيل الله، وضبيحها. صوت أجوافها، وقيل: صوت أنفاسها عند العدو. قال ابن عباس: ليس بصهيل ولاحمحمة.

وقوله: ﴿ فالموريات قدحا ﴾ قال ابن مسعود: هى الإبل تقدح بمناسمها، وعلى قول ابن عباس: هى الخيل تقدح الأحجار بحوافرها، فتورى النار.

وقوله: ﴿ فالمغيرات صبحا ﴾ قال ابن مسعود: هى الإبل حين يفيضون من جمع، وعلى قول بن عباس: هى الخيل تغير فى سبيل الله، قال قتادة: أغارت حين أصبحت.

قوله تعالى: ﴿ فأثرن به نقعا ﴾ على قول ابن مسعود أثرن بالوادى فكنى عنه وإن لم يكن مذكوراً، وعلى قول ابن عباس بالمكان المغار. قال مجاهد عن ابن عباس: النقع التراب، وقال قتادة :هو الغبار.

وقوله تعالى: ﴿ فوسطن به جمعا ﴾ فعلى قول ابن مسعود أى: جمع المزدلفة، وعلى قول ابن عباس جمع العدو، فأقسم الله تعالى برب هذه الأشياء، وقيل: بهذه الأشياء بأعيانها، وقيل: إن النبى ﷺ كان بعث سرية إلى بنى كنانة فأغاروا عند الصباح، وتوسطوا جمع العدو، وكانوا أصحاب خيل، فأقسم الله تعالى بهم.

وقوله: ﴿ إن الإنسان لربه لكنود ﴾ على هذا وقع القسم.

وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾

وقوله: ﴿لكنود﴾ أى: لكفور، وقيل: هو البخيل السيء الخلق. وفى بعض الأخبار مرفوعا إلى النبى ﷺ برواية أبى أمامة عن النبى ﷺ فى قوله: ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ قال: «هو الذى يأكل وحده، ويمنع رفده ويضرب عبده».(١) قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث الحاكم محمد بن عبد العزيز القنطرى، أخبرنا محمد بن الحسين [الحدادى](٢)، أخبرنا محمد بن يحيى، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا (المؤتمن)(٣) بن سليمان، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبى أمامة الحديث.

وقوله: ﴿وإنه على ذلك لشهيد﴾ أى: وإن الله على ذلك لشهيد أى: على كفره. وقال عطاء عن ابن عباس: وقوله: ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾ معناه: إن الإنسان لأجل حب المال لبخيل. يقال: شديد ومشدد أى: بخيل. قال طرفة:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى　　　عقيلة مـال الفـاحش المتشـدد

أى: البخيل

---

(١) رواه ابن جرير الطبرى (٣٠/ ١٨٠)، وابن أبى حاتم (تفسير بن كثير ٤/ ٥٤٢)، والطبرانى فى الكبير (٨/ ١٨٨ رقم ٧٧٧٨، ١٨/ ٢٤٥ رقم ٧٩٥٨)، وابن حبان فى المجروحين (١/ ٢١٢).

وأعله الحافظ ابن كثير بجعفر بن الزبير، وقال: هو متروك. وقال ابن حبان فى المجروحين: روى جعفر ابن الزبير، عن القاسم، عن أبى أمامة نسخة موضوعة أكثر من مائة حديث، ثم ذكر هذا الحديث.

وقال السيوطى فى الدر (٦/ ٤٣٠): أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه والبيهقى وبن عساكر بسند ضعيف عن أبى أمامة فذكره.

(٢) فى «الأصل، وك»: الحذارى، وهو تصحيف، والصواب ما أثبتناه وهو أبو الفضل محمد ابن الحسين ابن محمد ابن موسى بن مهران الحدادى المروزى له ترجمة فى الأنساب (٢/ ١٨٢ - ١٨٣ مادة: الحدادى)، والجواهر المضية (٣/ ١٤٤ - ١٤٥).

(٣) كذا، وهو تحريف، والصواب معتمر ابن سليمان، فهو يروى عن جعفر ابن الزبير وهو الحنفى كما فى ترجمة جعفر فى تهذيب الكمال (٥/ ٣٢ - ٣٣)، وهو شيخ إسحاق ابن إبراهيم، وهو ابن راهويه، كما فى ترجمتيهما من تهذيب الكمال.

أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور ﴾ أى: أخرج، وقرأ ابن مسعود: «بحث»، وعن غيره وهو أبى بن كعب: «بحثر» أى : قلب.

قوله: ﴿ وحصل ما فى الصدور ﴾ أى: أظهر ما فيها. وقيل: جُمِعَ يعنى: ما فى صحائف الأعمال.

وقوله: ﴿ إن ربهم بهم يومئذ لخبير ﴾ أى: عالم، ويقال: أى: يجازيهم بأعمالهم، ومثله قوله تعالى: ﴿ أولئك الذين يعلم الله مافى قلوبهم ﴾(١) أى: يجازيهم الله بما فى قلوبهم. وكذلك قوله: ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾(٢) أى: يجازى عليه، وقيل فى قوله: ﴿ وحصل ما فى الصدور ﴾ أى: ميز ما فيها من الخير والشر، والله أعلم.

---

(١) النساء: ٦٣

(٢) البقرة: ١٩٧.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ (١) ما الْقَارِعَةُ (٢) وما أَدْرَاكَ ما الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وتَكُونُ الْجِبَالُ كالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَن ثَقُلَت

تفسير سـورة القـارعة

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿القارعة ما القارعة﴾ هى القيامة، سميت قارعة؛ لأنها تقرع القلوب بالهول والشدة.

وقوله: ﴿ما القارعة﴾ مذكور على وجه التعظيم والتهويل، وكذلك ﴿وما أدراك ما القارعة﴾.

قوله تعالى: ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾ الفراش هو صغار الحيوان من البق والبعوض والجراد وما يجتمع عند ضوء السراج، والمبثوث سماه مبثوثا؛ لأنه يركب بعضه بعضا، وقيل: يمرج بعضه فى بعض، وهو مثل قوله تعالى: ﴿كأنهم جراد منتشر﴾(١) وشبه الناس عند الحشر به؛ لأنه يمرج بعضهم فى بعض.

وقوله: ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ أى: الصوف الذى يدف، والعهن هو الصوف المصبوغ، وهو أرخى ما يكون من الصوف، وذكر هذا على معنى أن الجبال من هول يوم القيامة مع صلابتها وقوتها تصير كالعهن المنفوش.

قوله تعالى: ﴿فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية﴾.

قال الفراء والزجاج: أى ذات رضا. وقيل: مرضية.

وقوله: ﴿وأما من خفت موازينه﴾ فى بعض التفاسير: أن لكل إنسان ميزانا على حدة لعمله من الخير والشر.

وقوله: ﴿فأمه هاوية﴾ أى مرجعه إلى الهاوية، وسماها أمه؛ لأن الإنسان يأوى إلى

(١) القمر: ٧.

موازينه ﴿٦﴾ فهو في عيشة راضية ﴿٧﴾ وأما من خفت موازينه ﴿٨﴾ فأمه هاوية ﴿٩﴾ وما أدراك ما هيه ﴿١٠﴾ نار حامية ﴿١١﴾

أمه؛ فالهاوية تؤوى الكفار، فهى أمهم، وفى بعض الأخبار فى نعت النار: فبئست الأم، وبئست المربية، ويقال: الهاوية كل موضع يهوى فيه الإنسان ويهلك.

وقوله: ﴿ وما أدراك ما هيه ﴾ الهاء فى قوله: ﴿ ما هيه ﴾ هاء الوقف على فتحة الياء.

وقوله: ﴿ نار حامية ﴾ أى: حامية على الكفار محرقة لهم، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ

تفسير سورة التكاثر

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ألهاكم التكاثر﴾ أى: شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد عما أمرتم به.

وقوله: ﴿حتى زرتم المقابر﴾ فيه قولان: أحدهما: حتى متم، والقول الثانى: هو أنه تفاخر حيان من قريش، وهما بنو عبد مناف، وبنو الزهرة، وقيل: بنو زهرة وبنو جمح - وهو الأصح - فعدوا الأحياء فكثرتهم بنو زهرة فعدوا الأموات فكثرتهم بنو جمح، فهو معنى قوله تعالى: ﴿حتى زرتم المقابر﴾ أى: عددتم من فى القبور. وروى شعبة، عن قتادة، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «ألهاكم التكاثر» قال: يقول ابن آدم: مالى مالى، وما لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟»[(١)]. قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو محمد عبد الله بن محمد الصريفينى المعروف بابن هزارمرد، أخبرنا أبو القاسم بن حبابة، أخبرنا البغوى، أخبرنا على بن الجعد، عن شعبة.. الحديث، خرجه مسلم عن بندار، عن غندر، عن شعبة.

وقوله تعالى: ﴿كلا سوف تعلمون﴾ تهديد ووعيد.

وقوله: ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ تهديد بعد تهديد، ووعيد بعد وعيد، والمعنى: ستعلمون عاقبة تفاخركم وتكاثركم إذا نزل بكم الموت.

---

(١) رواه مسلم (١٨/ ١٢٥ - ١٢٦ رقم ٢٩٥٨)، والترمذى (٤/ ٤٩٤ - ٤٩٥ رقم ١٣٤٢)، ٥/ ٤١٦ - ٤١٧ رقم ٣٣٥٤) وقال: حسن صحيح، والنسائى (٦/ ٢٣٨ رقم ٣٦١٣)، وابن جرير (٣٠/ ١٨٣).

لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿ كلا لو تعلمون علم اليقين ﴾ جوابه محذوف، والمعنى: كلا لو تعلمون علم اليقين لارتدعتم عما تفعلون، وقيل: ما ألهاكم التكاثر.

وقوله: ﴿ لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ﴾ قال بعضهم: الثانى تأكيد للأول، والمعنى فيهما واحد، وقال بعضهم: لترون الجحيم عن بعد إذا أبرزت، ثم لترونها عين اليقين إذا دخلتموها. وعن قتادة قال: كنا نتحدث أن علم اليقين أن يعلم أن الله باعثه بعد الموت. ويقال: لترون الجحيم فى القبر، ثم لترونها عين اليقين فى القيامة.

وقوله: ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار، يسأل الله تعالى عباده يوم القيامة فيم استعملوها؟ وهو أعلم بذلك منهم.

وعن ابن مسعود: أنه الأمن والصحة. وعن قتادة: هو المطعم الهنى والمشرب الروى.

وروى أبو هريرة مرفوعا إلى النبى ﷺ «أنه الظل البارد والماء البارد»[١]. وروى عمر بن أبى سلمة أن النبى ﷺ وأبا بكر وعمر أتوا منزل أبى الهيثم بن التيهان، وأكلوا عنده لحماً وتمراً، ثم قال النبى ﷺ: «هذا من النعيم الذى تسألون عنه».

وروى أن عمر قال: «يا رسول الله، نسأل عن هذا؟ قال: نعم إلا كسرة يسد الرجل بها جوعه، وخرقة يستر بها عورته، وجحراً يدخل فيه من الحر والقر»[٢]. وروى ابن أبى نجيح عن مجاهد قال: كل لذات الدنيا. وعن بعضهم: النوم مع العافية.

(١) رواه الترمذى (٤/ ٥٠٤ - ٥٠٥ رقم ٢٣٦٩) وفى الشمائل (٢٩٠ - ٢٩١ رقم ٣٥٤)، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٥٢١ - ١١٦٩٧)، وابن جرير (٣٠/ ١٨٥)، والحاكم (٤/ ١٣١) وصححه على شرطهما. والبغوى (٤/ ٥٢١ - ٥٢٢) عن أبى هريرة مطولا، وفيه قصة أبى الهيثم مطولا، ماعدا النسائى فهو عنده مختصر.

(٢) رواه أحمد (٥/ ٨١)، وابن جرير (٣٠/ ١٨٥ - ١٨٦)، وابن عدى فى الكامل (٢/ ٤٤١)، وأبو نعيم فى الحلية (٢/ ٢٧ - ٢٨).

﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾

وذكر أبو عيسى أخباراً فى هذه، منها ما روينا من حديث مطرف، وقال: هو حديث حسن صحيح، ومنها حديث المنهال بن عمرو، عن زر بن حبيش، عن على قال: ما زلنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾. قال أبو عيسى: وهو حديث غريب.

ومنها حديث يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن عبد الله بن الزبير بن العوام، عن أبيه قال: «لما نزلت ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ قال الزبير: يا رسول الله، وأى النعيم يسأل عنه، وإنما هما الأسودان: التمر والماء؟ قال: أما إنه سيكون»[(١)] قال: وهو حديث حسن.

وروى عن محمد بن عمرو، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ قال الناس: يا رسول الله، عن أى النعيم نسأل، وإنما هما الأسودان، والعدو حاضر، وسيوفنا على عواتقنا؟ قال: إن ذلك سيكون»[(٢)].

روى عن الضحاك بن عبد الرحمن [بن][(٣)] عرزم الأشعرى قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة – يعنى العبد من النعيم – أن يقال له: ألم نصحح لك جسمك، ونروك من الماء البارد»[(٤)]. قال: وهو حديث غريب، والله أعلم.

---

(١) رواه الترمذى (٥/٤١٧ رقم ٣٣٥٦) وحسنه، وابن ماجه (٢/١٣٩٢رقم ٤١٥٨)، وأحمد (١/١٦٤)، والحميدى (١/٣٣ رقم ٦١)، والبزار (٣/١٧٨ رقم ٩٦٣)، وأبو يعلى (٢/٣٧ رقم ٦٧٦).

(٢) رواه الترمذى (٥/٤١٧ – ٤١٨ رقم ٣٣٥٧)، وعبد بن حميد وابن مردويه كما فى الدر (٦/٤٣٤).

(٣) سقط من الناسخ، وهو الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب ويقال: عرزم، وهو من رجال التهذيب.

(٤) رواه الترمذى (٥/٤١٨ رقم ٣٣٥٨) وقال: غريب، وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد (٣١)، وابن جرير (٣٠/١٨٦)، وابن حبان (١٦/٣٦٤ – ٣٦٥ رقم ٧٣٦٤)، وفى مسند الشاميين (١/٤٤٢ رقم ٧٧٩)، والحاكم (٤/١٣٨) وصححه، والخطيب فى تاريخه (٧/٢٢٤ – ٢٢٥) وغيرهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الإنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

تفسير سورة العصر

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿والعصر إن الإنسان﴾ قال ابن عباس: هو الدهر، وفيه العبرة لمرور الليل والنهار أنهما على ترتيب واحد. وعن الحسن وقتادة: أنه العشى. قال الشاعر:

تروح بنا عمر وقد قصر العصر وفى الروحة الأولى المثوبة والأجر

والعصران: هما الليل والنهار، ويقال: هما الغداة والعشى. وقال مقاتل: العصر هو صلاة العصر. وعن بعضهم: أنه عصر النبى ﷺ أقسم به، وحكى أن فى حرف عَلىٍّ: «العصر ونوائب الدهر إن الإنسان لفى خسر. وهو فيه إلى آخر العمر».

وقال الزجاج: والمعنى: ورب العصر.

وقوله: ﴿إن الإنسان لفى خسر﴾ معناه: لفى غبن، ويقال: فى شر، ويقال: فى هلاك، والخسران هو ذهاب رأس المال، ورأس مال الآدمى هو عمره ونفسه، فإذا كفر فقد ذهب رأس ماله، والإنسان هو الكافر، وقيل: واحد بمعنى الجمع، وقيل: هو فى كافر بعينه، فقيل: إنه أبى بن خلف، وقيل: وليد بن المغيرة، وقيل: أبو جهل بن هشام.

وقوله: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أى: بالطاعات.

وقوله: ﴿وتواصوا بالحق﴾ قال الحسن وقتادة: أى بالقرآن واتباعه، وقيل: بالتوحيد. وعن السدى: بالله أى: تواصوا بالله، وعن الفضيل بن عياض قال: يحث بعضهم بعضاً على طاعة الله.

وقوله: ﴿وتواصوا بالصبر﴾ عن المعاصى، وقيل: بالصبر على الطاعة، وقد ورد خبر غريب برواية أبى أمامة أن قوله: ﴿إن الإنسان لفى خسر﴾ هو أبو جهل بن هشام.

وقوله: ﴿إلا الذين آمنوا﴾ هو أبو بكر ﴿وعملوا الصالحات﴾ هو عمر ﴿وتواصوا بالحق﴾ هو عثمان ﴿وتواصوا بالصبر﴾ هو على، رضى الله عنهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ

تفسير سورة الهمزة

وهى مكية، والله أعلم

قوله تعالى: ﴿ويل لكل همزة﴾ قد بينا معنى الويل.

وقوله: ﴿همزة لمزة﴾ قال ابن عباس: الهمزة الذى يطعن فى الناس ويعيبهم، واللمزة هو الذى يغتابهم ومثله عن مجاهد، وقيل على العكس، فالهمزة هو المغتاب، واللمزة الذى يطعن فى الناس، قاله السدى وغيره، وعن بعضهم: أن الهمزة هو الذى يؤذى الناس بلسان أو يد، واللمزة هو الذى يؤذيهم بحاجب (وعين)،[1] وهو قول غريب، وعن ابن عباس فى رواية: أن الآية نزلت فى الأخنس بن شريق الزهرى، وهو قول معروف، وأنشدوا فى الهمزة واللمزة:

تدلى بودى إذا لاقيتنى كذبا وإن تغيبت كنت الهامز اللمزة

وقوله: ﴿الذى جمع مالا وعدده﴾ بالتشديد والتخفيف، فقوله: ﴿جمع﴾ بالتخفيف معلوم، وبالتشديد فالمعنى: أنه جمَّع من كل وجه شيئًا فشيئًا.

وقوله: ﴿وعدّده﴾ أى أعده لنفسه ولحوادثه، وقرئ: «وعَدَدَه» بالتخفيف، ومعناه: جمع عددا أى: قومًا وأنصارًا يتقوى بهم.

وقوله: ﴿يحسب أن ماله أخلده﴾ أى: يبقى حتى بقيته، قاله الحسن، وقال بعضهم: أى: يمنع الموت عنه.

وقوله: ﴿كلا لينبذن فى الحطمة﴾ هو اسم من أسماء جهنم، وقرأ ابن مصرف:

(١) فى «ك»: عينه.

﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

«لينبذن فى الحطمة» يعنى: نفسه وماله، وسميت النار حطمة؛ لأنها تأكل كل شيء. يقال: رجل حُطَمة أى: أكول، وقيل: لأنها تكسر كل شيء من الحَطْمِ وهو الكسر.

وقوله: ﴿وما أدراك ما الحطمة﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة﴾ يعنى: يصل ألمها ووجعها إلى الفؤاد. قال محمد بن كعب القرظى: تأكل النار أجسادهم، فإذا وصلت النار إلى القلب أعيدوا كما كانوا، وتعود النار إلى أكلهم فهكذا أبدا.

وقوله: ﴿إنها عليهم مؤصدة﴾ قال ابن عباس وأبو هريرة: مطبقة، وقيل: مغلقة. يقال: أصدت الباب أى أغلقته.

وقوله: ﴿فى عُمَدٍ﴾ وقرئ: «فى عمد ممددة» بفتح العين ورفعه، وقرأ الأعمش وطلحة ويحيى بن وثاب: «بعُمد ممدة» وهو معنى القراءة المعروفة، وعن بعضهم: أن العمد الممدة هى الأغلال فى أعناقهم، وعن بعضهم: [هو] القيود فى أرجلهم، وعن بعضهم: قيود على قبرهم من نار يعذبون فيها، وأولى الأقاويل هو أنها مطبقة بعمد يعنى: مسدودة لا يخرج منها غمر، ولا يدخلها روح. وعن قتادة: يعذبون بالعُمُد، وهى جمع عمود. وعن أبى جعفر القارئ: أنه بكى مرة حين قرئت هذه السورة عليه، فقيل له: ما يبكيك يا أبا جعفر؟ فقال: أخبرنى زيد بن أسلم أن أهل النار لا يتنفسون فذلك أبكانى.

وقوله: ﴿ممدة﴾ وقيل: مطولة، ويقال: ممدودة. وذكر النقاش فى تفسيره: أنه يبقى رجل من المؤمنين فى النار ألف سنة يقول: يا حنان، يا منان، وهو فى شعب من شعاب النار، فيقول الله لجبريل: أخرج عبدى من النار، فيجىء جبريل - عليه السلام - فيجد النار مؤصدة أى: مطبقة، فيعود ويقول: يا رب، إنى وجدت النار مؤصدة،

فيقول: يا جبريل عد وفكها، وأخرج عبدى من النار، فيعود جبريل ويخرجه، وهو مثل الخلال (أسود)[1] فيلقيه على ساحل الجنة حتى ينبت الله له شعراً ولحمًا ودمًا ويدخله الجنة. رواه عن سعيد بن جبير، وذكر أن النار تطبق عليهم ليبأسوا من الخروج منها، والله أعلم.

(١) فى «ك»: الأسود.

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾

تفسير سـورة الفيل

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ الفيل دابة معلومة، ومعنى قوله: ﴿ألم تر﴾ أى: ألم تعلم؟ وقيل: ألم تر آثار ما فعل ربك بأصحاب الفيل؟ وأصحاب الفيل هم جند من الحبشة أميرهم أبرهة بن الصباح أبو يكسوم، وقيل: غيره. غزوا الكعبة، وقصدوا تخريبها وهدمها، وأصح ما حكى فى سببه أن أبرهة كان نصرانيًا بنى بيعة بصنعاء اليمن، وزينها بالفاخر من الثياب والجواهر، وقال: بنيت هذا، يحجه العرب وأكفهم عن حج الكعبة، وأمر الناس بذلك وأجبرهم عليه، فجاء رجل من العرب - وقيل: إنه كان من بنى كنانة - ودخل البيعة، وأحدث فيها وهرب، فذكر ذلك لأبرهة فغضب غضبًا شديداً وحلف بالنصرانية والمسيح ليغزون الكعبة، وليهدمنها حجراً حجراً، ثم إنه غزا الكعبة مع جيش عظيم. وفيه قصة طويلة، وساق مع نفسه فيلا يقال له: محمود، وقيل: كانت ثمانية من الفيلة أكبرها هذا الفيل، ولقى فى الطريق جنداً من العرب وهزمهم، وقتل منهم حتى أتى الطائف، ثم إنه توجه من الطائف إلى مكة، ودليله أبو رغال، فمات أبو رغال فى الطريق فقبره هو القبر الذى ترجمه العرب، وهو بين مكة والطائف، ونزل أبرهة والجند بالمغمس، وسمع أهل مكة بذلك، وسيدهم يومئذ عبد المطلب بن هاشم، وأغار الجند على ماوجدوا من أموال أهل مكة وإبلهم، وأخذوا مائتى بعير لعبد المطلب ثم إنه جاء عبد المطلب، إلى أبرهة فى طلب بعيره - وكان رجلاً جسيمًا وسيمًا - فلما رآه أبرهة أعجبه حسنه وجماله فقال: ماحاجتك؟ فقال: أن ترد على إبلى. فقال لترجمانه: قل

ألم يجعل كيدهم في تضليل ﴿٢﴾

له: أعجبنى ما رأيت من هيئتك، ثم رغبت عنك حين سمعت كلامك، فقال عبد المطلب: وما الذى رغب الملك عنى؟ فقال: جئت لأهدم شرفك وشرف آبائك، فتركت ذكره وسألتنى إبلا أخذت لك! فقال له عبد المطلب: أنا رب الإبل، وإن للبيت ربا يمنعه، فأمر برد الإبل عليه، فعاد عبد المطلب، وأمر أهل مكة حتى تنصرف فى رءوس الجبال، وقال: قد جاءكم مالاقبل لكم به. ثم أخذ عبد المطلب بحلقة الكعبة وقال:

يارب، لا أرجو لهم سواكا　　　يارب، فامنع منهم حماكا

إن عدو البيت من عاداك

ومن المعروف أيضا أنه قال:

يارب إن المـرء يمنـــ　　　ـنع حله فامنع حلالك

لايغلـبن صليبهـــم　　　ومحالهـم أبدا محـالك

والمحال: العقوبة.

إن كنت تاركهم وكعبتنا　　　فـــامر مـــا بدالـــك

ثم خرج مع القوم وخلوا مكة، فروى أن الفيل كان إذا أحس التوجه قبل مكة امتنع، فإذا وجه نحو اليمن أسرع وهرول، وحبس الله الفيل عن البيت، وهو معنى ماثبت عن النبى ﷺ أنه قال يوم الحديبية حين بركت ناقته - وهى القصواء - وقال الناس: خلأت القصواء فقال النبى ﷺ: «لا، لكن حبسها حابس الفيل»[1] ثم إن الله تعالى بعث عليهم طيراً خرجت من قبل البحر، قال ابن عباس: لها خراطيم الطير وأنف الكلاب، وقيل: كانت سوداء، وقيل: حمراء، ومع كل طير ثلاثة أحجار: حجران فى كفيه، وحجر فى منقاره، وفى القصة: أن الحجر كان دون الحمص وفوق

(١) تقدم تخريجه.

وأرْسل عليْهِمْ طَيْرًا أبابيل ﴿٣﴾ ترْميهِم بحجارةٍ مّن سجّيلٍ ﴿٤﴾ فجعلهُمْ كعصْفٍ مّأْكُولٍ ﴿٥﴾

العدس، فجاءت الطير ورمتهم بالأحجار، وفى القصة: أن الحجر كان يصيب رأس الإنسان، فيخرج من دبره، فيسقط ويموت، وكان إذا وقع على جانب منه خرج من الجانب الآخر، وهرب القوم وتساقطوا فى الطريق. وقيل: إن الحجر إذا أصاب الواحد منهم نفط موضعه وأصابه الجدرى، فهو أول ما رئى الجدرى فى ديار العرب، والله أعلم. وأما أبرهة فتساقط فى الطريق أنملة أنملة، ثم إنه انصدع صدره عن قلبه(١) ومات.

وعام الفيل هو العام الذى ولد فيه النبى ﷺ، وقد قيل: إنه ولد بعد ذلك بسنتين، والصحيح هو الأول، وقال أهل العلم: كان ذلك إرهاصًا لنبوه النبى ﷺ وتأسيسًا بها.

قوله تعالى: ﴿ألم يجعل كيدهم فى تضليل﴾ أى: أبطل مكرهم وسعيهم، ويقال: قوله: ﴿فى تضليل﴾ أى: ضل عنهم، وفاتهم ماقصدوا.

وقوله: ﴿وأرسل عليهم طيرًا أبابيل﴾ قال أبو عبيدة: جماعات فى تفرقة، وعند أبى عبيدة والفراء: لا واحدلها، وعند الكسائى: واحدها: أبول مثل عجاجيل وعجول. ويقال: طيرًا أبابيل أى: كثيرة، ويقال: أقاطيع يتبع بعضها بعضًا.

وقوله: ﴿ترميهم بحجارة من سجيل﴾ قال ابن عباس: السجيل بالفارسية (سنك)(٢) كل، ويقال: من سجيل من السماء، وهو اسم سماء الدنيا. وقوله: ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ العصف: هو ورق الزرع، ومعناه: كعصف قد أكل مافيه، وقيل: كل ثمره. والمعنى: أن الله تعالى شبههم بالزرع الذى أكلته الدواب وراثته وتفرقت، ولم يبق من ذلك شىء فشبه هلاكهم بذلك، والله أعلم.

---

(١) فى الأصل: قبله.

(٢) فى «ك»: شك. وهو تصحيف.



لإيلاف قُرَيْشٍ ﴿١﴾

تفسير سورة لإيلاف

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿لإيلاف قريش﴾ روى سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله: ﴿لإيلاف قريش﴾ قال: نعمتى على قريش بإيلافهم رحلة الشتاء والصيف. والإيلاف فى اللغة هو ضد الإيحاش، وهو نظير الإيناس، فإن قال قائل: ما معنى ابتداء السورة باللام؟ والجواب من وجهين: أحدهما أن معناه: اعجبوا لإيلاف قريش وتركهم الإيمان بى، كأنه يذكر نعمته عليهم، ويذكر كفرانهم لنعمته بترك الإيمان، والوجه الثانى أن معناه: أن هذا متصل فى المعنى بالسورة المتقدمة، وكأنه قال: ﴿فجعلهم كعصف[1] مأكول لإيلاف قريش﴾ أى: ليبقى لهم ما ألفوه من رحلتى الشتاء والصيف. وذكر القتيبى فى معنى السورة: أن القوم لم يكن لهم زرع ولاضرع إلا القليل، وكانت معايشهم من التجارة، وكانت لهم رحلتان: رحلة فى الصيف إلى الشام، ورحلة فى الشتاء إلى اليمن، وقيل: غير هذا، وكانوا إذا خرجوا من مكة لا يتعرض لهم أحد، فإذا لقيهم قوم قالوا: نحن أهل الله فيكفون عنهم ولا يحاجون. وروى أنهم كانوا يقولون: نحن من حرم الله، فتقول العرب: هؤلاء أهل الله فيكفون عنهم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمناويتخطف الناس من حولهم﴾[2] فذكر الله تعالى فى هذه السورة والسورة المتقدمة منته عليهم فى دفع أصحاب الفيل عنهم، ليبقى لهم ما ألفوه من التجارة فى رحلتى الشتاء والصيف. وأما قريش: فهم أولاد النضر بن كنانة، فكل من كان من أولاد النضر بن كنانة فهو

---

(١) الفيل: ٥.

(٢) العنكبوت: ٦٧.

إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

قرشى واختلفوا فى اشتقاق هذا الاسم، فقال الأكثرون: سموا قريشًا للتجارة، وكانوا أهل تجارة، والقرش: الكسب، يقال: كان فلان يقرش لعياله ويقترش أى: يكتسب. وعن ابن عباس: أنه سميت قريش قريشًا بدابة تكون فى البحر، يقال لها: القرش، لاتمر بغث ولاسمين إلا أكلته وأنشدوا فى ذلك:

وقريش هى التى تسكن البحـــ	**ــر وبها سميت قريش قريشا**
تأكل الغث والسمين ولاتتـــ	**ــرك فيه لذى الجناحين ريشا**
هكذا فى البلاد هى قريش	**يأكلون البلاد أكلا كميشا**
ولهم آخر الزمان نبى	**يكثر القتل فيهم والخموشا**

وقوله: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع﴾ قال ذلك لأنهم كانوا يجلبون الطعام من المواضع البعيدة وكان هو الذى يسهل لهم ذلك، ويرزقهم إياها بتيسير أسبابها لهم.

وقوله: ﴿وآمنهم من خوف﴾ أى: من خوف الغارة والقتل على ماقلنا، وقيل: من خوف الجذام، والأصح هو الأول. وفى بعض التفاسير: أن أول من جمع قريشًا على رحلتى الشتاء والصيف هاشم بن عبد مناف، وكانوا يأخذون فى بضائعهم باسم الفقراء شيئًا معلومًا فإذا رجعوا أعطوهم ذلك تقربًا إلى الله.

وقال الشاعر فى هاشم :

عمرو العلا هشم الثريد لقومه	**ورجال مكة مسنتون عجاف**
الخالطين فقيرهم بغنيهم	**حتى يصير فقيرهم كالكاف**

بسم الله الرحمن الرحيم

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾

تفسير سورة أرأيت

وهى مكية

وقيل: إنها مدينة، وقيل: نصفها مكية، ونصفها مدنية، فالنصف الأول إلى قوله ﴿ **فويل للمصلين** ﴾ مكية، والنصف الباقى مدنية، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿ أرأيت الذى يكذب بالدين ﴾ أى: بالجزاء، وقيل: بالحساب، قاله مجاهد، والمعنى: أرأيت من يكذب بالدين أمخطئ هو أم مصيب؟ يعنى: أنه مخطئ فلا توافقه ولاتتبعه.

وقوله: ﴿ فذلك الذى يدع اليتيم ﴾ وورد فى الحديث أن النبى ﷺ قال: «من ضم يتيما من بين المسلمين إلى نفسه، وجبت له الجنة»(١).

وقرئ فى الشاذ: «يَدعُ اليتيم» أى: يترك العطف عليه والرحمة له.

وقوله تعالى: ﴿ ولايحض على طعام المسكين ﴾ قيل: لايطعم بنفسه، ولا يأمر به غيره.

قوله تعالى: ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ قال قتادة: غافلون. وروى المغيرة عن إبراهيم قال: مضيعون للوقت، وهذا قول معروف، وهو وارد عن جماعة من التابعين، وذكروا أن المراد بالسهو هاهنا هو تأخير الصلاة عن وقتها، والقول الثالث: وهو أن الآية وردت فى المنافقين.

ومعنى قوله: ﴿ الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ يعنى: أنهم إن صلوها لم يرجوا

---

(١) رواه أحمد (٤/٣٤٤، ٥/٢٩)، وأبو يعلى (٢/٢٢٧ رقم ٩٢٦)، والطبرانى فى الكبير (١٩/٢٩٩ - ٣٠٠ رقم ٦٦٧ - ٦٧٠) عن عمرو بن مالك القشيرى، وحسنه الهيثمى فى المجمع (٤/٢٤٦، ٨/١٦٤)، والمنذرى فى الترغيب (٣/٣٤٨).

الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

ثوابًا، وإن تركوها لم يخافوا عقابًا. قال ابن زيد: هم المنافقون صلوها، وليست الصلاة من شأنهم. وروى الوالبى عن ابن عباس قال: هم المنافقون، كانوا إذا حضروا صلوها رياءً، وإذا غابوا تركوها. وقال محمد بن كعب القرظى: هو المنافق، إذا رأى الناس صلى، وإذا لم ير الناس لم يصل. وقيل: ساهون أى: لاهون، والمعنى أنهم يشتغلون بغيره عنها.

وقوله: ﴿الذين هم يراءون﴾ قد بينا.

وقوله: ﴿ويمنعون الماعون﴾ قال على: هو الزكاة، حكاه مجاهد عنه، وهذا القول محكى أيضًا عن الحسن وإبراهيم التيمى. وقال ابن عباس: هو العارية، وسميت ماعونًا؛ لأن الناس يعين بعضهم بعضًا. وقد ورد فى الخبر: أنه مثل الماء والملح والفأس والقدر والمقدحة وما أشبه ذلك.

وفى بعض الأخبار عن عائشة - رضى الله عنها - أنها سألت النبى ﷺ ما الذى لايحل منعه؟ قال: «الماء والملح والنار»[1]. وفى بعض الروايات زيادة: «والحجر والدلو».

وحكى أبو الحسين بن فارس عن أبيه فارس، أن الماعون هو الماء، حكاه عن أهل اللغة، وقد ذكره النحاس أيضًا فى كتابه. وأنشدوا:

يمج صبيرة الماعونَ مجا

وأنشدوا فى الماعون بمعنى الزكاة:

قوم على الإسلام لَمَّا يمنعوا ماعُونَهمْ ويُضَيِّعوُا التَهليلا

(١) رواه بن ماجه (٢/٨٢٦ - ٨٢٧ رقم ٢٤٧٤)، والطبرانى فى الأوسط (٣/ رقم ١٤٣٦، ١٤٤٠ - مجمع البحرين). وقال الهيثمى فى المجمع (٣/١٣٦): رواه بن ماجه باختصار، والطبرانى فى الأوسط، وفيه زهير بن مرزوق قال البخارى: مجهول، منكر الحديث.

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾

تفسير سورة الكوثر

وهى مكية

روى المختار بن فُلْفُل عن أنس قال: «بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذا أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً، فقلت: ما أضحكك يارسول الله؟ فقال: أنزلت علىَّ آنفًا سورة» فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر﴾ ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: فإنه نهر وعدنيه ربى خيراً كثيراً، هو حوضى ترد عليه أمتى يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتى، فيقول: إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك»[1]. رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة، عن على بن مسهر عن المختار بن فُلْفُل.

قوله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ قد بينا.

وروى همام، عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا أسير فى الجنة إذا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقلت: ماهذا ياجبريل؟ فقال: هذا الكوثر الذى أعطاك ربك، فضرب الملك بيده، فإذا طينه مسك أذفر»[2]. قال رضى الله عنه:

---

(١) رواه مسلم (٤/١٤٨ - ١٤٩ رقم ٤٠)، وأبو داود (١/٢٠٨ رقم ٧٨٤، ٤/٢٣٧ رقم ٤٧٤٧)، والنسائى (٢/١٣٣ - ١٣٤ رقم ٩٠٤)، وأحمد (٣/١٠٢)، وابن أبى شيبة فى مصنفه (١١/٤٣٧ - ٤٣٨ رقم ١١٧٠)، وهناد فى الزهد (١/١٠٨ - ١٠٩ رقم ١٣٣)، وابن أبى عاصم فى السنة (٢/٣٥٥ رقم ٧٦٤)، وابن جرير الطبرى (٣٠/٢١١).

(٢) رواه البخارى (١٠/٤٧٢ رقم ٦٥٨١)، والترمذى (٥/٤١٨ - ٤١٩ رقم ٣٣٦٠) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦/٥٢٣ - ٥٢٤ رقم ١١٧٠٦)، وأحمد (٣/١١٥، ٢٦٣)، وابن أبى شيبة (١١/٤٣٧ رقم ١١٧٠، ١٣/١٤٧ رقم ١٥٩٥٢)، وابن جرير (٣٠/٢٠٩) وغيرهم.

فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾

أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسن بن النقور، أخبرنا أبو القاسم بن حَبَابَة، أخبرنا البغوى، أخبرنا هُدْبَة، عن همام .... الحديث. وأخرجه البخارى عن هدبة، وذكره أبو عيسى فى كتابه بروايته عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا أسير فى الجنة إذا عرض [لى](١) نهر حافتاه قباب اللؤلؤ، قلت للملك: ماهذا؟ قال: هذا الكوثر الذى أعطاكه الله، قال: ثم ضرب بيده إلى طينه فاستخرج مسكًا، ثم رفعت لى (سدرة المنتهى)(١) فرأيت عندها نورًا عظيمًا»(٢).

قال: وهو حديث حسن صحيح، وروى أيضًا بطريق [مُحَارب](٣) بن دِثار عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر فى الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، [و](٤) تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج»(٥). قال: هو حديث حسن.

وفى بعض التفاسير برواية عائشة - رضى الله عنها - أن النبى ﷺ قال: «من أراد أن يسمع خرير الكوثر، فليدخل أصبعه فى أذنيه»(٦). وهو غريب جدا.

وفى الكوثر قول آخر، وهو أنه الخير الكثير، فهو فَوْعَل من الكثرة، وقد أعطى الله

(١) المثبت من جامع الترمذى.

(٢) تقدم تخريجه فى الحديث السابق.

(٣) فى «الأصل، وك»: محار، وهو خطأ.

(٤) من «ك».

(٥) رواه الترمذى (٥/ ٤١٩ رقم ٣٣٦١) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢/ ١٤٥٠)، وابن أبى شيبة (١١/رقم ١١٧٠٨، ١٣/ رقم ١٥٩٤٥)، وهناد فى الزهد (١/رقم ١٣٢)، وابن جرير الطبرى فى تفسيره (٣٠/ ٢١٠) وغيرهم.

(٦) عزاه السخاوى فى المقاصد الحسنة للدارقطنى (المقاصد ٨٩)، وكذا السيوطى فى الجامع (٥٥٣). وحكم عليه الشيخ ناصر - حفظه الله - بالوضع فى ضعيف الجامع، وكذا الشيخ محمد عمرو - حفظه الله - فى تكميل النفع (١/ ١٠ رقم ١).

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

رسوله محمداً ﷺ من الخير مالا يحصى ولايعد كثرة فى الدنيا والآخرة، وقال الحسن البصرى: هو القرآن، وقيل: العلم والقرآن.

وقوله: ﴿فصل لربك وانحر﴾ أى: صل الصلوات الخمس، وانحر البدن، وقيل: صل بَجْمعٍ[١]، وانحر بمنى، قاله مجاهد وعطاء، وعن على – رضى الله عنه – أن معنى قوله: ﴿وانحر﴾ هو وضع اليمين على الشمال فى الصلاة على النحر. وقيل: وانحر واستقبل القبلة بنحرك. قال الشاعر:

أبا حكم هل أنت عم مجالد ... وسيد أهل الأبطح المتناحر

أى: المتقابل.

وروى مقاتل بن حيان، عن الأصبغ بن نباتة، عن على بن أبى طالب – رضى الله عنه – قال: «لما نزلت على النبى ﷺ: ﴿إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر﴾ قال النبى ﷺ لجبريل – عليه السلام –: ماهذه النحيرة التى أمرنى بها ربى؟ قال: إنها ليست بنحيرة، ولكنه يأمرك إذا (تحرمت)[٢] بالصلاة، أن ترفع يديك إذا كبرت، وإذا ركعت، وإذا رفعت رأسك من الركوع، فإنها من صلاتنا وصلاة الملائكة فى السموات السبع»[٣]. وعن محمد بن كعب القرظى: أن قوماً كانوا يصلون وينحرون

(١) جمع: أى: المزدلفة.

(٢) فى «ك»: أحرمت.

(٣) رواه بن أبى حاتم – (تفسير ابن كثير (٤/ ٨٥٨) وابن حبان فى المجروحين (١/ ١٧٧ – ١٧٨)، وابن الأعرابى فى معجمه (٢/ ٢٢٧ رقم ٩٦٧)، والحاكم (٢/ ٥٣٧ – ٥٣٨)، والبيهقى (٢/ ٧٥ – ٧٦) عن مقاتل به.

قال ابن حبان: هذا متن باطل إلا ذكر رفع اليدين فيه، وهذا خبر يرويه عمر بن صبيح عن مقاتل، وعمر يضع الحديث، فظفر عليه إسرائيل بن حاتم فحدث به عن مقاتل.

وقال الذهبى فى تلخيصه على المستدرك: إسرائيل صاحب عجائب لايعتمد عليه، وأصبغ شيعى متروك عند النسائى. واستنكره الحافظ ابن كثير فى تفسيره، وقال: حديث منكر جدا.

لغير الله، فقال الله تعالى: ﴿فصل لربك وانحر﴾ أى: اجعل صلاتك ونحرك لله.

وقوله: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ أكثر المفسرين أن المراد به هو العاص بن وائل السهمى، كان إذا ذكر له رسول الله ﷺ قال: دعوا ذكره، فإنه أبتر يعنى: أنه لاولد له، فإذا مات انقطع ذكره، واسترحتم منه، وكانت قريش تقول لمن مات ابنه، أو لم يكن له ابن: أبتر.

فقال الله تعالى: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ يعنى: مبغضك هو الأبتر أى: الذى انقطع خيره وذكره فى الدنيا والآخرة والبتر هو القطع. وقيل: إن الآية فى عقبة بن أبى معيط وقيل: إن المراد به كعب بن الأشرف، قدم مكة، فقالت له قريش: ماتقول أيها الحبر فى هذا (الصنبور)[1]؟ أهو خير أم نحن؟ إنه سب ألهتنا، وفرق جمعنا، ونحن أهل حرم الله وحجيج بيته وسدنته، فقال: بل أنتم خير منه، فأنزل الله تعالى: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ فيه.

(١) فى «ك»: الصنبور. والطنبور هو الفرد الضعيف الذى لاعقب ولا ناصر له. (لسان العرب: مادة صنبر).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ

تفسير سورة (قل يا أيها الكافرون)(١)

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ قال المفسرون: لما قرأ رسول الله ﷺ سورة والنجم، وألقى الشيطان على لسانه عند ذكر أصنامهم: وإن شفاعتهن لترتجى، فقال الكفار: يامحمد، نصطلح تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة، ونعظم إلهك، وتعظم آلهتنا، وذكروا من هذا النوع شيئًا كثيرًا، فحزن النبى ﷺ لمقالتهم، ورجع إلى بيته حزينًا، فأنزل الله تعالى هذه السورة، وهي ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ماتعبدون﴾ أى: اليوم. ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ اليوم. ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ فى المستقبل. ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ فى المستقبل. ﴿لكم دينكم ولى دين﴾ لكم جزاء عملكم، ولى جزاء عملى. قالوا: وهذا فى قوم بأعيانهم، منهم الوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وقد كان الله أخبر أنهم يموتون على الكفر. وقيل: إن هذه السورة نزلت قبل آية السيف، ثم نسخت بآية السيف. وقد ورد فى الخبر: أن قراءة هذه السورة براءة من الشرك. روى أبو خيثمة، عن ابن اسحاق، عن فروة بن نوفل، عن أبيه أنه أتى النبى ﷺ وقال: جئت يارسول الله ﷺ لتعلمنى شيئًا أقوله عند منامى، فقال: «إذا أخذت مضجعك فاقرأ: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ ثم نم على خاتمتها، فإنها براءة من الشرك»(٢). وعن

---

(١) فى «ك»: الكافرون.

(٢) رواه أبو داود (٤/٣١٣ رقم ٥٠٥٥)، والترمذى (٥/٤٤٢ رقم ٣٤٠٣)، والنسائى فى الكبرى (٦/٢٠٠ رقم ١٠٦٣٦ – ١٦٠٤٠، ٦/٥٢٤ رقم ١١٧٠٩)، وأحمد (٥/٤٥٦)، وابن أبى شيبة (١٠/٢٤٩)، والدارمى (٢/٥٥١ رقم ٣٤٢٧)، وابن حبان فى صحيحه (٣/٧٠ رقم ٧٩٠)، والحاكم (١/٥٦٥، ٢/٥٣٨) وصححه، وغيرهم. وفى الباب عن أنس.

﴿ وَلِيَ دِينِ ﴾ (٦)

بعضهم قال: « كنت أمشي مع النبي ﷺ في ليلة ظلماء، فسمع رجلا يقرأ: ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ فقال: أما هذا فقد برئ من الشرك، وسمع رجلا يقرأ: ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فقال: أما هذا فقد غفر له »(١).

وفي السورة سؤال معروف، وهو السؤال عن معنى التكرير؟ وقد أجبنا، ويقال: إنهم كرروا عليه الكلام مرة بعد مرة، فكرر الله تعالى عليهم الإجابة.

وفي السورة سؤال آخر، وهو في قوله: ﴿ قل ﴾ كيف قرئت هذه الكلمة، وهي أمره بالقراءة؟ وكذلك في قوله: ﴿ قل هو الله أحد ﴾. والجواب عنه: أن قوله ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ جميعه قرآن، ونحن أمرنا بتلاوة القرآن على ما أنزل، فنحن نتلو كذلك. وفي السورة سؤال ثالث وهو أنه قال: ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ ولم يقل: من أعبد؟

والجواب عنه أنه قال ذلك على موافقة قوله: ﴿ ولا أنا عابد ماعبدتم ﴾ وقد قيل: إن « ما » بمعنى « من » هاهنا، والله أعلم.

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (٦/١٧٧ رقم ١٠٥٤٠)، وأحمد (٤/٦٤،٦٥، ٥/٣٧٦، ٣٧٨)، والدارمي (٢/٥٥١ رقم ٣٤٣٦)، وسعيد بن منصور في تفسيره (٢/٤٠٢ رقم ١٢٩)، والبيهقي في الدلائل (٧/٨٦) عن رجل من الصحابة لم يسم به.

وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٤٨): رواه أحمد بإسنادين في أحدهما شريك، وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح. وفي الباب عن ابن مسعود.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾

تفسير سورة النصر

وهى مدنية

قوله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ أجمعوا على أن الفتح هو فتح مكة، وقيل: إن النصر فيه أيضًا، ويقال: إن النصر هو يوم الحديبية، والأول هو الأظهر والأشهر.

وقوله: ﴿ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا﴾ أى: زمرًا زمرًا، وفوجًا فوجا. وفى التفسير: أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة قال المشركون: إن محمداً قد نصره الله على قريش، وهم أهل الله وأهل حرمه، فقد منع الله الفيل عنهم فلا يدان لأيد [أحدٍ] (١) بمحمد يعنى: لا قوة، فدخلوا فى دينه أفواجًا وكانت القبيلة بأسرها تسلم، ووفد عليه الوفود من الجوانب، ودخل أكثر ديار العرب فى الإسلام، ولم يبق إلا القليل، وقد كان قبل ذلك يدخل الواحد والاثنان على خوف شديد، فهو معنى قوله تعالى: ﴿ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا﴾.

وقوله: ﴿فسبح بحمد ربك﴾ أى: صل حامدا لربك.

والأصح أن معناه: اذكره بالتحميد والشكر لهذه النعمة العظيمة ،فإن التسبيح هو بمعنى الذكر فصار معنى الآية على هذا: فاذكر ربك بالتحميد والشكر.

وقوله: ﴿واستغفره﴾ أى: اطلب التجاوز والعفو عنه.

وقوله :﴿إنه كان توابًا﴾ أى: توابًا على عباده، ويقال: التواب هو المسهل لسبيل التوبة، ويقال: هو القابل لها.

---

(١) فى «الأصل»: لأحد.

وقد ثبت عن ابن عباس أن في السورة نعي النبي ﷺ إلى نفسه، وأمره بالتسبيح والاستغفار ليكون؛ آخر أمره وخاتمة عمله على زيادة الطاعة والذكر لله.

وورد أيضًا أن عمر -رضي الله عنه -كان إذا أحضر المهاجرين واستشارهم في شيء، أحضر معهم عبد الله بن عباس، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن لنا أولادًا مثله - يعني أنك لا تحضرهم - فقال: إنه من حيث تعلمون، ثم إنه سألهم مرة عن هذه السورة فقالوا: إن الله تعالى أمر رسول الله بالتسبيح والاستغفار حين جاءه الفتح، ودخل الناس في الدين أفواجا، فسأل عبد الله بن عباس عن معنى السورة فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى نعى إلى رسول الله نفسه بهذه السورة، وأمره بزيادة العمل والذكر؛ ليكون خاتمة عمره عليه فقال لسائر المهاجرين: إنما أحضره لهذا وأمثاله ،أو كلام هذا معناه، واللفظ المذكور في الصحيح في هذا الخبر أن ابن عباس قال: إنما هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه إياه فقال له عمر: والله لا أعلم منها إلا ما تعلم.

وقيل: إن السورة نزلت في أوسط أيام التشريق.

وقيل: إن رسول الله ﷺ لم يعش بعد هذه السورة إلا ثمانين ليلة.

وقد قيل: إنها آخر سورة نزلت من القرآن كاملة، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾

تفسير سورة تبت

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿ تبت يدا أبى لهب وتب ﴾ سبب نزول هذه السـورة هو ما روى أبو معاوية [الضرير محمد بن خازم] [١] عن الأعمش، عن عمرو بن مرة ،عن سعيد ابن جبير،عن ابن عباس أن النبى ﷺ صعد ذات يوم الصفا وقال: « ياصباحاه » فاجتمعت قريش فقالوا له: مالك؟ فقال: « (أرأيتم)[٢] لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أوممسيكم، أما (تصدقوننى؟)[٣] » قالوا: بلى. قال: « فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » فقال أبو لهب: تبًا لك، ألهذا دعوتنا جميعًا فأنزل الله تعالى: ﴿ تبت يدا أبى لهب وتب ﴾ إلى آخر السورة »[٤].

قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو محمد المكى بن عبد الرزاق، أخبرنا جدى أبو الهيثم، أخبرنا الفربرى، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا (محمد)[٥] بن سلام، عن [أبى][٦] معاوية.. الحديث.

---

(١) فى « الأصل،وك » : أبو معاوية النضر بن محمد حازم، وهو خطأ والصواب أبو معاوية الضرير محمد بن خازم الكوفى أحفظ الناس لحديث الأعمش، وعنه محمد بن سلام وهو البيكندى ، والحديث رواه البخارى فى صحيحه عن البيكندى عنه به، وانظر تهذيب الكمال (٢٥ / ١٢٣ – ١٣٣، ٣٤٠ – ٣٤٤).

(٢) فى « ك » : أرأيتكم .

(٣) فى « ك » : مصدقى.

(٤)تقدم.

(٥) فى « ك » : أبو محمد، وهو خطأ، والصواب محمدوهو ابن سلام البخارى البيكندى، وقد تقدم.

(٦) فى « الأصل » : ابن وهو خطأ، وقد تقدم التنبيه عليه.

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾

قوله ﴿ وتب ﴾ قال مقاتل وغيره: خسرت، والتباب فى اللغة هو الهلاك، وهو الخسران أيضًا. قال الفراء: الأول دعاء، والثانى إخبار، فالأول هو قوله: ﴿ تبت يدا أبى لهب ﴾ والثانى قوله: ﴿ وتب ﴾ على ما معنى الخبر أى: وقد خسر وهلك، وفى قراءة ابن مسعود: «وقد تبت».

وقوله: ﴿ ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾ أى: لا يدفع عنه ماله وولده شيئًا من عذاب الله، فيكون قوله: ﴿ وما كسب ﴾ بمعنى وما ولد على هذا القول. قال أبو جعفر النحاس: ويبعد أن تكون ما بمعنى من فى اللغة.

فقوله: ﴿ وما كسب ﴾ أى: وما كسب من جاء ومايشبهه وأما أبو لهب فهو عم النبى ﷺ واسمه عبد العزى، ويقال: سمى أبو لهب لتلهب وجهه حسنا. وذكره الله تعالى بكنيته؛ لأنه كان معروفا بذلك أو لأن اسمه كان عبد العزى فكره أن تنسب عبوديته إلى غيره.

وفى تفسير النقاش: أن أبا لهب انتفى بنى هاشم، وانتسب إلى أبى أمية، وقال: لا أكون من قوم فيهم كذاب مثل محمد. ومن المعروف عن طارق المحاربى أنه قال: «كنت بسوق ذى المجاز فإذا أنا بشاب يقول: أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، وإذا الرجل خلفه يرميه بالحجر، وقد أدمى (عقبيه)، وهو يقول: أيها الناس، لا تصدقوه فإنه كذاب. قال: فسألت عنهما، فقيل: إن الشاب محمد ﷺ، والرجل الذى خلفه عمه أبو لهب»(٢).

(١) فى «ك»: عقبه.

(٢) رواه ابن أبى شيبة (١٤/٣٠٠ رقم ١٨٤١٤)، والطبرانى فى الكبير (٨/٣١٤ - ٣١٥ رقم ٨١٧٥)، وابن حبان فى صحيحه (١٤/٥١٧-٥١٩)، والدارقطنى فى سننه (٣/٤٤-٤٥)، والحاكم (٢/٦١١-٦١٢) وصححه، والبيهقى فى سننه (١/٧٦،٦/٢٠/٢٠-٢١) وفى الدلائل (٥/٣٨٠-٣٨١).
وقال الهيثمى فى المجمع (٦/٢٦): رواه الطبرانى وفيه أبو جناب الكلبى وهو مدلس، وقد وثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح.

وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

ويقال فى قوله: ﴿ما أغنى عنه ماله﴾: أى: أى شىء أغنى عنه ماله ﴿وما كسب﴾ إذا دخل النار؟.

وقوله: ﴿سيصلى نارا ذات لهب﴾ يقال: صلى الشىء إذا قاسى شدته وحره. ويقال: صليته أى شويته، ومنه: شاة مصلية أى مشوية والمعنى: سوف يصلى أى يدخل ناراً ذات لهب أى: ذات التهاب وتوقد.

وقوله: ﴿وامرأته﴾ أى: تصلى امرأته أيضا.

وقوله: ﴿حمالة الحطب﴾ فيه قولان: أحدهما: ما رواه الضحاك عن ابن عباس أنها كانت تحمل الشوك فتلقيه على طريق النبى ﷺ لتعقر رجله. قال عطية: كانت تلقى العضاة فى طريق النبى ﷺ. وكانت كالكثيب من الرمل لقدم النبى ﷺ، والقول الثانى: أن قوله: ﴿حمالة الحطب﴾ معناه: الماشية بالنميمة. قال الشاعر:

إن بنى الأجرم حمالوا الحطب — هم الوشاة فى الرضا وفى الغضب

عليهم اللعنة تترى والحرب

وامرأته هى أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان. وقد قرئ: «حمالةَ الحطب» بالنصب فالبرفع على معنى حمالة الحطب، وبالنصب على معنى أعنى حمالة الحطب.

وقوله: ﴿فى جيدها حبل من مسد﴾ فيه قولان: أظهرهما أنه السلسلة التى ذكر الله تعالى فى كتابه: ﴿فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا﴾[1] والمسد هو الفتل والإحكام قال: لأنه أحكم من الحديد، والقول الثانى: إن المراد من الآية أنها كانت تحمل الحطب بحبل من مسد فى عنقها فذكر الله تعالى ذلك على أحد وجهين: إما

(١) الحاقة: ٣٢.

لبيان تخسيسها وتحقيرها، أو لأنها عيرت رسول الله بالفقر فابتلاها الله تعالى بما هو من عمل الفقراء، وقيل: حبل من مسد أى: حبل من شعر أحكمت فتله، وقيل: من ليف أحكم فتله. وروى «أن هذه السورة لما نزلت وسمعتها امرأة أبى لهب أخذت (فهراً)[1] بيدها، وجاءت تطلب النبى ﷺ وتقول:

مذمم أبينا ودينه قلبينا وأمره عصينا

وتعنى بمذمم محمدا – عليه الصلاة والسلام – لأن كفار قريش كانوا يشتمونه مذمما، فلما جاءت، قال أبو بكر للنبى ﷺ: إن هذه المرأة قد جاءت، فقال: إنها لا ترانى فدخلت ولم تر رسول الله ﷺ، فقالت لأبى بكر: أين صاحبك؟ فقال: ما شأنك؟ فقالت: بلغنى أنه هجانى، فجئت لأكسر رأسه بهذا الحجر، فقال أبو بكر: إنه ما هجاك، فرجعت وعثرت فى مرطها، فقالت: تعس مذمم ومضت»[2].

---

(١) الفهر: هو الحجر مل الكف. النهاية لابن الأثير (٣ / ٤٨١).

(٢) تقدم تخريجه.



قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾

تفسير سورة الإخلاص

وهى مدنية

وقيل: إنها مكية

يزيد بن كيسان، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «احشدوا أقرأ عليكم ثلث القرآن فخرج رسول الله ﷺ، فقرأ عليهم: ﴿قل هو الله أحد﴾ ثم دخل بيته قال: فقال القوم: قال لنا رسول الله ﷺ: احشدوا أقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾ ثم دخل، ما هذا إلا شيء[١]؟ قال: فسمعها فخرج إلينا فقال: إن هذه السورة تعدل ثلث القرآن» رواه مسلم فى كتابه عن محمد بن حاتم ويعقوب الدورقى، عن يحيى بن سعيد، عن (يزيد)[٢] بن كيسان.. الحديث[٣].

وروى إسماعيل بن أبى (زياد)[٤] عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: دخلت اليهود على نبى الله ﷺ فقالوا: يا محمد، صف لنا ربك، وانسبه لنا فقد وصف نفسه فى التوراة ونسبها فارتعد رسول الله ﷺ حتى خر مغشيًا عليه، فقال: «كيف تسألوننى عن صفة ربى ونسبه، ولو سألتمونى أن أصف لكم الشمس لم أقدر عليه»، فهبط جبريل - عليه السلام - فقال: يا محمد، قل لهم: الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أى: ليس بوالد ولا بمولود، وليس له

(١) كذا، وفى صحيح مسلم: فقال بعضنا لبعض: إنى أرى هذا خبر جاءه من السماء، فذاك الذى أدخله.

(٢) فى «ك»: زيد، وهو تحريف.

(٣) رواه مسلم (٦/١٣٧ - ١٣٨ رقم ٨١٢)، والترمذى (٥/١٥٥ رقم ٢٩٠٠)، وأحمد (٢/٤٢٩)، والبيهقى فى الشعب (٥/٤٧٨ - ٤٧٩ رقم ٢٣٠٦).

(٤) فى «ك»: دثار، وهو تحريف، وسيأتى على الصواب بعد قليل.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾

شبيه من خلقه». قال رضى الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث الشيخ العفيف أبو على بن بندار بهمدان بإسناده عن إسماعيل بن أبى زياد.. الحديث. وفى بعض (الأخبار):(١) أن سورة قل يا أيها الكافرون وسورة قل هو الله أحدهما المقشقشتان أى: تبرئان من الشرك والنفاق، ويقال: قشقش المريض من علته إذا برأ، وسميت السورة سورة الإخلاص لأنه ليس فيها إلا وصف الرب عن اسمه وليس فيها أمر ولا نهى ولا وعد ولا وعيد. وذكر أبو عيسى الترمذى فى كتابه برواية أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس، عن أبى العالية، عن أبى بن كعب أن المشركين قالوا: يا رسول الله، انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد﴾ لأنه ليس شىء يولد إلا سيموت، وليس شىء يموت إلا سيورث، وإن الله لا يموت ولا يورث، ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ قال: لم يكن له شبيه ولا عدل، وليس كمثله شىء.

قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ أى: قل هو الله الواحد، أحد بمعنى الواحد، وقد فرق بين الأحد والواحد. وقيل: إن الأحد أبلغ من الواحد، يقال: فلان لا يقاومه أحد نفيا للكل، ويقال: لا يقاومه واحد، ويجوز أن يقاومه اثنان، وأيضاً فإن الواحد يكون الذى يليه الثانى والثالث فى العدد، والأحد لا يكون بمعنى هذا الحال، وأكثر المفسرين أنه بمعنى الواحد.

وقوله: ﴿هو﴾ الابتداء فيه اسم مضمر، كأنه أشار إلى أن الذى سألتمونى عنه هو الله الواحد، فيكون قوله: ﴿الله أحد﴾ تبييناً وكشفاً لاسم المضمر فى قوله: ﴿هو﴾.

وقوله: ﴿الله الصمد﴾ فيه أقوال: أحدها: أنه الذى يصمد إليه فى الحوائج، والآخر: أنه هو الذى انتهى فى السؤدد وبلغ كماله. قال الشاعر:

ألا بكر الناعى بخير لى بنى أسد بعمر وابن مسعود وبالسيد الصمد

(١) فى «ك»: الأحاديث.

وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

وقال آخر :

علوته بحسام ثم قلت له　　خذها حذيف فأنت السيد الصمد

والقول الثالث : أنه الذى ليس له جوف أى لا يأكل، والقول الرابع : أن تفسيره قوله : ﴿ لم يلد ولم يولد ﴾ وقيل : إنه الباقى الذى لا يفنى، وقيل : إنه الدائم الذى لا يزول .

وقوله : ﴿ لم يلد ولم يولد ﴾ أى : ليس له والد ولا ولد . وقيل : إنه نفى لقول اليهود والنصارى : عزير بن الله، والمسيح ابن الله، ونفى لقول المشركين : إن الملائكة بنات الله. فهذا كله فى قوله : ﴿ لم يلد ﴾ .

وقوله : ﴿ ولم يولد ﴾ فيه نفى لقول النصارى : إن مريم – عليها السلام – ولدت إلهًا، وهو المسيح .

وقوله : ﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾ أى لم يكن أحد نظيرا له ولا شبيهًا، فهو على التقديم والتأخير كما ذكرنا، ومعنى أحد فى آخر السورة غير معنى أحد فى أول السورة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾

تفسير سورة الفلق

وهى مكية

قوله تعالى: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ فيه أقوال: أحدها – وهو الأظهر– : أن الفلق هو الصبح، قال الله تعالى: ﴿فالق الإصباح﴾(١)، والقول الثانى: أنه جميع الخلق، والقول الثالث: أنه بيت فى النار، إذا فتح بابه صاح أهل جهنم من شدة حره، قاله كعب الحبر، والقول الرابع: جب فى جهنم، قاله مجاهد.

وقوله: ﴿من شر ما خلق﴾ أى: من شر جميع ما خلق.

وقوله: ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ فيه أقوال أيضا: أحدها: من شر الليل إذا أظلم، فالغاسق هو الليل، قاله الحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة، ويقال: من شر الليل إذا أقبل. يقال: وقب: دخل، وقيل: أقبل، ومعنى الاستعاذة من الليل؛ (لأن)(٢) فيه يكون تحرك الهموم وهجوم كل ذى شر بقصد، والقول الثانى: أن قوله: ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ هو القمر، وفيه خبر معروف روى ابن أبى ذئب، عن الحارث بن عبد الرحمن، عن أبى سلمة، عن عائشة قالت: «أخذ رسول الله ﷺ بيدى، وأشار إلى القمر وقال: تعوذى بالله من شر هذا، هو الغاسق إذا وقب»(٣). وذكره أبو عيسى

---

(١) الأنعام: ٩٦.

(٢) فى «ك»: لأنه.

(٣) رواه الترمذى (٥/ ٤٢١ – ٤٢٢ رقم ٣٣٦٦) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الكبرى (٦/ ٨٣ – ٨٤ رقم ١٠١٣٧، ١٠١٣٨)، وأحمد (٦/ ٦١، ٢٠٦، ٢١٥، ٢٣٧، ٢٥٢)، والطيالسى (٢٠٨ رقم ١٤٨٦)، وأبو يعلى (٧/ ٤١٧ رقم ٤٤٠)، وعبد بن حميد (رقم ١٥١٧)، وابن جرير (٣٠/ ٢٢٧)، والحاكم (٢/ ٥٤٠ – ٥٤١) وصححه، والجوزقانى فى الأباطيل (٢/ ٣٠٨ رقم ٧٢٢) وصححه، والبغوى في تفسيره (٤/ ٥٤٧)، وحسن إسناده الحافظ فى الفتح (٨/ ٦١٣).

وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

فى جامعه وقال: هو حديث صحيح. قال النحاس: يجوز أن تكون الاستعاذة من القمر، لأن قوماً أشركوا بسببه، فنسب إليه الاستعاذة على المجاز. قال القتيبى: من شر غاسق إذا وقب: هو القمر إذا دخل فى شاهوره - أى: فى غلافه - وهو إذا غاب. وذكر بعضهم: أن الاستعاذة من القمر؛ لأن أهل البرية يتحينون وجه القمر - أى غروبه - وهم اللصوص وأهل الشر والفساد، والقول الثالث: أن الغاسق هو الثريا.

وقوله: ﴿إذا وقب﴾ إذا غاب، وذكر ذلك إذا غاب الثريا ظهرت العاهات والبلايا، وإذا طلع الثريا رفعت العاهات والبلايا.

وقد ورد عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا طلع النجم رفعت العاهة عن كل بلد».[1] وذلك مثل الوباء والطواعين والأسقام وما يشبهها.

وقيل: «من شر غاسق إذا وقب» أى: من شر الشمس إذا غربت.

وذكر النقاش بإسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: من شر غاسق إذا وقب: من شر الذكر إذا دخل، قال النقاش: فذكرت ذلك لمحمد بن إسحاق بن خزيمة، وقلت: هل يجوز أن تفسر القرآن بهذا؟! قال: نعم، قال النبى ﷺ: «أعوذ بك من شر منيى»[2]، وهو خبر معروف، وهو أن النبى ﷺ قال: «أعوذ بك من شر سمعى ومن شر بصرى» فعدد أشياء، وقال فى آخرها: ومن شر منيى»[2].

وقوله: ﴿ومن شر النفاثات فى العقد﴾ أى: السواحر، والنفث هو النفخ بالفم،

(١) رواه الطبرانى فى الصغير (١/ ٨١ رقم ١٠٤)، وأبو الشيخ فى العظمة (رقم ٧٠٠)، وأبو نعيم فى الحلية (٧/ ٣٦٧)، وفى أخبار أصبهان (١/ ١٢١) وأبو يعلى فى الإرشاد (١/ ٣١٩ رقم ٥٤) وقال: رواه الخلق عن أبى حنيفة يتفرد به ولايتابع عليه، وتمام الرازى فى فوائده (١/ ٣٠٩ رقم ٧٧١) عن أبى هريرة به.

(٢) رواه أبو داود (٢/ ٩٢ رقم ١٥٥١)، والترمذى (٥/ ٤٨٩ رقم ٣٤٩٢) وقال: حسن غريب، والنسائى (٨/ ٢٦٧ رقم ٥٤٨٤)، وأحمد (٣/ ٤٢٩)، وابن أبى حاتم فى العلل (٢/ ٢٠٣ رقم ٢١٠٠)، والحاكم (١/ ٥٣٢ - ٥٣٣) وصححه جميعهم عن شتير بن شكل، عن أبيه به.

والتفل هو إذا كان معه ريق.

وقوله: ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ الحسد هو تمنى زوال النعمة عن المنعم عليه، وقد ذكرنا فى الحسد أشياء من قبل، وقيل: من شر حاسد إذا حسد أى: إذا ظلم. واعلم أن المفسرين قالوا: إن هذه السورة والتى تليها نزلتا حين سحر النبى ﷺ، سحره لبيد بن أعصم اليهودى.

والنفاثات فى العقد يقال: إنهن بناته. وكان لبيد قد سحر النبى ﷺ، وجعل ذلك فى بئر (ذى أروان)[1] (فاعتل)[2] النبى ﷺ، واشتدت علته وكان يخيل إليه أنه يفعل الشىء ولا يفعله، ثم إن جبريل - عليه السلام - أنزل المعوذتين. وروى أنه قال لعائشة: «هنا [و] أنا نائم نزل علىّ ملكان، فقعد أحدهما عند رأسى، والآخر عند رجلى، فقال أحدهما لصاحبه: ما حال الرجل؟ فقال: مطبوب، فقال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودى، فقال: وأين ذلك؟ فقال: فى مشط ومشاطة تحت راعونة فى بئر (ذى أروان)[1]، ثم إن النبى ﷺ بعث عليًّا، وقيل: إنه بعث عماراً، وقيل: بعث أبا بكر وعمر حتى استخرجوا ذلك السحر، وأنزل الله تعالى هاتين السورتين، وكان على ذاك الشىء [إحدى عشرة][3] عقدة، فقال له جبريل: اقرأ آية فانحلت عقدة، وكان كلما قرأ آية انحلت عقدة، حتى انحلت العقد كلها، وقام النبى ﷺ كأنما أنشط من عقال»[4].

(١) فى «ك»: ذروان.

(٢) فى «ك»: فاغفل.

(٣) فى «الأصل، وك»: أحد عشر، وهو خلاف الجادة.

(٤) تقدم تخريجه.

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

تفسير سورة الناس

وهى مدنية

قوله تعالى :﴿ قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس ﴾ هو الشيطان، والمعنى من شر الشيطان ذى الوسواس، ويقال: سمى وسواسًا؛ لأنه يجثم ، فإن ذكر العبد ربه خنس – أى تأخر – وإن لم يذكر: وسوس. وفى رواية: التقم ووسوس أى القلب. وفيه خبر صحيح على هذا المعنى.

وقوله: ﴿ الخناس ﴾ معناه ما قلنا يعنى: إذا ذكر العبد ربه وسبح رجع أى: تأخر وخنس وتنحى.

وقوله: ﴿ الذى يوسوس فى صدور الناس ﴾ هو الشيطان.

وقوله: ﴿ من الجنة ﴾ أى: من الجن.

وقوله: ﴿ والناس ﴾ أى: ومن الناس. والمعنى: أنه أمره بالاستعاذة من شياطين الجن والإنس، والشيطان كل متمرد سواء كان جنيًا أو إنسيًا، وقد ورد فى الأخبار المعروفة «أن النبى ﷺ كان إذا أراد أن ينام قرأ سورة الإخلاص والمعوذتين ،وينفث فى كفيه، ثم يمسح بكفيه ما استطاع من جسده، ويبدأ بوجهه ورأسه»(١) .وروى أنه ﷺ كان يعوذ بهما الحسن والحسين –رضى الله عنهما– . وذكر أبو عيسى الترمذى برواية إسماعيل بن أبى خالد قال: حدثنى قيس بن أبى حازم، عن عقبة بن عامر الجهنى،

(١) رواه البخارى (٨ / ٦٧٩ – ٦٨٠ رقم ٥٠١٧ وطرفاه ٥٧٤٨ ، ٦٣١٩)، وأبو داود (٤ / ٣١٣ رقم ٥٠٥٦) ، والترمذى (٥ / ٤٤١ رقم ٣٤٠٢) ، والنسائى فى الكبرى (٦ / ١٩٧ رقم ١٠٦٢٤) ، وابن ماجه (٢ / ١٢٧٥ رقم ٣٨٧٥) .

عن النبي ﷺ أنه قال: «قد أنزل الله تعالى عليّ آيات لم ير مثلهن ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ إلى آخر السورة، و﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ إلى آخر السورة»[١] قال: وهو حديث حسن صحيح. قال رضى الله عنه: أخبرنا بذلك أبو عبد الله عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد أخبرنا أبو العباس بن سراج السبخى، أخبرنا أبو العباس بن محبوب أخبرنا أبو عيسى الحافظ، أخبرنا [٢]محمد بن بشار، أخبرنا يحيى بن سعيد القطان، عن إسماعيل بن أبى خالد . . الحديث.

فإن قال قائل: لمَ لمْ يكتب ابن مسعود هاتين السورتين فى مصحفه؟ وهل يجوز أن يشتبه على أحد أنهما من القرآن أو ليستا من القرآن؟ والجواب عنه: أن حماد بن سلمة روى عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش قال: قلت لأبى بن كعب: إن ابن مسعود لم يكتب فى مصحفه المعوذتين! فقال أبى: قال رسول الله ﷺ: «قال جبريل – عليه السلام – ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ فقلتها، وقال: ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ فقلتها» فنحن نقول: يقول رسول الله ﷺ. كأن أبيًا وافق ابن مسعود[٣]. قال رضى الله عنه :أخبرنا بهذا الحديث أبو الحسين بن النقور ،أخبرنا أبو القاسم بن حبابة، أخبرنا البغوى، أخبرنا هدبة، عن حماد بن سلمة . . الحديث خرجه مسلم فى الصحيح فيجوز أن ابن مسعود وأبيًا من كثرة ما سمعا النبى ﷺ يقرأ هاتين السورتين ويتعوذ بهما ظنا أنهما عوذة، فلم يثبتاهما فى المصحف، وقد قيل: إنهما مكتوبتان فى مصحف أبى.

---

(١) رواه مسلم (٦ / ١٣٩ – ١٤٠ رقم ٨١٤)، والترمذى (٥ /١٥٧ رقم ٢٩٠٢)، والنسائى (٢ /١٥٨ رقم ٩٥٤، ٨ /٢٥٤ رقم ٥٤٤٠)، وأحمد (٤ / ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥١،)، والدارمى (٢ / ٥٥٤ رقم ٣٤٤١).

(٢) فى «ك» : أبو محمد، والصواب مافى الأصل،

(٣) رواه البخارى (٨ / ٦١٤ رقم ٤٩٧٧)، وأحمد (٥ / ١٢٩ – ١٣٠)، والحميدى (١ / ١٨٥ رقم ٣٧٤) ، والبيهقى (٢ / ٣٩٣ – ٣٩٤)، وابن حبان رقم (٧٩٧).

وذكر بعضهم أن عبد الله بن مسعود لم يشتبه عليه أنهما من القرآن، ولكن لم يكتبهما لشهرتهما ،كما ترك كتبة سورة الفاتحة لشهرتها، والله أعلم وأحكم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وسلم تسليما كثيرًا

(١) تم بعون الله وتوفيقه تفسير أبى المظفر السمعانى، ويتلوه إن شاء الله تعالى الفهارس العلمية.

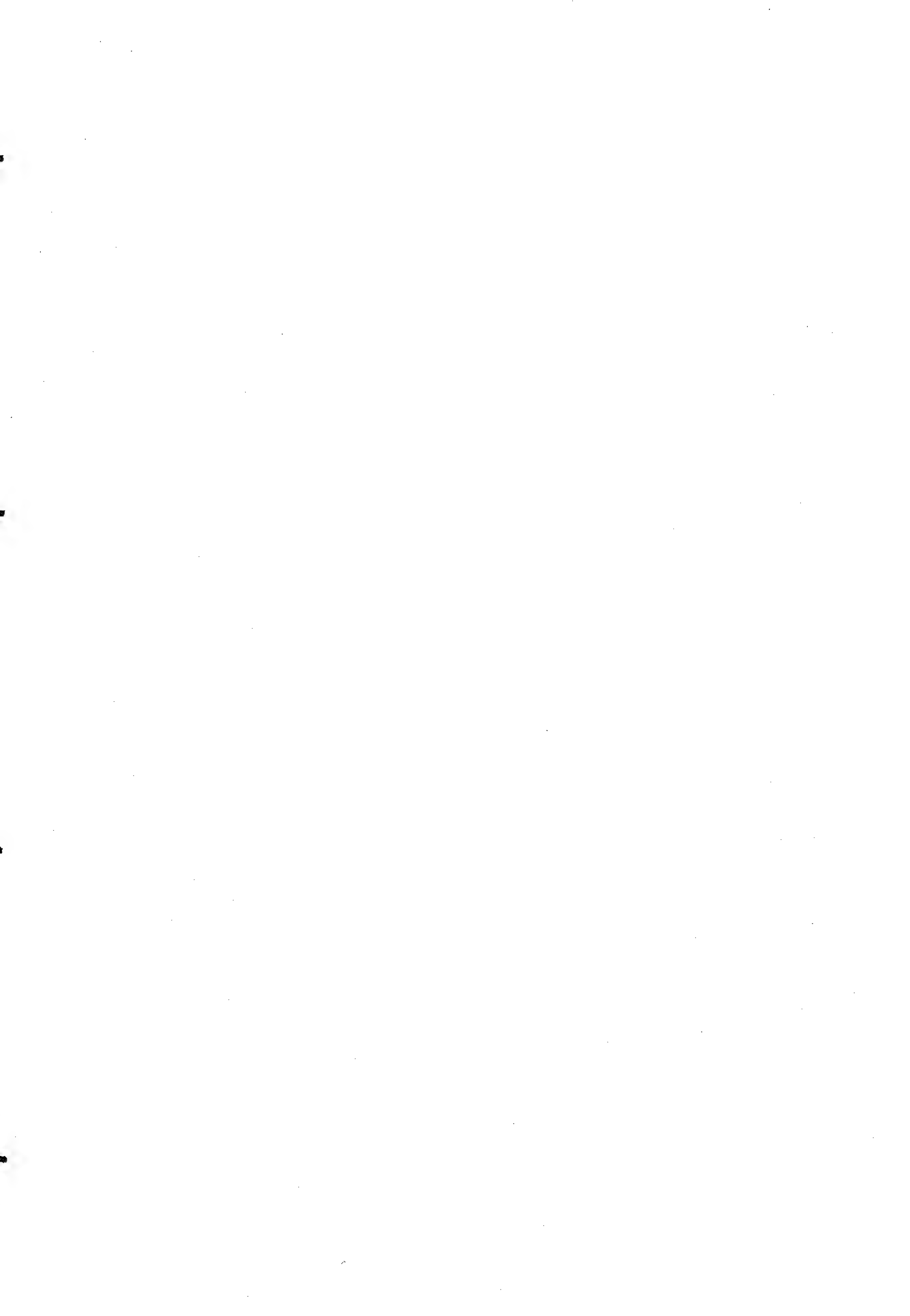
الفهارس العلمية

(١) فهارس مسائل العقيدة .

(٢) فهرس المسائل الفقهية .

(٣) فهرس أطراف الحديث .

(٤) فهرس الشعر .



(١) فهرس مسائل العقيدة

المسألة	العزو
الإيمان والتوحيد	
مسألة في تعريف الإيمان	١/ ٤٣
مسألة في الرد على من يخرج الاعتقاد من جملة الإيمان	١/ ٤٧
مسألة في الرد على المرجئة في إخراج العمل من مسمى الإيمان	١/ ١٥٠
مسألة في معنى الإسلام	١/ ٣٠٢
مسألة في أن الترحم على السلف من علامات الإيمان.	٥/ ٤٠٧-٤٠٨
مسألة اجتماع الإيمان مع الشرك في قلب العبد.	٣/ ٧١
مسألة في أن الإتيان بتوحيد الربوبية لايكفي للحكم بالإيمان.	٣/ ٧١، ٣/ ٨٦، ٣/ ١٩٣
مسألة في الرد على أصحاب الطبيعة.	٣/ ٧٧
مسألة في تعريف العبادة.	١/ ٣٧
مسألة في توحيد الألوهية.	١/ ٥٦، ٥٧
مسألة في الاستعانة.	١/ ٧٤
مسألة في أن كل المخلوقات مطيعة لله إلا عصاة الثقلين.	٣/ ١٧٣-١٧٧، ٤٢٧-٤٢٨
مسألة في أن سجود الموات ثابت بنص الكتاب ومذهب أهل السنة.	٥/ ٣٢٣
مسألة في محبة العبد لله، ومحبة الله للعبد.	١/ ٣١٠-٣١١
مسألة في معنى الموالاة.	١/ ٣٠٨-٣٠٩
مسألة في نفي الضد أو الند عن الله - تعالى.	٣/ ١١٧
مسألة في وجوب رد المسائل المتنازع فيها إلى الله ورسوله.	١/ ٤٤١
مسألة في تعريف الكفر وبيان أنواعه.	١/ ٤٥، ٤٦
مسألة في الجبت والطاغوت	١/ ٤٣٦

الأسماء و الصفات

الإيمان بالملائكة

الإيمان بالرسل

الإيمان باليوم الآخر

الإيمان بالقدر

(٢) فهرس المسائل الفقهية

كتاب الزكاة

كتاب الصيام

كتاب المناسك

كتاب البيوع

كتاب القرض

كتاب الضمان

كتاب التفليس

كتاب الوصايا

كتاب الفرائض

كتاب النكاح

كتاب الطلاق

كتاب الرضاع

كتاب الدماء

كتاب الحدود

كتاب الجهاد والسير

كتاب السبق والرمى

كتاب الصيد والذبائح والأطعمة

كتاب الأيمان

كتاب الأقضية والأحكام

(٣) فهرس أطراف الحديث

– حرف البـاء –

- حرف التاء -

- حرف الثـاء -

- حرف الجيـم -

- حرف الحـــاء -

- حرف الخـاء -

- حرف الـراء -

- حرف الزاى -

- حرف السين -

- حرف الشين -

- حرف الصاد -

- حرف الضاد -

- حرف الطاء -

- حرف الظاء -

- حرف العين -

- حرف القـاف -

- حرف الكـاف -

- حرف الـلام -

- حرف الميم -

- حرف الهاء -

- حرف الواو -

- حرف اليـاء -

(٤) فهرس الشعر

- باب الهمزة -

فصل الهمزة المضمومة

فصل الهمزة المفتوحة

فصل الهمزة المكسورة

باب الباء

فصل الباء المضمومة

فصل الباء المفتوحة

فصل الباء الساكنة

باب التاء

فصل التاء المضمومة

فصل التاء المفتوحة

فصل التاء المكسورة

باب الثاء

باب الجيم

فصل الجيم المضمومة

فصل الجيم المفتوحة

فصل الجيم المكسورة

فصل الجيم الساكنة

باب الحاء

فصل الحاء المضمومة

فصل الحاء المفتوحة

فصل الحاء المكسورة

فصل الحاء الساكنة

باب الدال

فصل الدال المضومة

فصل الدال المفتوحة

فصل الدال المكسورة

باب الراء

فصل الراء المضمومة

فصل الراء المفتوحة

فصل الراء المكسورة

فصل الراء الساكنة

باب الزاى

فصل الزاى المضمومة

فصل الزاى المكسورة

باب السين

فصل السين المضمومة

فصل السين المفتوحة

فصل السين المكسورة

باب الطاء

فصل الطاء المضمومة

فصل الطاء المفتوحة

فصل الطاء المكسورة

باب العين

فصل العين المضمومة

فصل العين المفتوحة

فصل العين المكسورة

فصل العين الساكنة

فصل الفاء الساكنة

باب القاف

فصل القاف المضمومة

فصل القاف المفتوحة

فصل القاف المكسورة

فصل القاف الساكنة

باب الكاف

فصل الكاف المضمومة

فصل الكاف المفتوحة

فصل الكاف المكسورة

باب اللام

فصل اللام المضمومة

فصل اللام المفتوحة

فصل اللام المكسورة

فصل الميم المفتوحة

فصل الميم المكسورة

فصل الميم الساكنة

باب النون

فصل النون المضمومة

فصل النون المفتوحة

فصل النون المكسورة

فصل النون الساكنة

باب الهاء

فصل الهاء المفتوحة

فصل الهاء المكسورة

فهرس أنصاف الأبيات

ف

ق

ك

ل

م

ن

و

ى

